

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للحِطِّ

بِتَحْقِيقِ
الْأَمَلِ الْأَخْمَرِ زَكِيَّ الشَّيْخِ
كَاتِبِ أَسْرَارِ مَجْلِسِ النِّظَارِ

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.



LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitab el Tadj.)

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للجِظَا

بِتَحْقِيقِ
الْأَمَلِ أَحْمَدَ زَكِيَّ الشَّالَا
كاتباً سرّاً مجلس النظر

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الاسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	قنطرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستغناء ابن التديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستغناء أبي حيان التوحيدي
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث
٥٢	إستفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه
٥٢	أسلوب الجلاظ
٥٣	أمثلة من صياغته
٥٧	بعض مصادره
٥٧	تكرار الجلاظ وترداده
٥٨	إشارته إلى كنهه المتقدمة
٥٩	تصريحه بكتاب معين له
٥٩	تأكيد له هذا التصريح
٥٩	النتيجة والحكم



٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب)
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج"
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة
٨٣ - ٧٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية



٢ - فهرس كتاب "التاج"

للمحافظ

صفحة

١

المقدمة

٤ إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧

... .. فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

... .. الأشراف وسلاهم وقودهم وأنصافهم

٧

... .. الأوساط : سلاهم وقودهم وأنصافهم

٨

... .. استقبال الملك للسايرين له وتشجيعهم لهم

٩

... .. مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١ تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

... .. ماضله حاجب المنصور العباسي مع القتي الماشقي ، لتأديبه

١٣

... .. تخفيف الندماء والخوارج على مائدة الأكار

١٣

... .. عقوبة الشر عند القريش

١٤

... .. مباسطة الملك لثوا كليه

١٤

... .. بين معارية والحسن بن علي ، بشأن دجاجة

١٥ ضيافات معارية في جامعهم وسائر قواعد مملكتهم
١٥ إخبار ساويرس راجل ، رحمه الله قضاء القضاء
١٦ عدم النظر للملك عند مؤاكلته ...
١٦ التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧ غسل اليد بمحضرة الملك ...
١٧ إتيان الملك لمدعويه
١٧ مباينة الملوكة لمن سواهم
١٧ قيام الملك عن الطعام
١٧ مندبل القمصر [أي منشفة الفرس]
١٨ حديث الملك ومخاطبته على المائدة
١٨ زسرمة الفرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠ ما كان يفعل عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

بَابُ فِي الْمُنَادِمَةِ

٢١	مراتب الندماء، وأحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كمية الشرب وكيفيته موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمغنيين عند القُرس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلهما
٢٦	احتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	مناقب أودشير لنفسه، لمخالفة هذا القانون
٢٨	اختلال هذا النظام أيام بهرام جورو، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التاسع"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء، مقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أقل خليفة شيعي في وجهه، هنرلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، ومروان الجعدي
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السفاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرشيد
٤٢	الأمين
٤٣	الأمين
٤٥	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالتطبيب والتجمل ونحوهما
٤٧	ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

صفحة	
٤٩	عذل الملك في مجلس الشراب
٤٩	مكاملة الندماء للولوك
٥٠	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	آداب اليطانة عند قيام الملك
٥٢	عدم الدق من الملك، إلا بشروط
٥٣	الاستماع لحديث الملك
٥٣	(كلمة لعمرو بن العاص عن جليسه وثوبه ردائه)
٥٤	(كلمة لشعي من قوم يتناقدون ويتغامون)
٥٤	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهل عن حسن إلفهامه وحسن فمه
٥٤	ما حصل لرجل كان أنوشروان يسيره
٥٥	ما وقع لأبن خبيرة الرهاوي حينما حادثه معاوية
٥٨	ما وقع لأبن بكر الهذلي حينما حادثه السفاح
٥٩	(كلمة أبن عياش المستوف في آداب المحادثة)
٦٠	(كلمة روج بن زنياع في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة أسماء بن خارجة الفزارى في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة معاوية في هذا الموضوع)
٦١	آداب أهل الزنبي بعد المضاحكة مع الملك
٦١	تنكر أخلاق الملوك
٦١	صبر الملك على مفض الحقد حتى تحين الفرصة للانتقام
٦٢	معاوية أنوشروان لمن خانته في حريمه
٦٥	نكبة عبد الملك بن مروان بمن فازعه الملك
٦٦	نكبة الرشيد بالبرامكة

فهرس کتاب "التاج"

[illegible]

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خلقُ النديم
٧١	آداب التديم في المزاملة ، وعلومُه
٧٢	عُدّة الملك في نروجه لسفر أو نزهة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك للملّاعبه
٧٢	حقُّ الملّايع على الملك
٧٣	ملعبة ساور لنديمه على أمرٍ مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكُرّة وفيها
٧٤	لعبة الشطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت الملك سنةً من الزوم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مسامرة الملك
٧٧	سنة أكابر العجم عند تهنيتهم للسائرة

صفحة	
٧٨	ماحصل للربذ أثناء مسيرته اقتباز
٧٩	ماحصله لتُرحيل أثناء مسيرته لمداوية
٨٠	تحذير من يسائر الملوك
٨٠	تطير العجم من مسيرة الملك المنصاة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسمّاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما ناله الهاشمي لأبي سلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الاسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه
٨٩	الأمور التي يتفرد بها الملك في خاصته
٩٠	الحاماة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إمتحان أبريز رجاله في حفظ السر
٩٥	إمتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	إمتحانه من يطمئن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	سائل يبرأ من سرقة اللجام المُحل بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فهرس كالب "الساآ"

صفءة									
١٠١	تفاقل معاوية عن كيس الدناير
١٠٢	الرد على قولهم: "القبون لالموء ولا مأبور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣	كلمة الحسن بن على بن أبى طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليان بن عبد الملك والأمراني الذي أخذ رداه
١٠٤	جعفر بن سليان ومارق الدرّة الرائعة
١٠٤	لكرام أهل الوفاء وشكرهم...
١٠٥	قُباذ ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعد بن عمرو الخزوي في مجلس السفّاح لمروان بن محمد الجعدي بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأساورة المقربون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شبرويه ومادحه على قتل أبيه أبرر بن
١١٠	المصور العباسي والضارب رأس أين عمه الخارج عليه بعد قتله
١١١	المصور العباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الادب عند ما يتكلم الملك...
١١٢	الأدب في تحديث الملك
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك...
١١٣	عدم إعادة الحديث مرّتين على الملك
١١٣	كلمة رّوح بن زئباع في المعنى
١١٤	كلمة الشّمي في المعنى
١١٤	كلمة السّفّاح في المعنى
١١٤	قطة ابن عياش المتوف في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

١١٧	(عود لك) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالإنصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحد بالعيب في حضرة الملك
١٢٠	تحريض الملك بين رجاله
١٢١	آداب السفير
١٢٢	سنة ملوك العم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقيله ...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم
١٢٤	السنة النبوية في النرم
١٢٥	إطلاع الوالدين فقط على منام الملك
١٢٥	معاملة الإبن للملك
١٢٥	ما فعله يزجرد مع أبته بهرام ، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا
١٢٦	ما فعله معاوية مع أبته يزيد
١٢٦	ما فعله المهدي مع أبته الهادي
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم
١٢٧	واجبات ابن الملك
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك
١٢٩	الحيلة في معالجتها

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ما صنعه مازيار المضطك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه روح بن زُبَاع لإضحاك عبد الملك بن مُرَّان واستعادة رضاء طليح ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهلهل الحمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحقوة
١٣٧	صفات المقربين
١٣٨	كلمة أنوشروان، وأمثولة "كليلة ودمنة"
١٣٩	صفاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك، ونظام التشریفات... ..
١٤٤	جوائز البطانة وصلاحهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والبروز، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم اقتدى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	هو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تطييب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكریمًا لرجالهم، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس کتاب "التساج"

٦٣	العقوبة الربانية للملك الظالم
٦٤	ما صنعه بهرام جور لأخذ ملك أبيه
٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
٦٧	الملوك والخلفاء الذين آسثهروا بذلك
٧١	التمييز بين الأولياء والأعداء
٧٢	بماذا تطول مدة الملك
٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
١٧٣	سنة الأاطم إذا دهمتهم الكوارث والعظام
١٧٥	ما فعله معاوية أيام صفين
١٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأعمش عليه
١٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	مكايدة الملوك فى الحروب
١٧٧	خدعة بهرام للعدو الذى قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أرويز (ملك الفرس) فى حرب الروم، قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

التنويه بالأمر الفتح بن خاقان، الوزير العباسي ١٨٦

٣ — ملحقات الكتاب

١٨٩	تكيل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحيحات لأغلاط مطبعية
		استدراك لهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلبية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي آفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطاً للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

٢٣٥	والتكيل	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي
			الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكيله	
٢٤٣		الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكيله
٢٥٩	» »	الرابع بأسماء الأئم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
		» »	الخامس [دع الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

كتاب "التاج"

—•••—

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل أسفاتها، كما بُدئ
بالنعمة قبل استحقاتها"^(١).

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج"، وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك"،
نظرة عامة
في الكتاب، ولفه.

هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف، ومنشأ أرباب
الغايات؛ أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدحم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده،
مما تقرأه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صدر سهل بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر "البیان والتبیین"

(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب: قد جعله الجاحظ مرآة يُعَبَّلُ فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حَفَلاتهم الرسمية وحُشودهم العامة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية اقتبس العربُ بعضُها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام: لا سيما بعد ما سادت المسوِّدة من آل عباس، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرر الخلافة سابعهم، الميمون النقيية، المبارك الناصية، وأعني به المأمون بن هارون. وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل نُرسان وما والاها، على ما هو معلوم.

هذا الكتاب: تتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسئ الجاحظ خُطَّته ومنهاجه فيُسرد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفة في تلك الأيام، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام.^(١)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من غول البغاء. قال الجاحظ: "لو شئنا أن نقول إن سره بالليل رونمه بالهار خصلة ملوكية، لقلنا. ولو كان خلاف ذلك أَلَد، لكنت الملوك بذلك أولى". أنظر كتاب الحيوان، (ج ١ ص ١٣٧). وقال المحدثان في "صفحة جزيرة العرب": "ربما آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام أن بنى ألف كتابا سماه "التصريف الملوك".

(٢) كان السواد شعورا لبنى العباس، وكان أشياعهم يرتدون به. ولذلك سماهم التاريخ "المسوِّدة" [بكر الوار المشددة]. أما بنو أمية فكان شعارهم البياض، وذروهم والمتصرون لهم يسمن "المبيضة" [بكر الياه المشددة]. وقد أصرّ الجاحظ والمؤرخون على أن يقولوا: "سود أهل المدينة القلانية" أو "بيضوا"، دليلا على أنفوائهم تحت لواء العباسيين أو أنفوائهم إلى بنى أمية.

(٣) أنظر ساشيتي (رقم ٥٤، ص ١٤٦)، ثم (ص ١١ من ص ١٦٠) من كتاب "التاج". وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا القليل.

هذا الكتاب : شرح لنا فيه المحافظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية، وفي أنديتهم العمومية، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم، وقصصهم في ليالي أنسهم، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم، ومسارح هويهم، ومراتع طربهم . وناهيك بحالهم في الأغاني والمنادمة، وبجامعهم في الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم في المسيرة والمباصرة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأمائل في أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن المحافظ آستخدم بعض التصانيف التي وضعها الفُرس في هذا المعنى^(٢) . بل زاه قد أنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى إيراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف آستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "حرّاء" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتدانية . وقد آستعمل المحافظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البيضاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة ورلى الدعوة إذا جاء رسوله . والقوم في أحزبتهم وأنديتهم . فقال : أجبوا إلى طعام فلان . لجلهم جفلة واحدة . وهي الجفالة . وذلك هو المحمود . وإذا أنقز ، قال : قم أنت ، يا فلان ؛ وقم أنت ، يا فلان . فعدا بعضاً وترك بعضاً ، فقد أنقز" . [والقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلورن "أخوتهم" بالخاء المعجمة . ولا راحة للاجرام في هذا المقام ، والإجمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل المحافظ صفحات كاملة من آيين الفرس وتواينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج، وأنظر أيضاً (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل يهذين الأستطاردن الطوليين العربيين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف باسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرا مكتوما في ضمير
الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير ما لا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتججح فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظَفِرْتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طُوب قُبُو^(١) بمدينة أَسْطَنْطِينِيَّة في مجلدة
- هي لعمرى ! - من أنفس النخائر التي خلقها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لابن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه " الأدب الكبير " بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى كما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية المروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : " يتلوه كتاب " التاج " للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَترَعَانْ مَا تَجَزِدْتُ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلِدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصَوُّيرِ الشَّمْسِيِّ ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النَّيْلِ - فِي جُمْلَةٍ مَاتَصِيدُتُهُ مِنْ مَفَاخِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلِدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجِدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ ، فَهِيَ خَلُوٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ أَلَتْ إِلَيْهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مَقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْجَزْئِيَّةِ أَوْ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وَرَائِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكِتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةً مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةُ مَكْتُوبَةٍ فِي أَسْفَلِ طَرَةِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحُلَيْي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النُّسخَةُ مَكْتُوبَةً فِي حَلَبِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وهذه المجموعة مشكولةٌ من أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ . عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصِحُّ الِاعْتِدَادُ بِهِ أَوْ الِاعْتِيَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، إِنْ لَمْ تَقْلُ فِي أَغْلِبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنَّا - مِمَّا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ - إِذْ أَنْ حَلَبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عُيَالَةً تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ الْمُحَمَّدِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حِوْزَةِ خُلَفَائِهِ إِلَى أَنْ أَتَرَعَهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانَصُوهُ الْغُورِي فِي سَنَةِ ٩٢٢ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

في ضمن الغنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فاما "الأدبَان" لابن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير^(٢) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصري الذي كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمته بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلد التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ هـ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذي سبق لنا الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما آتته إلى وُسعي وبلغه مدى جهدي . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استمالتها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والأئمة

خلق بفضل مؤلفهما التقدير .

أو "بخزاني الزكية" في القاهرة - أننى راجعتُ في هذه السبيل أكثر من حسنة ديوان في اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ في بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل ، ولكننى في أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالقَلْ !".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الحافظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابغة بزية لم يَسْرَكُهُ فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدري أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلمه ماعِثَتِ أَنَّ أصبحتَ متاعاً مُشاعاً ومَهَباً مُقَسِّماً بين قُرَّسانِ الكتابة وقُرَّصانِ الأدب . فقد يما سطا عليها المتقدمون من أرباب الأفلام ، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مبأحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طُرْفَةً لكل خاطف، وثمرَةً لكل قاطف .

قاعدة قُتِرَها القاضى الفاضل ، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! أفا تراه قد سجلَ اعترافه على نفسه ، وشرَّعَ هذا المورد لمن اقتدى به أو حاول البحرى على سَنِّهِ ، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما الحافظ ، فما منا معاشِرُ الكُتَّابِ إلا مَنْ دخل داره ، أو شُنَّ على كلامه الفاره ، وخرج وعلى كتفه منه الكاره" ؟

(١) لذلك أنصرتُ في الفهرس الأبجديّ الأوّل من الفهارس الملحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنصعتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها في الحواشى وفي تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الروافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" في ترجمتهم للحافظ . [والكارة ما يحمله الرُّمْلُ على ظهوره من الثياب . وهى تقارب التى نسبها الآن في مصر "بَقْبَعَة" . كلمة تركية ، وصريتها الفصحى "بَكْمَة"] .

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برُمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بقرا أو يمسحونها مسحا . وكأني بهم قد تماؤزوا كلهم على عدم الإشارة إليه ، اللهم إلا في النادر .

أمرٌ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه ، وفيما علقته عليه من الحواشي والشروح ، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات" (١) .



لكن العجب العجيب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب ، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين ، مع شدة التنقيب والبحث ، ومداومة التقلب والحرث .

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل ، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج" (٢) .

من أين هذا
الغيب ؟

- (١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب النادرة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .
- (٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتدبره" . وفي "تاج العروس" : "الحرث تفنيش الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبدالله : أُرثوا هذا القرآن ، أي تشوهه وتؤروه" . ومثل هذا في لغة الفرنسيين حرث الأرض وحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une terre و Cultiver une science (٣) مع أنه هو المكتوب على طرزة النسخة المحفوظة بمخازن طوب قيو ، كما تراه في أحد الروايات المتنوعة التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الراموز المطبوع (ص ٧٥) التالية [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبر] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضائها -
مشكلها .



فَرَعْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد توه بعض مصنفاته في مقدمة مصحفها
الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" (١) وفي تضاعفه أيضا ، وكذلك فعل في "البيان والتبيين" .
ثم رجعتُ إلى ثَبَتِ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (٢) ، وراجعتُ ما كتب
عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات" (٣) ، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" (٤) .
ونظرتُ فيما أورده كاتب جلبي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أَرَى كل ذلك أثرًا لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوبًا إلى الجاحظ . ولكنني
وجدتُ لياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلبي يذكرون كلهم لصاحبنا كتابًا
عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلتُ أن الكتاب واحدٌ ، وله اسمان .

أُكِّدُ ذلك الظنَّ عندي وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية
من هذا الكتاب لاتزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها
"كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . وله نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشقيطي بدار الكتب
الشعرية . قتل الصلة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فثأته كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذي تم طبعه أخيرا بالقاهرة بناية صديق الأستاذ م. جوليوت ، المستشرق الإنكليزي
(٣) وقد استحضرت القطعة المتعاقبة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطبر
الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة
جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . قلها لـ بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو فداد
D. Francisco Codera . المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابر (Imad al-Din Chahab) المستشرق
الفرنسي ، فأتخفى بصورة دوفرافية منقولة عن النسخة المخطوطة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) ،
فله مزيد الشكر على هذه المونة الأدبية .

وقد وضع بعضهم في طزتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرئاسة"^(١).

وقد حصلت، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (س) وتمكنت من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه السخنة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتها . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دذا نصها : "وكان في النقل منها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيما مزدوجة .

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان . أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وابن شاكر الكتبي . على أني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوكة" .

عرد إل التحقيق
في سم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طزرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آسّم ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو ، فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ لليلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الروايز الفتوغرافية (Fao-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خُلُو من العنواين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“. بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئا على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان فى ضاعيفه وثناياه كتب أخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل فى تلك الخزانة نفسها . لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قبو، قد اقتصر على ما رآه فى صدر الورقة الأولى ؛ وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمه الله عليه“ دون أن تكون هنا لك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معا، وذلك لأنه لم يرد فى طرزة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاص له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرزة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصنفى“ وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمه الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقى الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قبو، واحداً واحداً، كما أتيح لى منذ بضع سنين. وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

عدد الكلام على
اسم التاج
والكتب المتأمة
بهذا الاسم



وهناك باب للتلفظ. ذلك أن المتقدمين كثيراً ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة^(١).
وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها عناوين مختلفة، بل هو نفسه يسميها
بأسماء، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل^(٢).

وبعد، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مولعاً بأبن المقفع، ومُعجباً به وبآثاره.
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعةً لذلك الكتاب
العظيم، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان"^(٣)؟

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين.
فأخاره نفر من صدور الصدر الأول، وعنونوا به بعض كتبهم، مجازاةً لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب العلاج وما تفاعلت به ملوكهم".
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "ألفها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي للملوكهم"^(٤).

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت. فإنه مشهور أيضاً باسم "إرشاد الأريب"، وباسم "طبقات
الأدباء". ومثل ذلك كتاب المقرئ، فإن اسمه "المواظ والأخبار"، وهو مشهور باسم "الخطط".
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون؟ وأشياء ذلك كثيرة جداً يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث، أراك يقول الجاحظ: "كل من كان كلماً بغيرها كان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب". أنظر كتاب الحيوان (ج ٣ ص ٧٣).

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان: "من هو الجاحظ، وما هي مصنفاته؟" وسأشرها فيما بعد.
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية. وذكره صاحب كتاب الفهرست. وطلبه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"

المطبوع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢).

(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج ، لأبي عبيدة ، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب المهرست (ص ١١٨) . [رمله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الإحاطة الذي أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦١) ، ولا ما أورده ابن تينبة في كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر القفطي في كتاب "إساره الرواء على أنباء النعاه" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" (أصل السمة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأثير في "تذمة الألباء" ولا السيوطي في "بستان الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وأبو خير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" في مادة (ح م ر) لم يذكرأ له غير كتاب الديباج . وما ينبغي النبه إليه أن العبارة التي نقلها صاحب "تاج العروس" عن جرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) راها واردة بنصها تقريبا عن "كتاب الديباج" أيضا في كتاب "الكامل" للرد (ص ٣٧٢ من طبعه ليسك و ص ١١ من ج ٢ طبعه القاهرة) . وهي واردة أيضا مع زيادة وتقص ملاحظتين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التعريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد القفطي وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم تقيمه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاتيح العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحل على العنان بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا في مثالبهم .

- ٣ - كتاب التاج، لابن الراوندى، المتوفى سنة ٣٠١. [وقعه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(١) في كتاب سباه "السبك"^(٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المنتوج^(٣) في العدل والسياسة"^(٤).
- ٥ - كتاب التاج، لابن فارس، صاحب "جمل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع. هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره^(٥).

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أثار كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيهقي في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الزاء والميم (وأظفر أعداد ٢٠٦٠، ٦٦٦٦، ١٣٢٤٢٠ من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فأنفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم، طبقات الخفية، تاج الحرة للعري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المؤكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج الملل، تاج الفرق، تاج السريرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحيلة ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كيمية العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح وجزأ في مرقع، تاج المعارف وتاريخ الخلائف، تاج الفرق في تحليلة علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخازن باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، التاج الخ.

إلى هنا أتتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

فمن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... ألاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلفًا، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريبًا فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئًا من أسمائها فى "مرآة الزمان" .

ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جدًا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شكٍّ مُريب .

ويزداد هذا الشكُّ متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجموعته قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته وبجائته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتثقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يُؤبَّه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاق لا دفتر تبين وبيان، وأنه
خاصٌّ بموضع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

نظرة فى أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل ماراقه من الآداب التي دقنها الفرس في آيينهم وقوانينهم، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سانحة أو هزّته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي اللمبة الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) البابة معناها : الحذف، الوجه، المصلحة، الشرط، القليل، النوع . وأستعملنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بابة الكلب، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بابه " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا تميم بن مقبل، هذا محل الشاهد منها :

بني عامر، ما تأمرؤن بشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" مصنف الكلبيين الأولين من السطر الثاني من البيت الأول (كما صنف وحرف ومسح وشوّه في كثير من المواضع التي لا تمتد ولا تحصر) فأوردها هكذا " يخبّر بابات " ولكن الصحيح ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول في مادة (ب وب) مثل رواق وقد فسر بقوله : ممنا تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البغلاء : " أنت من ذى البابة ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة " (ص ٤٥ ، ١٤٣) =

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يماثلها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سماتهما .

= ومثل ذلك (في فتح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة لندن، ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إِنَّمَا أَزْرِي بِقَدْرِي أَتَى «لَسْتُ مِنْ "بَابَةٍ" أَهْلَ الْبَلَدِ ...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا ذال الناس : من باب، فمناه من الوجه الذى أريد به ويصلح والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الغاية" .

وقال البيروني فى كتاب "تحقيق مالهند" : وبسببه أقول فيها هو ما بقى منهم ... (ص ١٢) .

وفي "شفاء الغليل" أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرماية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتوردة بدعية فى أشعار راقية . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظل : نشئ يجمى . وشئ يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧) .

(١) أنظر ص ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان إلى تلك الزاوية على طبعه وتحيته^(١).

ولكنه مع هذا التكرار الذى نراه فاشيا فى كتبه، ومع هذا الانتقاد الذى عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته فى نفس كتاب "الحيوان" ثم فى كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه فى تضاعيفهما يذكر الحكمة التى تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كلها حانت له نُهْزَةً أو تجددت لديه الفرصة، بل كلها تراعى له شق ضئيل يفضى به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع فى التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل فى بعض كتبه ما قد تقدم له فى بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر فى كتابه هذا لنشأن منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بله نجد ما هو أبلغ.

أفأ تراه ينقل فى "التاج" شيئا كثيرا مما أورده فى "البيان والتبيين"؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه فى "التاج" فى موضع واحد^(٢). ومثلهما كتاب "البغلاء" فى موضع واحد أيضا^(٣).

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢ ج ٤ ص ٥١ ج ١ ص ٦٩ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أورده فى تكميل الروايات فى (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و (ص ١٩٦ عن ص ٤ ص ٤٧) وفى (ص ١٩٧ من ص ٥٣، ٥٤) و (ص ٢٠٣ عن ص ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر فى تكميل الروايات فى (ص ٢٠٣ عن ص ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التى أوردها فى "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبى سيرة وريد الأذى، نراها بنصها وحررها تهريرا فى كتاب "البغلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها فى "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الجاحظ، لكان قد أشار - ولو عَرَضاً أو مرة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان أَسْتَعْمَلَ عبارة مبهمة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب، كما أغار غيرهم على كثير من بَقِيَّةِ الآثار التي ديجها بنان الجاحظ . وقد أشرتُ إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حَلَّيْتُ بها صفحات هذه الطبعة، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثرا محسوسا ملموسا نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الجاحظ . فهذا المسعودي، قد استحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطُرَّ لنقل حُكْمِ الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل اكتفى بقوله :
”قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره“ .^(٢)

وهذا البيهقي، حذا حذو المسعودي . ولكنه تحبَّط عند ما نقل حُكْمَ الجاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه .^(٣)

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٣ و ٤) فيها، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

وهذا صاحب "معائن الملوك". سطا دلي "التاج" فنقله كله تقريباً: تارة بالحرف وغالباً بالإختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يترك الجاحظ قط، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه بأسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها^(١).

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها، كما يقول الجاحظ، قائماً في العقل مُطَوِّراً في الرأي غير مستحيل في النظر^(٢) - فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذي تتلج به الصدور. ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة، والهجج الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة الالامعة، التي ينتهى إليها العلم، ويقف عندها البيان.



وحيثئذ فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا استفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب، لأن قولهما هو الفصل الذي لا تقص فيه ولا إبرام. أعنى بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير. فكان حقاً علينا أن نسألهما، فنعد جهينة الخبير اليقين.

مر اجعة العيون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذي ألفه العلامة ابن النديم، قد طبعه الأستاذ فوجل (Fوجل) سنة ١٨٧١ في ليلسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لا نرى فيه شيئاً عن الجاحظ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد.

استغناء ابن النديم،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج (ج ٢) فيها.

(٢) كتاب "الميوان" (ج ٣ ص ١١٧).

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالجاحظ ؟

آلهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة^٢. وقد ثبت ذلك مثل وفتح التهار، بأمور ثلاثة :

أولها - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء، ويورد عنهم تفصيلات متعددة، ويذكر لهم تصانيف متنوعة، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لأبن النديم^(٣). فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسا كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإحصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "أخصي" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصي الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصائغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبيع في الاختصاص والأفراد بلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسب إلى كلمة الاختصاص، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "أخص فلان بالأمر وتخصص له إذا أقرد" . فإن كان أخصاء الإحصاء يريدون النسبة إلى المصدر، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس المائق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ٣١٥) ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

ثانيها - أن الأستاذ هوتسما Houtsma دثر على^(١) جملة تراجم مما كتبه ابن النديم (ومى غير واردة في النسخة المأبوعة) فنشرها في المجلة المتساوية للعلوم الشرقية بنصها العربى، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هى إلا تفتة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسى المشهور. ولا مشاحة في أنها كانت مبثوثة في فصل كبير طويل.

ثالثها - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء"، ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورأفاه^(٢). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفها وأفيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلقت همتى بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أفرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الروندى، الناصب، أبو بل الجبائى، الرمانى، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (٧٢٧٤٤) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه: قال ابن النديم: "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، ورأى الجاحظ".

فكان أول ما باشرت البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم طارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالّة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بـ "مكتبة" يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوبرلي .^(١)

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُبْطِ همتي ولم تُقْعِد عزمي . بل واصلت البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصبغة والضببط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فائقة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على "الواسطى" المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة .^(٢) ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالي للكلام آخر تقدم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) بعنوانها "اسم الكتاب المسمى بالتذكار الجامع للأتقار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسا غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع في تليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة. وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هوتسا هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بله في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيق : ” قَطَعْتُ جَيْهِيْرَةَ قَوْلِ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أترخص إلى أن تُنَجِّحَ لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تفریط الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد آستوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد آستوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كَفِّ المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول “ ؟

استغناء أبي حيان التوحيدى

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث التغلبي . (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التصريف بالفتح
أبن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراماً شديداً . وكانت له خزانة حكيمة لم ير الناس أعظم منها : كثرةً ونحسناً . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه وما استكتبه الفتح نفسه .^(١)

وقد كان يشمل برعايته كثيراً من أكابر العلماء^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة . ومن كان في مجلسه المفضل بن سامة اللغوي المعروف .^(٣)

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الاندلسية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتى فيه مدائح كثيرة ،
 هى من غرر ديوانه . وصنف جماعة منهم كتباً بأسمه - أى قدموها إليه - ومن حملتهم
 الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف بأسمه "كتاب
 القبايل الكبير" . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسقى
 "أخلاق الملوك" الذى سياتى الكلام عليه غما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
 فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
 "الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (مكثاً بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسمتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .
 (أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجواب" وفيها أقلام مطبوعة كثيرة .
 وليست المخطوطات من الطراز الأزل من حيث الصعة والنبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحسنا. ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسمياً أنه يتعلق بأمور، يالهها الملوك والأمراء والورداء والسادات. ونحن نعلم أنه كان فارساً مقداماً وأنه قُتل أسداً، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحتري.

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث.

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١). ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢). وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر للفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه: "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، منسوبة إليه"^(٣).

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه.

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢).

(٢) أنظر ترجمته في تحاب الفهرست.

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل).

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“. لأنه ربما يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو لملاحظ.

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذى بأيدينا. لأن كتاب ”التاج“ يتضمن فى أوله وفى آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتوبيها بذكره، وينادى صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدسمة للفتح بن خاقان^(١).

ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذى ألفه محمد بن الحارث أو لملاحظ باسم الفتح، ثم تنوَّسَ فقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلى كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“. ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود فى النسخة المطبوعة.

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده.

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث التغلبي (أو الثعلبي) الذى يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“.

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير. وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون لملاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

كلام عن محمد
ابن الحارث

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج.

(٢) فى نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر. مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التى ثبت أنها من تأليف الكوفى. أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣).

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨).

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سرى^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "سروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "مخزنتى الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف القلون (فى غير ما موضح) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥٥) .

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمده في طبع "الروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "المنهرست" في ليشك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتباره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذي بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فتمالوا بنا لسأله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتجهل به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

إستغناء الكتاب
نفسه لمرة مؤلفه

الكتاب يدل بحجة صاحبه وينادي على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب يتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطبع المتمكن ، والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثناياه وأعطافه ، وجدناه حاليا يعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتنف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصائغه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجديد ، ورب الكلام الذي له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تحريفا كثيرا ، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشي المتقدمة (ص ٤٠) .

ورونق، وفيه قزة العين وجلاء الصدر . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصياغة النثر والنظام وجهازة المعاني .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها ^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحببه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يجارى المعنى : بطريقة تهش لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب، وهنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا، وتترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فأنا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لخطته ؛ ويحتاج إلى أهل المنزل، كما يحتاج إلى أهل الجلة والعقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم الخفن .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٣٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خميس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا ابن صناعة دينية كآبن حائك أو نجار ، ولو كان يعلم النيب مثلا .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك . فأجل الأمور وأحراها بأحلافه أن لا يؤاخذه بزلة إن سبغته ، ولا بلفظة إن علبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحق في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حلى ونفسه رعى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ ماله ، قاله دونه ، وكان إذا شتم غضب وأنتصر ، وإذا تكلم ، أضحى بقل سقطه : فإذا كانت هذه صفة ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أنماها وبغصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسلطانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقنة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أتم على رأسه رصافية بهامة نرسودا لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أحجبه فص ياقوت تصي يده منه . فنظر إلى هيئة ملأت قلبه ، وكان جسيما ، فقال : ” يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وهيمة ماتصالح إلا لواحد من الخلق “ . فأنصرف فلم يأت حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يفضب على الرجل من محامته ، والرجل من حامته وبطانيته : إما بلطانية في صلب مال ، أو بغياة حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتيق ذلك في اللحظة والكتابة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نكنا نعلم أن طبائع الناس الانصراف في أول أوقات الجلنابات وبعد أول بوادر الغضب .

بعض مصادره

ثانياً - إن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدتها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "المحافظ" .

فقد آتت المحفوظ على ^(١) ابن نجيم وعلى إبراهيم بن السدي بن شاهك وعلى محمد ^(٢) ابن الجهم وعلى ^(٣) صباح بن خاقان .

وكذلك شأنه في النقل عن ^(٤) "كَلِيلَةِ وَدِئْتِهِ" .

أما المداخيل والهيم والشرق ^(٥) بن القطامي، فالتقل عنهم كثير جداً في كل كتبه .
فلا فطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصدد .

تكرار المحفوظ
وترداده

ثالثاً - إن المحفوظ مشهور بالتكرار والترداد. وهو أمر نشاهده أيضاً في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

(١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩) .

(٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ج ٥ ص ١٠٣ ، ١١٩ ، ج ٧ ص ١٢) وفي "البغلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ١٢٩ ، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "المنش والنساء" (ص ١٦٧) .

(٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البغلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥ ، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٢٤ و ٣) .

(٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦) .

(٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨ ، ج ٧ ص ٢٩ و ٣٠) .

- ١ - في كلامه على 'تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكيفية الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حليث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على 'آداب أهل الزلفى' بعد المضاحكة (ص ٦٨، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالة على 'وجوب الاحتياط على' الملك عند الدق منه (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب
براهها المتأمل بغير عناء .

شارحه إلى كتبه
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

واعلم قائل يقول ، إذا رأنا قد حكمنا في تخالفا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك
العرب ؛ "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذزم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيقال في اللفظ ويستدعى
في المقال . وأرسلت الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظري في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة
"الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"الهستان" لا تختمل أن تكون موضوعا
لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق
الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب
الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى
ضن بها علينا الزمان ؟

بعض التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهابية

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظارة المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه ونصحيح مسوداته وتجاريبه ، ثم أقطعت لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتاد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار سافت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فمقد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التبايف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمته خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فصفحتها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتباي وسروري حينما عثرت في جملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرع فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسميها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعى كلمة كلمة وحرفا حرفا . نألفت في "الحليية"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي
أعتمدتها في طبعى، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحليية"
من التحريف الذى قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحدا ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الزائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذى
يعيننى منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التى فيها فائدة جوهرية، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هى التى أكتفيتُ بتحريرها في باب
عنونته باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيجات" حتى يكون "الناسج"
متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لى وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (سـ) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير، فلا بد لى من أن أقول
في هذا المقام إننى أكلتُ كُلا من هاتين النسختين بالأحرى، وأتعبتُ نفسى كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها الناظران الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن
تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأننى شئتُ عن ساعد الحسد ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ بكل
ما فى الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى
جاءت طبعى لكتاب "الناسج" جامعة لكل ما جاء فى النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق،
ويستغنى بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تغفلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناصح الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناها قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لي أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثشوفسكي . وقد كان قابلي بالقاهرة وفأوضتُهُ في شأن "الناسج"
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكي يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم في البحث عنها . وإني
أشكره على هذه العناية، وأهنيّ على بلوغه في فن الإنشاء العربي هذه الناية .

(كما تراه في الصفحتين التاليتين)

جسداول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى		محاسن المسلوك		مروج الذهب	تنبيه الملوک
ح ١٢ ص ١٢	ح ١ ص ١٠٦	ح ٨ ص ١٣	ح ٢ ص ٩٩	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٥ ص ١٢	ح ٢ ص ١٠٨	ح ٣ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٣	ح ٢ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٤ ص ٥٥	ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١٦	ح ٤ ص ١٢٤	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ٢ ص ٥٧	ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٣٣	ح ٢ ص ١٢٥	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ٢ ص ٥٩	ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٣٧	ح ٧ ص ١٢٥	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٣ ص ٧٨	ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٥ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ٨١	ح ٤ ص ١٣٤	ح ٣ ص ٥٦	ح ١ ص ١٣٢	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٢ ص ٨٢	ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ١٤٠	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٣ ص ٨٣	ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤١	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ١ ص ٨٨	ح ٢ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ١٦٠	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٢ ص ٨٨	ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١٦٢	ح ١ ص ١١٢	
ح ٢ ص ٩١	ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ١ ص ١٦٣	ح ٣ ص ١٢٠	
ح ١ ص ٩٤	ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٢ ص ١٣١	
ح ١ ص ٩٩	ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ١٧٥	ح ٣ ص ١٣٢	
ح ٥ ص ١٠٠	ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٤ ص ١٧٦	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٢ ص ١٠١	ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٢ ص ١٨٠	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ٢ ص ١٠٢	ح ١ ص ١٩٧	ح ١ ص ٩٥			
ح ١ ص ١٠٤					
المحاسن والأضداد		العقد الفريد	الطبري	الأغاني	مناظرات الراغب
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٩
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤	
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢				
ح ١ ص ٨٨	ح ١ ص ٨٨	ح ١ ص ٨٨	ح ١ ص ٨٨	ح ١ ص ٨٨	ح ١ ص ٨٨
ح ٣ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨
ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧
ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر).

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للثن، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندي يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندي .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
خمسة .

الأرقام المكتوبة في العلة () على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى أعتدتها في الطبع) .
أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقته وفهارسه ، فوضعتها في أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ — الحركات

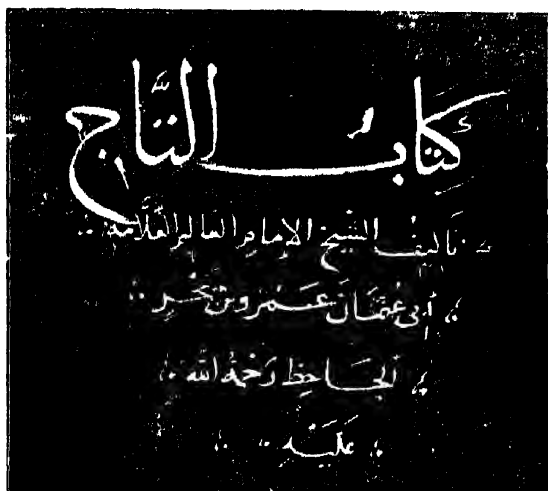
هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .
» » » » بكتريين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحيتين .
عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - ء -) لئلا تكرر متنازة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال ؛ اللهم إلا إذا كان مما يوجب النوق المصرى العبرى .

٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية ، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر ، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الرموز الأول)

تتخلل فيه علامة السعة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سه)

وهذه النسخة محفوظة بمخزاة طوب قيو بالقسطنطينية ، رقم ١٣٣ أدب .

كتاب التيمم في اخلاق الملوك

تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر

الحاشي المشهور بالجاحظ توفاه الله

بغفرته ورضوانه

دفع به الشيخ محمد بن الأثير في كتابه
الذي هو في التيمم في كتابه
الذي هو في التيمم في كتابه
الذي هو في التيمم في كتابه

(الرموز الشان)

تتلى به طرة النسخة الثانية المخطوطة بخزانة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف صـ في هذه الطبعة

أَلَيْسَ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ مَرْثَدَةَ بِكَ وَسَمِعَ بِكَ مَا كُنْتَ أَتَى بِهِ
 مِنْهُ وَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ مِنْ جَرِيئِهِ وَتَوَلَّى وَتَوَلَّى وَتَوَلَّى
 فَاتَى مِنْ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْحَدِّ وَبَقِيَ بِالْقُلُوبِ وَتَوَلَّى بِالنَّارِ
 بِالْمَوْتِ فَقَالَ - سَمِعْتُهُ بِالْحَايِبِ أَجْلَهُ إِلَى الْجَلِّ فَتَأَلَّى
 كَمْ كَانَتْ أَرْوَاقُكَ فِي حَيَاتِهِ أَبُو بَرْدٍ قَالَ كُنْتُ فِي دَائِمَةٍ مِنَ الْعَيْشِ
 قَالَ فَمَنْ زَيْدٌ فِي هَذَا قُلْتُ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي دَائِمَةٍ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرَأْتُكَ أَبُو بَرْدٍ فَانْصَرَفَتْ مِنْهُ نَحْنُ سَمِعْنَا مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَأَدْعَاكَ إِلَى الْوُضُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنْهُ رِزْقًا
 وَلَا تَوَلَّى فِي نَفْسِكَ وَمَا الْعَايَةُ وَالْوُضُوعُ فِي الْمُلُوكِ وَنَحْنُ
 رَجِيَّةٌ فَأَمْرًا نَنْزِعُ لِسَانَهُ مِنْ قَفَاهُ زَكَتَ عَنْ يَدِهِ إِلَى
 أَوْ تَحْتَ جَنْبِ الْبَيْتَانِ بِمَا لَا يَجِبُ وَوَحْدَتِي
 مَبَاحٍ بِنِهَايَةِ قَالَ حَدَّثَنِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمَّا أَتَى بَرْدًا
 ابْنَهُمْ مِنْ عَدِيٍّ فَوَضَعَ يَدَيْهِ جَاءَهُ صَاحِبُ الْأَنْبَاءِ
 الْوُزَيْدِيَّةِ فَضَرَبَ الرَّاسَ بِتَوْدٍ كَانَ يَدُهُ فَقَالَ
 الْمَنْصُورُ الْمُسْتَبِ ذِي وَجْهِهِ فَذُقِ الْمُسْتَبِ أَنْتُمْ قَالَ لَهُ

(الرموز الثالث)

يقتل فيه إحدى صفحات الفسحة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

ويقالها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

٢٩

الآن وعرفت من هذه القصة أنه قد سجد بين وكثر لشوا قال شاكراً فأنصرت
بسبعين بدعاً وأدبرته كالموت عز الدار قال وكان الرشيد
في أخلاقه أي في بعض منطها كلها التي في أخلاقه فإنه كان يفرق فاعلم
أي العباس والمهديين وما أخبركم أنه رأى يشرب الماء المالح فكذبته وكان
لا يضر شربه الماء حتى جواربه ومن ثم طرقت له فأنه فتحرك حركة بين
الحركتين في القلعة والكثرة ومن بين خلفه بني العباس من حمل
المغنيين مراتب، ولما ناس على ما وضعهم الله فيهم وأفرسان وكان
أبراهيم وأحمد جامع وزلزل في الطبقة الأولى، كان زلزل فيهم فيغني
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن داود وعمر والزلزل ومن
أشبههما والطبقة الثالثة أصحاب المعازب والويع والطناير
وعلى قدر ذلك كانت خرج جوارهم وميلانهم فكانوا فاعلم
وأما الطبقة الأولى بآباء كثير المنظر جعل لصاحبه الذين
معه في السعة نصيباً منه وجعل للطبقين اللتين تليانه منه

(الأمور الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصونيا (وهي صفحة ٢٩)

و يتألفها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الخبير
الكبير احمد على تنابح الآله وتواثر لغايبه وترادف منته واستوفته
بما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبهه له ولا منقر
الذي جل عن الاجبار والتبعية والتجديد والتمثيل والحركة والسكون
والثقل والزاك والتصرف من حال الى حال لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي هدانا على وضع كتابنا هذا ما كان فيها ان
الله عز وجل لما خلق الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واول الامر منكم ومنها ان اشتر
العامة وبعض الخاصة لما كانت تحمل الاقسام التي يجب للملك عليها
وان كانت متسكة بحملة الطاعة حضنا اذ ابنا في كتابنا هذا لان جعله

عياالك فهدت في العدة فقال كذبت فبعت وقال يا نفس من
 أين علم أني كذبت فانت سنة لا أجترئ على كلامه ثم رفعت اليه
 زقعة اخرى في اجرا الزق فقال كم عياالك فقلت اربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بجري على عياله كذا وكذا ولو لا ان يطول
 الجواب في اسحق وذبح وجينا منا قبله ليكن عنه اجارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وفيما ذهنا وكناية والله اعلم بالصواب

هذا التاليف من جمل
 كتبه العرفانية
 ليعلم ان هذا هو
 في هذا الكتاب

(الرموز السادس)

تتلى فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتا)

كتاب التاج

للجاحظ

بمحقق أحمد زكي باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.“

أحمدُه على تتابع آلاءه، وتوابع نعمائه، وترادف منته، وأستهديه وأستوفقه لما يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتثبيل، والحركة والسكون، والثقل والزوال، والتصرف من حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه ونبيّه! ابتعثه على فترة من الرسالة وطُمُوس من الهداية ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين. ”لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ“ والعرب، تَبْدُ أَوْلَادَهَا وَتَنْسَافِكُ دِمَاءَهَا وَتَبَاوَحُ أَمْوَالُهَا وَتَعْبُدُ آلَاتَ وَالْمَرْيَ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى. فصعد بأمر ربه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن ص ٥.

(٢) الوارد في ص ٥: ”تناوح“. ولما كان السياق يدل على التناهب واستباحة الأموال، فذلك صححت الكلمة بردها إلى مادة (ب وج). قال في لسان العرب: ”وَالِإِبَاحَةُ شِبْهُ التَّهَيُّ، وَقَدْ اسْتَبَاحَهُ أَيْ أَتَبَّهَ“. على أني لم أعرط هذا الحرف مستملاً بصيغة التفاعل.

دينه، وجاء بما أعجز الحز. والإنس أن يأتوا "يمثلوه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا." فاستل الله عليه ودي ببيع المرسلين. وخصه بسلامة من نوافله دون العالمين! و عليه السلام ورحمة الله وبركاته! ^(١)

أما بعد،

فإن الذي حدا إلى وضع كتابنا هذا معان:

منها أن الله (عز وجل) لما خص الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومنحهم في البلاد، وخطم أمر السباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيمهم وتقديسهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. يقال في محكم كتابه: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ." وقال عز وجل: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ." ^(٢)

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي يجب للملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمحبة الطاعة - حصرا آدابها في كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها وإماما لتأديها. ^(٣)

وأیضا فإن لنا في ذلك أبررين: أما أحدهما فلما نهبنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل ماثل عنها ورده كل نافي إليها.

ومنها أن سعادة العامة في تجهيل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك: "مساعدة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المبالك."

(١) الفقرتان المصورتان بين نجمتين * مأخوذتان عن ص ٥.

(٢) في ص ٥ تأديتها.

ومنها أن الملوك هم الأئمة والرعية هم البناء، وما لا أس له مهيدوم.

ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هيناً، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة^(١)،
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيخها، إذ فضّلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى بضيع ولا خامل؟

بلي قاله تعالى حكاية عن مضي منهم: "وَرَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا
السَّيِّئَاتِ." وقال تبارك اسمه: "اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ."
وقال جلّت عظمته: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي جَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ."
وقال جلّ وجلّ: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ."
وقال تقدست أسماؤه: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْنَةً."

وقال تبارك وتعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُخِيرُكَ عَلَيْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."
وقال عز وجلّ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعق خلقه وأشدهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره: "أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى."

(١) فسرهما في صه بالشجاعة. وحينئذ تكون مبالغة للفظه Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صه: ملهنا.

فَلْيَتَّبِعُوا الْحِكْمَ هَذِهِ الْأُجُوبَةُ إِلَى وَصَلَتِ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِغَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَدْنَانَ عَنْ شَيْبَانَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا" قَالَ: كَنِيَّاهُ ^(٢).

⑤

وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْخَاطِبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ أَدْعَوْا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ ، وَقُلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ ، وَجَعَلَهُ الْجُمُعَةَ بَعْدَ مُجْمَعَتِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَرَأَيْتُمْ - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْأَدَابِ وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ عَاسَنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ نَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخِصَالِهَا

إهداء الكتاب

هَذَا الْأَمِيرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَا

وَعَلَى طَلِبِهَا مَتَابَرًا ، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا رَاعِبًا ، لِيَبْقَى لَهُ دَرَّةٌ وَيَحْيَا بِهِ سَائِرُ سَائِرِ الظُّلَامِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ !

(١) فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَدْنَانَ عَنْ مُقَدِّمٍ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ [

(٢) فِي هَامِشِ صَحِيحِهِ: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُنْيَاتٍ: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مُرَّةٍ" . وَأَقْلَرُ كَتَبَ التَّفسيرِ ،

وَأَقْلَرُ "الْمُسْتَرْفِ فِي كُلِّ نَفْسٍ مُسْتَرْفٍ" لِلْأَبْنِيِّ (ج ٢ ص ٤٤) .

الفاتحة^(١)

*وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصف أخلاقه، بل نعيّز عن نهاية ما يجب له لو رُمت
شرحها . وأيضاً فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلف وأغور ذهن
وأحد فكراً، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم، ولا يحيط بها فكر . وأنت تراها
تتزايد منذ أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلاً، وبالجمس معارضة^(٢) .

- ولعل قائلاً يقول: إذا رأنا قد حكمنا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض وأغضب هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عياناً وتشهده عينك^(٣)
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقو لها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد .
وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان لل فقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : ونشهد عليك بيانا .

باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه



الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

(١) إن كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك، أن يقف منه بالموضع الذي لا يتأذى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً، فإن استنداه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها. ثم تتحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أومأ إليه بالتعود، قعد؛ فإن كلمه، أجباه بالتخاض صوت وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أمري.

الاولساط
سلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استنداه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقفت أيضاً، فإن استنداه، دنا نحواً من هذوه الأول، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك بجارية، فإت ذلك، وإن كان فيه على الملك مُعانة، فهو من حقه وتعظيمه،

(٣) وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق عن يمينه أو شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً لللك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أى الداخل.

(٢) صه: لقت.

(٣) هكذا في سه. صه. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم يزوجها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صه: عن.



ولا كلام. وإن استنداه، دنا خُطى وهو مُطرقٌ ثم رفع رأسه. فإن استنداه، دنا خُطى أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قصد مُقِعا أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع القهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو منسك لا يجاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

استقبال الملك
للأمرين له
وتنديهم

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبع والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خُطى ويعاقله، ويأخذ بيده فيُقعد في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحس حظه ومنته ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فسادٌ وحدث ضغائن بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادي والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للوار وداعية إلى التحارب.



وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الأنصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدأته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خُطى يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سره : "نقنا" بدون إيراد "جاثيا" التي تليها. وأقع الرجل رأسه نصبه أو لا يلفت يمينا ولا شمالا ويجعل طرقة موازيا - (قاموس) - [أنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صر : الشريعة .

(٣) صر : خدمه .

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبائهم. وبهذه السياسة أخذهم أودشير بن بابك، فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبروز فغيرها. فكان مما اعتد عليه شيرويه، أبه، في ذكر مثالبه ومعائبه.^(١)

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يُطيل أحدٌ عنده القعود. فإن أخطأ مخطئ في ذلك، فليمن إذن الملك له بالانصراف أن يلاحظه. فإذا عرق ذلك فلم يقم، كان ممن يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالم له ولنفسه.

(١) أبروز هذا كاتبه الذي يدعو للإسلام فزق كتابه وقال: "يكتب لي هذا، وهو عبدي؟" فدا عليه النبي بمقرب ملكه. استبد فارس فوثب عليه أبه شيرويه (وهو أيضا شيرى) بغية وأرسل إليه ينحى عليه ما ركبته من المثالب والمحابب في رسالة "خشنة بقطر منها الدم في قفريه بأفاعيله" ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتابا إلى النبي في جلته: "أما بعد فإني قلت كسرى، ولم أقتله لأن غضبا لقارس لما كان استعمل من قتل أشرافهم وتجبرهم في قفروهم" [وتجبر العساكر بحسبهم في أرض العادى وهدم إربابهم إلى وطنهم]. وهذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فلات بطة أخاض المؤرخون في وصفها. ومن غريب الاختافات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يرضى عليه في الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل للتبر بن العباسي.

ومن غريب الاختافات أيضا أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالمسحورة الذي قبيل فيه شيرويه أباه كسرى أبروز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فلن من زمان بالقوش. ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ما قهره: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبروز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضا صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكتبوا عليه ما قهره: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل أبيه عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعض المقرين بإحراق هذا البساط القبيح حتى لا ينفطن الخليفة لما فيه من البيرة، ولكن أين إلفه إلا أن يكون ثالث الثلاثة. (الضمايل في "غرر أخبار القروس" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطبري سلسلة ص ٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤، ١٠٧٤)

وسلسلة ص ٣، ٤٩٦ وأبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما إليها؛ وفي "المحاسن والمساوي" ص ٥٩٢-٥٩٣. وفيه أيضا أن أبروز أنتم نفسه قبل أن يموت فوضع ثوبا في حقة ركب عليها ما يغري الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رأها شيرويه تعامل بها فكانت طلة التي أعطاها هلاكة (ص ١٣٨)

[وأخر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في سره، ص: "فإن إذن له الملك بالانصراف أن يلاحظه". وقد صحت الرواية لبسقم الكلام.

باب في مطاعمة الملوك

تخفيف الأكل
بضرة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحدٍ وأتبع به حتى طاعمه - أن لا ينسقط بين يديه في مطعمه. فإن في ذلك خللاً مذمومة:

منها، أن أبساطه يدل على شرهه؛

ومنها، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز،

ومنها، أن فيه جرأة على الملك بسط اليد ومدّها وكثرة الحركة.

٩

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد، إلا أن يكون الأكل كَيْسَرَةَ التَّرايس أو حفصاً^(١) الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فاما أهل الأدب وذوو المروءة، فإنما يحظّهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأُنس الذي خصّهم به.

(١) أورد المحدثون هذين الاسمين هكذا: "ميسرة التار" و"حاتم الكيال". وسمى طابع الابنهي "أولياً" "جسرة البراش". وقد وردا، هما والرابع الإسفهاني، نوادر كثيرة لطيفة للمشاهير الأتكة تكمن في الإشارة إلى مواطنها المرجوع إليها. ولذا كررنا أسماءهم بالترتيب، وهم: أبو الحسن بن بكر المتوفى الشاعر، أبو العالية، أبو مرة، أحمد بن أبي خالد الأحمول، أحمد بن أبي ذؤاد، إسماعيل بن أبي ذؤاد، أبو العتاه، بلال بن أبي بردة، الجراح بن يوسف الثقفي، حصص (أرجاسم) الكيال، درواس، دورق القصاب، وهمان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي)، العادل الأيوبي (سلطان مصر)، عبيد الله بن زياد بن أبيه، عمرو بن حفص بن عبد الملك، قنف الملقم، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المصممي، مزود، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي)، ميسرة (البراش وألتراس وألترار)، هلال بن الأسمر، هلال بن سعد المازني، هلال بن مسعود التيمي، وزوجته، الواقفي (الخليفة العباسي). (أنظر "المقدّمات" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦؛ و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١-٤٠٢ ج ٦ ص ٢١٥-٢١٨ ج ٧ ص ١٧٠ ج ٨ =

* قال: وحدثني إبراهيم بن السندی [بن شاهك^(١)] عن أبيه، قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا ببدائه، وقال للفتى: أذنته. فقال الفتى: قد تفتيت. فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن خطابه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الجباب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجال من عمومة الفتى فشقوا^(٢) الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شئت أغضيت على ما فيها، وإن شئت سألته وأتم تسمعون. قالوا: فسله! فدعا الربيع، وقصصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف. فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة^(٣) التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت. "وإذا ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سدة خلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل^(٤)."*

= ص ١١٠، و"تجارب البخله" لملاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦، و"الأعاني" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧، والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "هياة الأرب في فنون الأدب" للنويري؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في أزل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبري سلسلة ٣ ص ١٤٠؛ و"بدائع الزهور" لأبي إلياس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرشي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأعاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المداخي كتابا في "أخبار الأملاك" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعرا.
- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كان في "الحاسن والمساوي"].
- (٣) أي الفتى. [وروي الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والبيان" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة.
- (٥) هذه الفقرة المخصوصة بين التجمين* مقولة عن صه. وقد أوردتها صاحب "الحاسن والمساوي" بعبارة أخرى (ص ١٧٢).

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحزاني^(١)، قال: "كنتُ أحضر على ما تده إسحاق
 ابن إبراهيم، وأنا وهاشم ابن أنحى الأبرد والباقدى. فكنتُ أعد على مائته ثلاثين^(٢)
 طائراً، فأما الحلو والحامض والحار والقار، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأى من ذلك^(٣)
 كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما تكسر الخبز بأظفارنا. " قلت: فما كان يشتطكم؟
 قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى نتهب.

وكذلك يجب للولك أن لا يشره أحد إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يلا
 بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الأكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه،
 أو من أشبه هؤلاء، ويكون أيضاً ممن يقصر بعد الأكل^(٤) ويطيل المندامة، ويجعل
 ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء.^(٥)

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحداً في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم
 والنهم، أخرجوه من طبقة الحد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار
 والتصغير.

(١) سم: عبد الرحيم. ورواية صم: ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلاً بهذا الاسم
 (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق وهو الذى سجد
 ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

(٣) سم: "الحزاني قال كنت أعد على مائة ثلاثين". والتكيل عن صم.

(٤) صم: وبالبرد.

(٥) أى: نصيب منه. يقال: إنه قليل الرزق. من الطعام، أى قليل الإجابة منه. (تاج الدروس)

(٦) يتنسه.

(٧) صم: "هؤلاء، ولا يكون إلا من يقم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة وباختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد
 الملوك للشرف لا للشرف".

والملك - وإن بسط الرجل ل طعامه - فمن حقه على نفسه وحق الملك عليه أن لا يترك آستعمال الأدب ولا يميل إلى متهوى طبيعته ، فإنه من عرف بالشره ، لم يجب له أسم الأدب ، ومن عرف بالثم ، زال عنه أسم التميز .

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً ، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه ، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه ، إذا رأى ما يشتهى من بسطه لها .

وحسب الرجل - إذا أنحفه الملك بحففة على مائدته - أن يضع يده عليها . فإن ذلك يجره ويزيد في آدابه .

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقها ، نظر إليه معاوية فقال : هل كان بينك وبينها عداوة ؟ فقال له الحسن : هل كان بينك وبين أمها قرابة ؟

بين معاوية والحسين
أبي علي بشأن
دجاجة

(١) صه : ويجب علي الرجل .

(٢) أي يكفي .

(٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك . (ص ٢٩)

(٤) صه : "بين يدي سيد حليل دجاجة" .

(٥) صه : "وبين أمها" .

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستعارف" وعلق عليها قوله : "أراد معاوية أن الحسن أن يقر مجلسه كما تقرر مجالس الملوك ، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة" . (ج ١ ص ٢١٣)

(٦) تفدى رجل مع بعض الرؤساء ، فقدم إليه جدياً ، فبغضيل يمين فيه . فقال له الرئيس : إنك لتفرقه حتى كأن أباهم يهلك ! فقال له : وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك . فنجعل وأقطع . (أنظر "مطالع البور

في منازل السور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في ياصمته وسائر
قواعد ملكته

إنا هذا الكلام الذي دار بينهما قد قرح^(١) في قلب كل واحد منهما ، ومعاوية لم
يفل بهذا القول ، لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة .

فكيف يكون ذلك ، وهو يكتب إلى أطرافه وعماله وإلى زياد بالعراق بإطعام
السابلة والفقراء وذوى الحاجة ، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسمها وجوه جند
الشام ؟ ولكن علم أنت من حق الملك توفير مجلسه وتعظيمه . وليس من التوفير
والتعظيم مد اليد وإظهار القرم وشدة التهم وطلب التشيع بين يدي الملوك وبمحضرته
وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيد^(٢) .

اختبار سابور زيل
رشته لقضاء القضاة

ويقال إن سابور ذا الأكثاف^(٣) مات مؤبداً مؤبداً ، وصنف له رجل من
كورة إصطختر ، يستلح قضاء القضاة في العلم والثألة والأمانة . فوجه إليه ، فلبس قديم ،
دخل عليه . ودعا بالطعام ودعا إليه . فدنا فأكل معه . فآخذ سابور دجاجة فنصفها .

(١) معناه جرح . وفي سر : " قدح " .

(٢) هو زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته . وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ
والأدب . (وأنظر " العقد الفريد " ج ٢ ص ٦) . وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة
الأوائل ومسامرة الأوائل) . ولدا بنى كتاب في أخباره ، وتجاوب في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء
لباقوت) . ولهم بن عدي كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية ، وذلك تصحيف
من التاج أو الطابع ، ولا فلا خلاف في أنه زياد بن أبيه .

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرهما ، وطائفة تقول بالروايتين . والصواب الكسر
دون سواء ، وهو الذي اعتده الإمام الذهبي في كتاب " المشته في الأسماء " ، وكذلك العلامة رشادص
في معجمه القاري العربي الإنكليزي .

(٤) تعريب شاه بور . وسماه العرب ذا الأكثاف لأنه آتصر عليهم نلغ أكثافهم .

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وبقيت وظيفة الموبد أي القاضي إلى أوائل الدولة
العباسية ، للقيام بأمور المحبوس الذين دخلوا في الذمة .

٩

١٠

١٥

٢٠

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه، ثم أوما إليه أن كُل من هذه، ولا تخطِط بها طعاماً، فإنه أمرأ لطعامك. وأخف على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كنعو ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور يلحظه.

١٢

فهما رُفعت المائدة قال له: ودّع وأنصرف إلى بلدك! فإك آباءنا وسَلَفَتنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرِه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيّة والسُّوقَة والوضعاء أشدَّ شَرهاً." فلم يستكفيه على ما كان أحضره له ^(٢)

عدم النظر للملك
عند مؤاكلته

ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرّك يده معه في صحفة.

التسوية بين الملك
و بين مدعيه

ومن قوأتين المُلْك أن توضع بين يدي كل رجل صحفةٌ فيها كالذي بين يدي الملك

من طعام غليظ أو دقيقي أو حار أو قاذ، ولا ينحس الملك نفسه بطعام دون أصحابه. ^{١٠}
لأن في ذلك ضعة على المُلْك ودليلاً على الاستئثار.

(١) في سر: لم يستكفه. وأملها محرره عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيراً ما يستعمل الجلاط وحيره. استكماه بمعنى ولاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاء" وهم العال أهل القدرة على العمل والنهوض به. [انظر ص ٥٥٧-١١٧ من هذا الكتاب]، وشبا أيضاً "كافي الكفاء" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صفي) في وليمة كانت لم: فف بالباب، فأجيب من لا تعرف وأدخل من تعرف. فقال: والله لا يكون أول شيء استكفيه منع الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخصاص ص ٩٢). وهذا. وربما يجوز أن تكون محررة عن "لم يستكفه" أي "يجده كفواً". والذي في ص: "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن نفسل ومحدد". [وليس الجملة بقية، وهي مبتورة ومشقة، كما ترى].

(٢) وردت هذه القصة بحروفها ما عدا بعض ألفاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد". وهي مختمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعزل فيه عليه". ووردت أيضاً مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

ومن حقَّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرته يديه من خاصته ويطأته، إلا أن يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك أنفاه. ومن العدل أن يُعطى الملك كلُّ أحد قسطه، وكلُّ طبقة حقها، وأن تكون شريعة العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه رعايتها والمثابرة على التمسك بها، وإيناس الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى يسوَّى في ذلك بين المملوك والنمط الأوسط والعامة.

وليس أخلاق المملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يُسبَّهون في شيء. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضعة. فأما المملوك فيترعون عن هذه الصفة ويحذرون عن هذا المقدار.

ومن حقَّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلِّ من الحاف بها حتى يتواروا عنه بمجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذن ثانٍ.

ومن قوانين الملك أن يكون منديل كمنديل وجهه في النقاء واليباض، وأن لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يُجَنَّد.

(١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.

(٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في صم.

(٣) في سم: "لا يسبَّهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في صم.

(٤) أراد "الحائنين" فوضع المفرد في موضع الجمع، استعمل "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.

(٥) في سم: "عمره" بالهمزة. وصوابه بالمعجمة، والنسب بالتحريك زنج اللحم وما يعلق باليد من دمه. وهو ياكل ما نسيه الآن في مصر: فوطه الدفر. وليست هذه العبارة واردة في صم.

حديث الملك
على الحاشية

ومن حقَّ الملك أن لا يُحَدَّثَ على طعامه بِحَدِيثٍ جَدٍّ ولا هَزْلٍ. وإنِ أبتَدَأَ بِحَدِيثٍ، فليس من حقِّه أن يُعَارَضَ بِمِثْلِهِ، وليس فيه أَكْثَرُ مِنَ الاسْتِمَاعِ لِحَدِيثِهِ، والأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ.

زمزمة الفرس على
الطعام وامتاعهم
من مطلق الكلام

ولشيء ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قُدِّمَتْ موائدهم - زمزموا عليها، فلم يَنطِقْ ناطقٌ بِمُحَرِّفٍ حَتَّى تُرْفَعَ. فَإِنْ اضْطُرُّوا إِلَى كَلَامٍ، كَانَ مَكَانَهُ إِشَارَةً وَإِيمَاءً يَدُلُّ عَلَى الْغُرُضِ الَّتِي أَرَادُوا وَالْمَعْنَى الَّتِي قَصَدُوا.^(١)

١٥

(١) الزمزمة: تراطُّ العُلُوجُ عَلَى أَكْلِهِمْ، وَهِيَ صُوتٌ لَا يَسْتَمْلِكُونَ لِسَانًا وَلَا شَفَةً فِي كَلَامِهِمْ، لَكِنَّهُ صُوتٌ تَذَكِّرُهُ فِي خِيَاشِمِهَا وَطَوَاقِهَا، فَيَفْهَمُ بَعْضُهُا عَنْ بَعْضٍ. وَقَدْ زَمَزَمَ الْعُلُجُ، إِذَا تَكَلَّفَ الْكَلَامَ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَهُوَ مُطَبَّقٌ لَهُ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الزمزمة كلام المحبوس عند أَكْلِهِمْ - زَادَ ابْنُ الْأَثِيرِ [فِي النِّهَايَةِ]: هِيَ صُوتٌ خَفِيٌّ (عَنْ تَاجِ الْعُرُوسِ). وَذَلِكَ يَرَادُ قَوْلَ الْفَرَنْسِيِّ Murrorter.

قال في مروج الذهب: "ذكرنا أن كيو مرث هو أول من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يُوَدِّى إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْجِسْمِ مِنْ أَخْذِ مَقْعُورِ الطَّعَامِ. فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء للقبالة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التفتل إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضررت ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائماً، أدى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميزة الفكرية لهذا الجسد المرقق. وفي ذلك ترك للحكمة نزوح عن الصواب." (مروج الذهب طبع بإديس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك.

وبمناسبة الزمزمة، نرى ما حكاه ابن النديم في كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ في "البيان والبيان" إن "الزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حُرِّبَتْهُمُ الْأُمُورُ وَلَزَّتْهُمُ الشَّدَائِدُ، جَلَسَ خَطِيبُهُمْ عَلَى مَا عَلا مِنْ الْأَرْضِ وَأَطْرَقَ، وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشَبْهُ الدَّمْدَمَةَ وَالْهَمْزَةَ، فَيَفْهَمُ عَنْهُ الْبَاهِقُونَ. قال الجاحظ: وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه. وأقوله أعلم."

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم، فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويُسْقِل رُوحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جراحة بقسطها من الطعام، فيفتدئ بها البدن والروح الحلية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، آخذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل كثيرة هي في آيهم تركا ذكرها، إذ كانت لهمست من جلس كتابنا هذا.

(١) ترجمه : وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب وأستعملوها . ومعناها القانون والمادة . (وانظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "الف القياط" في تصحيح ما تستعمله العامة من المعرب والمذيل والغلط : ماضه : "آيين بمعنى العادة . وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة . أجمعي عربيه المولودون . وفي الكشف : ليس من آيين الملوك استراق الظفر . " وعلى هامشه للسيد نور الحسن ماضه : "آي في سورة الفل . قيل لدى القرنين : ثبت على العذر ! فقال : ليس من آيين الملوك استراق الظفر . وقال مهياري في قصيدته له :

يَجْمَعُ الْغُرَيْتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهَوَّيَ بِأَخْذِهَا آيَتَهُ

وهاتان العبارتان مقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للمفاجي . وانحرقت هو الدليل البصير بالطريق . وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند القُرس والأتراك .

وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف وتشاود من ماضه :

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhanimad, and which are called شرح). Mode, form, manner.

ولكن أ : هذا الاسم ذكره صاحب المهرست . وكلام الملاحظ هنا يدل على كتاب بعينه مضمونه القُرس مجموع القوانين والعادات والأمطلاحات المقررة عندهم . والى "آيين الأكراسة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

قال: وحدثني بعض المُحدثين قال: قال بعض الأمراء عواظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كرز القرشي] إذا كنتم عنده؟^(٣)
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن استماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عينيهِ،^(٤)
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.

قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصر كل رجلٍ عما لا يشتهيهِ، حتى يأتيهِ بما يشتهي. قال: ثم يؤتى بالخِوان،
فيتضايق ويتسّع، ويقصر ويستهبد. فإذا استغنى، خوى^(٥) تحوية^(٦) الظليم ثم أكل^(٧) أكل
الجامع المَقْرور.

قال: والجارود هذا هو الذي قال: "سوء الخلق يُفسد العمل، كما يفسد الخَلل^(٨) العِصَل."

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً، وهو أزل من جارف القضاء. كان يقول: إن الحصين يتقدمان
إلى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر، فأقضى له. (محاورة الأرائل ومسامرة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدحاً ذر الربة والحطبة. وأظهر ترجمته في خزنة الأدب البغدادي (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
في "الأغانى"، و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسها).

(٢) المثل البصري. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للمحققين المستقلين ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "المقد الفريد" وفهرس الطبري.

(٤) في الأصل وهو صر: فشاهدنا.

(٥) انظر والخواء: الجوع. والخوى: وانقواء خلوا الجوف من الطعام. وخوى خوى وخواء: نتائج

عليه الجوع. وخوى الطائر تحوية بسط جناحيهِ، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى
الأخير هو الذي أرادهُ الجاحظ، لأنه في كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "المقد الفريد" بزيادة وقص في الألفاظ والمعاني (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمين * * مقولة عن صر.

باب في المنادمة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل نداءه طبقات ومراتب، وأن يخص ويعم، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات^(١).

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهوى، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك ليعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن^(٢).



وهذه أخلاق الملوك أن يحضرم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ يجد إلى حالٍ هزل، ومن ضحك إلى تذكير، ومن لهو إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات ترفع مرة وتخط أخرى، وتُعطي مرة وتُحرم أخرى، فلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة والنصفة عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.

(١) كذا في صه، صه. [والسياق يقتض معنى المراتب].

(٢) صه: والنبل.

(٣) صه: المفتى. قال في "مهاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى أصطناع الرجال كحاجته إلى أصطناع الأموال، وجب أن يتخير لسايرته من يكون طيب الأعراف، باعثا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو يصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) صه: المرتبة.

وليس من حقّ الملك أن يبرّح أحد من مجلسه إلاّ لقضاء حاجة، فإذا أراد ذلك، فمن الواجب أن يلاحظه، فإن سكت الملك، قام بين يديه ثم لاحظته، فإن نظر إليه، مضى لحاجته. فإذا رجع، قام مائلاً بين يديه أبداً، وإن طال ذلك، حتى يؤمّي إليه بالقعود. فإذا قعد، فمقبياً أوجائياً. فإن نظر إليه بعد قعوده، فهو إذنه له بالتمكّن في قعوده.

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كية ما يشرب ولا كيفيتها، إنما هذا إلى الملك. إلا أن من حقّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصّة له، ولا يجوز به حدّ طاقته ولا وسع استطاعته، فيخرج به من ميزان القسط وحدّ القصد: لأنّه لا يأمن أن يتلف نفسه، وهو يبعد إلى إحيائها سبيلاً.

كية الشرب
وكيفية موكلائه
للك، وعليه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته، وحرصه على إحياء نفسه، إذ كان بهم نظامه.



وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من السدماء والمغتنيين، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني محصورة، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً، لأنها داخلة في أخلاق الملوك.

طبقات السدماء
المغتنيين عند الفرس
وفي الإسلام

(١) كذا في س، صـ "يرج أحد من مجلسه" بتعديده يرج من. والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه. على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يمتثلون لهذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا. فقد ورد في التبريزي "لم يرج من مكانه" و "ما برحت من مكان كذا" (شرح الحاشية للعلّيب التبريزي طبع أوردته ص ١٩٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بأرج من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧). وفي "الحاشية والمساوي" قوله: لا أرجح من بغداد (ص ١٩٣). [وأقتر ص ١٤٤ من هذا الكتاب].

(٢) سـ: قد مقما. [وأقتر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب].

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لإبي الفرج الاصمغاني. فقد توثق الجاحظ سنة ٨٢٥ هـ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦. ولا بدّ أن الجاحظ يعني كتاباً للفرس أو سفيراً آخر =

ولنبداً بملوك الأطاغم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعظم أخذنا قوانين الملك
والملكة وترتيب الخلاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصاد
عليها جديلتها^(١).

كان أردشير بن بابك أول من رتب التقدمة وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم
ثلاث طبقات :

== من أسفار الاغانى التي كانت متداولة في صدر الدولة الباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته .
هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الاغانى ولم يقيده بشئ آخر
من حيث ذكر المؤلف أو غيره . فظهر هو نفس الكتاب الذي يشير إليه الجاحظ . لان المسعودي فرغ من
مروج الذهب في سنة ٣٣٦ أى قبل وفاة أبي الفرج الاصفهاني بعشرين سنة . وهو لم يره المسعودي
ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغتنا .

ويتلخص مما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع : أولاً - أن إبراهيم بن المهدي
المعروف بأبي شمسكة (وهو جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الاغانى . وهو أول كتاب
في هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذي يشير إليه الجاحظ والمسعودي ؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي
واسماعيل بن جامع وقلبي بن العمراء فألقوا له كتاباً في الاغانى وضمنوه المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً - أن
كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الواثق ، فأمر إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بتبذيئه وتوسيعه . وقد روى صاحب الاغانى
(أبني أبي الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسماعيل بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه ، وأورد حججاً تؤيد
ذلك في مقدمة كتابه . ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "صحة : وعظم أخذنا آيين المملكة" [واظفر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .]

(٢) هذه الكلمة وردت في نسخة مهمة من النسخ هكذا : "جدد لمسا" . وفوقها كلمة "كذا" .

وقد اعتمدنا رواية صحة . وفي تفسيرها بقوله : "شأ كتبنا" . وهذا التفسير منقول عن القاموس .

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودي في "مروج

الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشر إلى أنه نقل هذه البيانات عن التاج الجاحظ . وقد جرى هو وغيره

على هذه العادة في كثير من عبارات ، كما ستره فيما يرد عليك من الحواشي . وقد زاد في هذه العبارة التي نحن

بصيدها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (أنظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

ص ١٥٣ - ١٥٩ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٣ ح ١ ص ١١٧ - ١١٨)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضطجون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوَّف ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دينية، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم النيب مثلاً.

- وكان إردشير يقول: "ما شئ أضر على نفس ملك من ناسه سجنين أو غاطية وضيق. لأنه كما أن النفس تصلح على غاطية الشريف الأدب، الحسب كذلك تفسد بمعاينة الدنيا الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويُرلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرت بيطيب، حلت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرّت بالتبن حملته ألّمت له النفس وأضرّ بعلاقتها إضراراً تاماً."

- (١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو حميد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبحرة كالأحامرة والكوفة (الصحاح) [حاشية عن صـ]. قال الخوارزمي في "مفتاح العلوم": إن العجم لاتضع أسم أسوار لأهل الرجل الشجاع البطل المشهور، وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier.
- (٢) هذه الكلمة وردت في صـ فقط. [ومعناها مصاب بأفة].

(٣) الأبنة: النيب - (ثاموس)

(٤) هذه العبارة مقولة عن آبن المقفع في "الآداب الصغرى" وفي "كلمة ودعه".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النساك وسدته بيوت النيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتاب والمنجمون؛

والقسم الرابع الزَّراع والمِهَّان وأصراهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئٌ أسرع في انتقال الدول ونحوها الملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يُرفعَ الوضع إلى مرتبة الشريف، ويُنحطَّ الشريف إلى مرتبة الوضع".

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحفاقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خطَّ الاستواء.

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلا

(١) في سر، صه: شخص.

(٢) أردشيرين بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب المروكية من أحوال الدين والدنيا، وطُلم مراتب الخلق في الديورات والدول، ونصب الموبدان موبد يعني كبير القضاة

الشهير اليوم بقاضي السكر. (عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر)

(٣) أي خدنة.

(٤) ضبطها في سر بكرالميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهنة. وهو أيضا لنادم والبلد. وجمعه يكون حينئذ "مِهَّان" مثل كاهن وكُهَّان وصانع ومُصَنِّع]. وصل هذا الوجه

الثاني ضبطها في صه.

وكان الذى يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب
الوَجْج والمعاذير والطناير. وكان لا يَزُمُّ الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من
المُغْنَيْن. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.

احتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يَزُمَّ على المُغْنَى إلا من كان معه
في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضعية إلى طبقة

(١) في سه، صه : وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب تحول الون بتشديد النون. وهى الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل
إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للفوارزى). وروى في كتاب الملاهى بيتا
للأعشى، وهو:

١٠ مَسْتَقَّ صِنَى وَوَنٌ وَبَرَبَطٌ * يجاوبه صَنَجٌ إذا ما تَرَبَّطَا
وقال صاحب شفاء العليل: "إن الوَجْج هو عود الطيب، معرب"، فأنظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد
عود الطرب. فصحبها الناصح وقات الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختصر" لأبن سَيِّدَه (ص ١١ - ١٥)،
فتعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]، أما ما زعمه العلامة دوزى من أنهم
أدخلوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولا - ورد هذا اللفظ في شعر ذى الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:

"من الطناير يَزُمُّ صَوْتَهُ رَمَلٌ في لحنه عن لغات العرب تعجب."

ومعلوم أن العرب أبعدوا فتح الأندلس في سنة ٩٢ هـ. ولا يمكن سجع سُرَاتِ أَرْغَمَانٍ لانتقال اللفظ
من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرتضاه الناس منه.

٢٠ ثانيا - إن الاسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربى بإداة
التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائعا عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقى في لغتهم بهذه الصورة
العربية. وهذا رأى الأستاذ ليناردى الإيطالى في معجمه المسمى Le parole italiane derivate
dall'arabo وهو رأى راجح، أيدها به شعر صحيح، لبدوى فتح فصيح، ثبت في المعجم الفصح، ومات
بين التبعصوم والشيع (أنظر ترجمته في الأغانى ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثّر فيه ، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى ، فيأبى ذلك . حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول : إن كان ضربي بأمر الملك وعن رأيه ، فإنه مريض عني إذا صحا ، بلزوى مرتبتي .



معاينة أردشير
نفسه لمخالفة
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمناذمة ، فاحدهما يُكَلِّم^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً . وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب ، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره ، دعا بالزامر فخلع عليه وجرّاه الخسير ، وقال : ”أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به . فهذا ثواب صوابك . وكذلك العقوبة لمن أخطأ . وعقوبتي أن لا نزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والخبث .“ فلم يطمع في يومه ذلك غيرهما .

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سننهم وحفظ نواميسهم وأخذ العامة بالسياسة الباقية والأمر اللازم .

(١) جمع مَذَبَّة . وهي آلة لطرد الذباب ، وهي التي نسميها في مصر بالمتشة . أما المراوح فعروقة ، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب ”مطالع البدر في منازل السرو“ .

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صم : يُكَلِّم .

(٣) سم : ”فهذا مرأب هذه ثمرة“ : وهي رواية مصيصة تشابه التي اخترناها في المتن عن صم

لأنها مختصرة مفيدة .

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جُور بن يَزْدَجَرْدَ، فاقرز مرتبة
الأشراف وأبناء الملوك وسَدَنَة بيوت التيران على ما كانت، وسوَّى بين الطبقتين من
النماء والمغنيين ورفع من أطْرَبَهُ - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة
الأولى، وحطَّ من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية. فأفسد سيرة أردشير في المغنيين
وأصحاب الملاهي خاصَّةً. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان، فردَّ
الطبقات إلى مراتبها الأولى.

اختلال هذا النظام
أيام بهرام جور
وعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لَدُنْ أردشير بن بابك إلى يَزْدَجَرْدَ تحتجب عن
النماء بستارة. فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً. لأن الستارة
من الملك على عشرة أذرع، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع.

احتجاب ملوك
الفرس عن النماء
ومقدار المسافة بين
الطبقات

وكان للموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نُحْرَمَ باش" ^(٢).
فإذا مات هذا الرجل وتكل بها آخر من أبناء الأساورة وسمي بهذا الاسم. فكان
"نُحْرَمَ باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان ^(٣)
في قرار دار الملك ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول: "يالسان!
احفظ رأسك، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك!" ثم ينزل.

(١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للصابي
(صفحة ٥٤٤).

(٢) سه: "نُحْرَمَ تاش". وصحنا عن صه وعن المسعودي الذي قال: "وتفسير ذلك: كن قريحاً".

(٣) في سه "يرفع". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٤) سه: "يعرب". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٥) صه: الرأس.



فكان هذا [فعلهم] في كل يوم يجلس فيه الملك للهوى، ولا يمتري أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حتى تحرك الستارة، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينتد، ويقول: افعل يا فلان كذا، وتنفى أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العظلاء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: إطرأ وإخباتا ومكوت طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رقعة وليرفعها قبل شغل فافهم ما فيها»

(١) صه: يفيض.

(٢) سه: تحول الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن المحافظ.

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثلين وظهريين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي غشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب]. والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في «مرجع الذهب» وفي «النتيجه والإشراف» أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك التبت، وكانوا من ملوك الطوائف بحد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أرديشيرين بابك وقام بأعلاء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والتمالي. والراجع أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة «الأحمر» مجرّف من الناصع للفظه «الأصفر».

(٧) سه: تنقل.

وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ أَمْرِي، وَعَقْلِي صَحِيحٌ وَفِكْرِي جَامِعٌ. “فَمَنْ سَأَلَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ حَاجَةً، ضُيِّرَتْ عَقْلُهُ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ هَذَا. وَكَانَ لَا يَرُدُّ سَأَلًا، وَلَا يُعْطَى مُبْتَدَأًا. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَلَكَ بَهْرَامُ جُورًا، فَكَانَ يَقُولُ لِلنِّسَاءِ: “إِذَا رَأَيْتُمُنِي قَدْ طَرَبْتُ وَنَجِجْتُ مِنْ بَابِ الْجَدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ، فَسَلُوا حَوَائِجَكُمْ. “وَكَانَ يُوَكِّلُ بِحَوَائِجِهِمْ صَاحِبَ السَّاتَرَةِ. فَكَانَ إِذَا سَكِرَ، مَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ بِرِقَاعِهِمْ، فَأَخَذَهَا صَاحِبُ السَّاتَرَةِ، فَأَخَذَهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَصَحَّهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ: “أَفِئْذُوا كُلَّ مَا فِيهَا. “فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا بَلَّغٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَوَائِلِ فِي إِقْطَاعِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنٍ أَوْ طَلَبِ مِئْتَةٍ ^(١) أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَبَاعًا.



١٠ وَكَانَ إِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمْ فِي رَفْعَتِهِ مَا لَيْسَ يَجُوزُ لِمِثْلِهِ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِفْرَاطِ - لَمْ تُقَضَّ لَهُ حَاجَةٌ، وَتُسَمَّى جَاهِلًا، وَلَمْ تَوْخَدْ لَهُ رُقْعَةٌ بَعْدَهَا أَبَدًا.

ثُمَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَعْدُ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ حَتَّى مَلَكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَسَوَّى بَيْنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا وَالسُّفْلَى، وَأَفْسَدَ أَقْسَامَ الْمَرَاتِبِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ اللَّهْوُ، وَاسْتَخَفَّ بِأَيِّينِ الْمَلِكَةِ ^(٢)، وَأَذِنَ لِلنِّسَاءِ فِي الْكَلَامِ وَالضَّحْكَ وَالْهَزْلِ فِي مَجْلِسِهِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ.

التسوية بين
الطبقات في أيام
يزيد بن عبد الملك

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَوَّى فِي وَجْهِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ عَلَى جِهَةِ الْهَزْلِ وَالسَّخْفِ.

أول خليفة سَوَّى
في وجهه. هزلاً

(١) صمد: "مِئْتَةٌ"، وهي المِئْتَةُ أَيْضًا.

(٢) صمد: وَدَاخِلٌ.

(٣) سمد: بِقَوَائِنِ. (أَنْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ١٩ وَص ٢٣ وَص ٧٧ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ)

قلت لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمعنيين؟^(١)

(١) في صه: لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وأبو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها. فتصّيت كل من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن حاصر الجاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين: أحدهما (وهو الذي يقابله الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت البعيد في الفناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصميّ (حاكم بفساد في أيام المأمون والمعتصم والواثق) وهو من أرباب المكائنة العالية في الأدب والرواية وقد فناء.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصميّ، لأنه من ذوى قرابة طاهر بن الحسين: قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من نخراسان، ولم يحضروا بفساد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عاين التاريخ الإسلامي. فكيف يكون إسحاق المصميّ قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجواز والصلوات؟ (أنظر ص ٤٣ في هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فما أشبهه بأن يكون هو الراوي للخبر، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مقوشة بحيث إنها لم تبق على حالها كما هي واردة في صه، صه (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدو علامات الترتيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصص تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنهى بخبر هو إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٢ و ٤٤). وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونظراً ويرفع له رأسه تها وكبراً. كيف وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبّله. فكان المقول والمتعم أن يقول الراوي مدلاً معجباً: "فضمّني وقبّني"

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم. يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠. فقد روى إمام المؤرخين وأقرب إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادي. (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر ينص تقريباً واردة في عبارة الجاحظ (ص ٣٦). لكن الطبري رواه بصيغة الغائب وصدره بقوله: "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمير (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً، أحدهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "المقد الفريد"، لكن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

قال: «وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ وَرَوَّاهُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَمُسْلِمَانُ وَهَشَامُ وَرَوَّاهُ»
 «وَأَبْنُ مُحَمَّدٍ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّدْمَاءِ سِتَارَةٌ، وَكَانَ لَا يَظْهَرُ أَحَدٌ مِنَ النَّدْمَاءِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ»
 «الْخَلِيفَةُ، إِذَا طَرِبَ لِلْمَغْنَى وَاللَّهْوِ حَتَّى يَتَقَلَّبَ وَيَمْشِي وَيَحْرُكُ كَتِفَيْهِ وَيَرْقُصُ»
 «وَيَتَجَرَّدُ حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا خَوَاصُّ جَوَارِيهِ. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرْتَفَعَ مِنْ خَلْفِ السِتَارَةِ»
 «صَوْتٌ أَوْ نَعِيرٌ طَرِبَ أَوْ رَقَصَ أَوْ حَرَكَةً زَفِيرٌ تَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ، قَالَ صَاحِبُ السِتَارَةِ:»
 «وَحَسْبُكَ يَا جَارِيَةَ! كُنْتُ! اتَّيْتُ! أَقْصَرَى! يُؤْهِمُ النَّدْمَاءُ أَقَّ الْفَاعِلِ لِذَلِكَ بَعْضُ»
 «الْجَوَارِي.»



«وَأَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَحَاشَوْنَ أَنْ يَرْقُصُوا وَيَتَجَرَّدُوا»
 «وَيَحْضَرُوا عُرَّةَ مَحْضَرَةِ النَّدْمَاءِ وَالْمَغْنَى. وَعَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا»
 «وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فِي الْمُحَبَّةِ وَالرَّقْصِ بِمَحْضَرَةِ النَّدْمَاءِ وَالتَّجَرُّدِ:»
 «مَا يُبَالِيَانِ مَا صَنَعَا.»

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسماعيل بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه باستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمتها إليه بما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والاستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفقه
 نفسه كما هو المهود في كل كتبه وتضافته، عاد إلى الحديث الأصل مستعملاً لفظة "قال" تنبيهاً للقارئ
 إلى رجوع ما أقطع ووصل ما أقصّل وأستثنا فما حدث به إسماعيل بن إبراهيم (الموصلي). فحينما كان المقام
 يذهب الجاحظ للكلام عن نفس إسماعيل (صاحب الحديث)، وضع لفظة "وقال". فذكر من عنده خبراً عن
 نفس إسماعيل بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض للباحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصل شيئاً
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، غير قوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان"،
 فلذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين "كل سطر من السطور التي ورد فيها كلامٌ دلتني السياق
 والبهت والاستقصاء على أنه من حديث إسماعيل بن إبراهيم الموصلي للباحظ. وأغلقت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندي أنه من حشو الجاحظ واستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

١٥

٢٠

(عمر بن عبد العزيز)

قلت: فعمد بن عبد العزيز؟

قال: "وما طُنَّ في سمعه حرفٌ غناء، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا."
 "فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجليل."
 "وكان ربما صَفَّقَ بيديه، وربما تَمَزَّجَ على فراشه وضرب برجليه وطَرَبَ. فأما أن"
 "ويخرج عن مقدار السرور إلى السُّخْفِ، فلا."

قلت: فخلقاؤنا؟^(١)

قال: "كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم اجتجب عنهم بعد سنة."^(٢)
 "وأشار بذلك عليه أَسِيدُ بن عبد الله [الخُرَاعِي]. وكان يَطْرَبُ وَيَتَهَجُّ وَيَصيح من"
 "وراء الستارة: "أَحْسَنْتَ والله! أعد هذا الصوت! فَيُعَادُ له مراراً، فيقول في كلها: "
 "أَحْسَنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تجدها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مُغْنٍ"
 "ولا مُلْهٍ فينصرف إلا يَصِلْهُ أو كُثُوفٌ، قَلْتُ أم كَثُرَتْ. وكان لا يُؤَنِّعُ إحساناً"
 "وَيُحْسِنُ لَغْدٍ، ويقول: "العجب ممن يُفَرِّحُ إنساناً، فيتعجلُ السرورَ ويعملُ ثوابَ من"
 "وسرّه تسويها وعدة!" فكان في كل يوم ليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحدٌ من"
 "وحضره إلا مسروراً. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله، غير أنه يُحْكِي عن بهرام جُورٍ"
 "وما يُقَارِبُ هذا."^(٥)

(١) ص: فخلقاء بن العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب "ج ١ ص ٢١٦"

(٣) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر اللههاري في الطبري وقي ابن الأثير)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ ١٢٢).

(المنصور)

«وَوَإِذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، فَلَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ لِنَدِيمٍ قَطُّ، وَلَا رَأَى أَحَدٌ يَشْرَبُ غَيْرَ الْمَاءِ.»
 «وَوَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاتِرَةِ عَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَبَيْنَ السَّاتِرَةِ وَالنَّدَمَاءِ مِثْلُهَا. فَإِذَا غَشَاهُ
 «الْمُعْتَقُ فَأَطْرَبَهُ، حَرَّكَتِ السَّاتِرَةُ بَعْضَ الْجَوَارِي فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ انْخَادِمٌ صَاحِبُ السَّاتِرَةِ»
 «وَوَيْفَقُولُ: قُلْ لَهُ: «أَحْسَنْتَ! بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ!» وَرَبَّمَا أَرَادَ أَنْ يُصَفِّقَ بِيَدَيْهِ، فَيَقُومُ عَنْ
 «وَوَجَلَسَهُ وَيَدْخُلُ بَعْضُ مُجَرِّ نَسَائِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ هُنَاكَ، وَكَانَ لَا يُثِيبُ أَحَدًا مِنْ نَدَمَائِهِ»
 «وَوَغَيْرِهِمْ دَرَاهِمًا، فَيَكُونُ لَهُ رَتْمًا فِي دِيْوَانٍ. وَلَمْ يُقَطِّعْ أَحَدًا مِنْ كَانَ يُضَافُ إِلَى مُلْكِيَّةِ
 «وَوَأَوْصَحِيكَ أَوْ هَزَلْ مَوْضِعَ قَدَمٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ مَا أُعْطِيَ وَاحِدًا مِنْهُمْ
 «وَوَعَشَرَ سَنِينَ وَيَحْسِبُهُ وَيَذْكُرُهُ لَهُ.»

(٧٥)

* وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يَقُولُ: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَافَأَ، وَمَنْ أَضْعَفَ،
 ١٠ كَانَ مُشْكُورًا، وَمَنْ شَكَرَ، كَانَ كَرِيمًا، وَمَنْ عَلِمَ أَنْ مَا صَنَعَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ صَنَعَ، لَمْ يَسْتَطِيعْ
 النَّاسُ فِي شُكْرِهِمْ وَلَمْ يَسْتَرْدِهِمْ فِي مَوَدَّتِهِمْ. وَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا أَيْتَيْتَهُ إِلَى
 نَفْسِكَ وَوَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الطَّالِبَ إِلَيْكَ الْحَاجَّةَ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنْ
 مَسَائِلِكَ، فَأَكْرِمْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ.»^(١)

(المهدي)

«وَوَكَانَ الْمَهْدِيُّ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَحْتَجِبُ عَنِ النَّدَمَاءِ، مِثْلَ مَا بِالْمَنْصُورِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ.»
 «وَوَيْفَقُولُ: «أَحْسَنْتَ! بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ!» وَرَبَّمَا أَرَادَ أَنْ يُصَفِّقَ بِيَدَيْهِ، فَيَقُومُ عَنْ
 ١٥ «وَوَجَلَسَهُ وَيَدْخُلُ بَعْضُ مُجَرِّ نَسَائِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ هُنَاكَ، وَكَانَ لَا يُثِيبُ أَحَدًا مِنْ نَدَمَائِهِ»
 «وَوَغَيْرِهِمْ دَرَاهِمًا، فَيَكُونُ لَهُ رَتْمًا فِي دِيْوَانٍ. وَلَمْ يُقَطِّعْ أَحَدًا مِنْ كَانَ يُضَافُ إِلَى مُلْكِيَّةِ
 «وَوَأَوْصَحِيكَ أَوْ هَزَلْ مَوْضِعَ قَدَمٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ مَا أُعْطِيَ وَاحِدًا مِنْهُمْ
 «وَوَعَشَرَ سَنِينَ وَيَحْسِبُهُ وَيَذْكُرُهُ لَهُ.»

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين** منقولة عن صمد - وهي استطرادٌ أجنبيٌّ من موضوع الحديث .

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي . كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائلين بالدعوة
 العباسية ، ومن قواد أبي مسلم الخراساني . وكان له بلاء حسن في تمهيد الأمر لبني العباس . دخل بمجوده
 دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجمدي إلى مصر عند هربه إليها ، وفيها قتله . روى فيها
 ومنه السلاح والأموال والزيق . فولّاه عليها أبو العباس السفاح مرتين : الأولى من شعبان سنة ١٣٣ = ٢٠

«إنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سُرِّي، فأما من وراء وراء، فما خيرها»
 «ولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلَّا أني أعطيهم من السرور»
 «بمشاهدتي مثل الذي يُعطون من فوائدهم، بلعلتُ لهم في ذلك حظًا مُوقَّرًا». وكان
 «كثير العطايا، يواترها. ^(١) قل من حضره إلَّا أغناه. وكان لينًا للمريكة، سهل الشريعة،»
 «ولذيذ المتادمة، قصير المتأومة، ما يملُ نديمًا ولا يتركه إلَّا عن ضرورة، قطع الخنا،»
 «وصبور على الجلوس، ضاحك السن، قليل الأذى والبذاء.»

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيِّئ الظن. ^(٢) قل» (المادی)
 «ومن توقَّاه وعرف أخلاقه، إلَّا أغناه. وما كان شيءٌ أبغضَ إليه من ابتدائه بسؤال.»
 «وكان يأمر للغيِّ بالمال الخطير الجزيل، فيقول: «لا يُعطيني بعدها شيئاً»، فيعطيه»
 «وبعد أيام مثل تلك العطيّة.»

== إلى سنة ١٣٥. وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضا التي يحلها الآن جامع آبن طولون. وبني
 هو هناك دار الإمارة ومسجدًا عُرِبَ بجامع المبكر. ولذلك سُمي المكان كله بأسم المبكر من ذلك الوقت،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٩. ولكن الخليفة مات، فبغاه أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أبو عون بركة شهرًا. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الحوارج. فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرة،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولَّى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التعليل في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاثين سنة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الزاوية. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، استعمله على خراسان سنة ١٥٩ ثم عزله عنها سنة ١٦١. (أنظر
 الأغاني وأبن الأثير وأبي الحسن تقي بردي، في فهرسها)

(١) صم: واغرها.

(٢) سم: قصير المأومة والملاية.

(٣) سم: النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذُ بْنُ الطَّبِيبِ
 (١) سَوَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ مُعَاذٌ وَكَانَ حَازِقًا بِالْأَغَانِي عَارِفًا بِهَا: مَنْ أَطْرَبَنِي الْيَوْمَ
 مِنْكُمْ فَلَهُ حُكْمُهُ، فَنَافَهُ ابْنُ جَامِعٍ غِنَاءً لَمْ يَحْزَكَهْ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ فَهِمَ غُرُضَهُ فَنَفَاهُ:
 سَلِمْنِي أَجْمَعْتَ بَيْنَا. * فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيُّهَا؟

(٧)

- فَطَرِبَ حَتَّى قَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَرَفَعَ صَوْتَهُ، وَقَالَ: "أَعِدْ بِاللَّهِ، وَبِحَيَاتِي!" فَأَعَادَ،
 فَقَالَ: "أَنْتَ صَاحِبِي فَأَحْتِكُمْ" فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَاطَطَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ
 مُرْوَانَ وَعَيْنُهُ الْخِزَارَةَ بِالْمَدِينَةِ! قَالَ: فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا
 جَمْرَتَانِ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبْنَ الْخَنَاءِ! أَرَدْتَ أَنْ تَسْمَعَ الْعَامَّةُ أَنَّكَ أَطْرَبْتَنِي، وَأَتَى حُكْمُكَ
 فَأَقَطَعْتُكَ! [أَمَا وَاللَّهِ] لَوْلَا بَادِرَةُ جَهْلِكَ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى صَحِيحِ عَقْلِكَ وَفِكَرِكَ،
 لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ!» ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْيَةً. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَوَيْتُ مَلَكَ الْمَوْتِ قَائِمًا
 بِنَفْسِي وَبِنِسْهِ يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ. ثُمَّ دَعَا إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيَّ، فَقَالَ: «خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ،
 فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ، فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ مَا شَاءَ!» فَأَخَذَ الْحَرَّانِيَّ بِيَدَيْهِ حَتَّى دَخَلَ فِي بَيْتِ

(١) صه: من.

(٢) "تقولها"، هنا مثل "تقلها"، معنى وعملاً. وقد تحوّرت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.

- وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردتها الطبري أيضاً (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هناك حكاية أخرى وفيها الأبيات بكلمها. (أظن ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بستان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

- (٦) هو عدل هازون الرشيد. وكان من ندماه الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير

أنه كان قِيَالاً خِزَارِيَّ الأَموَالِ فِي أَيَّامِ الْهَادِي. (الأغاني ج ٦ ص ٦٧ و ج ١٧ ص ١٧)

المال، قال: كم تأخذ؟ قلت: مائة بدرية. فقال: دعني أؤامره. قلت: فأخذ تسعين. قال: حتى أؤامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فإني لآأب. يؤامره، فعرفت غرضه، فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال: شأنك! قال: فأنصرفت بسبعائة ألف، وأنصرفت ملك الموت عن الدار.^(٣)

(٧٨)
(الرشيد)

قال: ^(٤) «وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمثلها كلها إلا في العطايا»
«وَالصَّلَاتِ وَالْحَلِجِ. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي. ومن خبرك أنه رآه»
«وَقَطُّ وهو يشرب إلا الماء، فكذبته. وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه. وربما»
«وطرب للغناء فتحرك حركة بين الحركتين في القصة والكثرة».

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للفتن مراتب وطبقات، على نحو

(١) البدرية في الأصل جلد السخلة (أي ولد الضائفة أو المساعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا أسماءها على المال فسمه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البدرية كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.

(٢) في سـ، صـ: شارك. وفي الطبري: «قال الآن بيت الحق، فشأنك!» (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)

(٣) أورد صاحب «محاسن الملوك» هذه القصة باختصار لفاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للؤلؤف.

(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن «إلا» هنا معناها «غير» كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أرادته الجاحظ: لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب: رابا غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه [واظفر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التي

منعه الطبيب من أكلها. (مرج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ وعيون الأنبا ج ١ ص ١٢٩)

١٠

١٥

٢٠

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان . فكان إبراهيم [الموصل^(١)] و[إسماعيل أبو القاسم] أبْنِ جامع وزلزل [منصور البضارب] في الطبقة الأولى . وكان زلزل^(٢) يضرب ، وَيُغْنِي هَذَا عَلَيْهِ .

(١) الأسماء ، ولكن والألقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني لأبي الفرج .

(٢) كان زلزل هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد . وقد أشهر في أيام المهدي والهادي والرشيد . ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين ، فأشهرت باسمه : وأشتهرت الحلة الكائنة فيها باسمها . قال فيها قطريه النحوي :

لَوَأْتُ زُهْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْرًا * مَلَاةَ مَا مَحْصُوهُ بِرَكَّةِ زَلْزَلٍ ،
لَمَّا وَصَفَا سَلَى وَلَا أَمَّ جُنْدٍ * وَلَا اسْتَمَرَّا ذِكْرَ الدَّغُولِ قَوِيلٍ .
وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

غضب عليه الرشيد لحبسه ستين . وكانت أخته تحت إبراهيم الموصل ، فقال إبراهيم فيه :
هَلْ دَهْرًا بِكَ عَائِدٌ يَا زَلْزَلُ * أَيَّامَ بَيْغِيَا الْعَدُوَّ الْمُبِيلُ ،
أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ السَّكَاةِ آمِنٌ * وَالْعَمِيرُ مُتَّبِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلُ ؟
يَا بُؤْسَ مَنْ قَدَّ الْإِهَامَ وَقَرَّبَهُ ! * مَا ذَا يَهْ مِنْ ذِلَّةٍ ، لَوْ يَسْقَلُ ؟
مَا زَلْزَلُكَ بِسَدِّكَ فِي الْمَنُومِ مَرْدَدًا * أَبَيْكَ بِأَرْبَعَةِ كَأَنِّي مُشْكَلُ .

فرضي عنه الرشيد وأخرج من الحبس . (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ رج ٤ ص ١٢٣ و ٤٢٥٢ وأنظر شفاء العليل للنفاجي ص ١١٧ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أي صاحبه الاتحان وهما إبراهيم الموصل وأبن جامع . والذي جاء "في الأغاني" (ح ٥ ص ٤٠ .
أن إبراهيم الموصل وزلزل وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلزل ودمر برصوما وغنى إبراهيم :
حصا قلبي وراغ إلى عقل * وأقصرت باطل ونسيت جهلي .
رايت الغايات ، وكنت خزرًا * إلى ، صرمتي وقطن خيلي .

فطرب هارون حتى وشب على وجهه وصاح : يا آدم ! لو رأيت من يحصرنى من ولدك اليوم ، لسرك ! ثم جلس =

والطبقة الثانية سُلِّمَ بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ومن أشبههما .
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والوَجْج والطناير . وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم . وكان إذا وصل واحدًا من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير ، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيبا منه ، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضا
نصيبا . وإذا وصل أحدا من الطبقتين الأخرتين بصلة ، لم يقبل واحد من الطبقة
العالية منه درهما ، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه .

(٢٩)

^(٢) قال : " فسأل الرشيد يوما برصوما الزاهر ، فقال له : يا إسحاق ! ما تقول في آبن "
" جامع ؟ فخرتك رأسه [و] قال : نَحْمُ قُطْرُبُلَ ، يعقل الرجل ويذهب العقل . قال : "
" فما تقول في إبراهيم الموصلي ؟ قال : بستان فيه خوخ وكثيرى وثأح وشوك وشُرُوب . "
١٠ " قال : فما تقول في سليم بن سلام ؟ فقال : ما أحسن خطابه ! قال : فما تقول "
" في عمرو الغزال ؟ قال : ما أحسن بنائه ! " ^(٤)

قال : وكان منصور زلزل من أحسن وأحذق من برآ الله بالحس . فكان إذا جَسَّ
العود ، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله ، لم يملك نفسه حتى يطرب . ^(٥)

== وقال : استغفر الله !

١٥ وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزالا كان يضرب على إبراهيم ، يعنى الموصلي .
(١) صم : سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية) .

(٢) في سره ، صم : " الغزال " بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية) . وقد أتمدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥) .

(٣) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلي وادى الحكاية للمحافظ .

٢٠ (٤) سره : " نيايه " . وفى الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزاهر ذكر إبراهيم الموصلي وآبن
جامع ، فقال : " الموصلي بستان تجده فيه خلل والحامض ، وطريا لم يفسخ ، فأكل منه من ذا ومن ذاك وآبن
جامع زكى عسل ، إن فتحت فم خرج عسل حلو ، وإن رقت جنبه نرج عسل حلو ، وإن فتحت يده نرج عسل
حلو : كله جيد . "

(٥) هو أبو بجر الضحّاك بن قيس . يفتى نسبه إلى زيد مناة . وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم . وكان
آية فى الجلة والوقار . (أنظر ترجمته فى آبن خلكان والأغاني وغيرهما)

(١) قال إبراهيم : فغضبت يوماً على ضربه ، غفطاني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فحسبي زلزل وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فأه بغير لفظ إلا عرفت غرضه ! فكيف أخطئ وهذه حالي ؟ فأذاها صاحب الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغضبت ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سُنيْدٌ ، لم يخلق الله أضرب منه يعود ولا أحسن مجسماً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فعمله عرف فضله وتغضبت على ضربه . فإن زلزلًا يُكادني مُكايَدة القصاص والقزادين . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحصل على البريد ، فأقلق ذلك زلزلًا وغمه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سُويّت . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يُدفع إلى أحد عودُه فيحتاج إلى أن يحزكه لأنها قد سُويّت وعُلقت مثلها مشاكّة للزيرة على الدقة والغلظ . قال : فلما وُضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزل ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغنى عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جُسّ العود ، ماتم لك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذني حتى قبل رأس زلزل وأطرافه ، وقال : مثلك - جعلت فداك ! -

(٢) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن قسه . وهذه القصة من أسطرادات الملاحظ أيضا

(٣) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صر .

(٣) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والوزير هو الوزير الدقيق من الأوتار وأحكمها فتلاً (في عود الطرب) .

نكاد المؤلف قال : وعُلقت مثاله مشاكّة لثانيه . قال المفضل بن سلة النعمي في كتاب الملاهي ما نصه :

”يقال لأوتاره [أي العود] المحايض واحدتها تحيض وهي الشرع واحدتها شرعة . فها الزير ، والذي يليه

المختي ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، وألهم . ويقال للتي يسميها الفرس دساتين ،

العقب . وكل ذلك قد جاء في الشعر .“

لَا يُتَمَنَّى وَيُسْتَعْمَلُ، مِثْلَكَ يُعْبَدُ، فَمُعْجَبُ الرَّشِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَصْرَ لَهُ بِصِلَةٍ وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ.

“وَكَانَ مَنْصُورٌ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَكَرِهَهُمْ، نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحِلُّ لَهُمْ اخْتِذَ الزَّكَاةَ، فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ.”^(١)

“وَكَانَ إِسْحَاقُ بَرُّصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ:

“لَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَرُزُّ عَلَى غَنَاءِ آبَنٍ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ:

“لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلْ؟ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَرُزُّ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.”

“وَفَلَمَّا أَنَا أَكُونُ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَرُزُّ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لَصَاحِبِ

السَّتَارَةِ: اِرْفَعْهُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى؛ فَإِذَا قُمْتُ، فَأَذْفِيعُ الْبَسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.”

“وَفَرَّقَهُ إِسْحَاقُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبَسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى

مَنْزِلِهِ اسْتَبَشَّرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخَوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَبْطِئُ لِكَلَاءِ^(٢)، فَفَرَجَ بَرُّصُومًا عَنْ مَنْزِلِهِ

وَوَلَّيَ بَعْضَ حَوَائِجِهِ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يَهْتَنُّنَ أُمُّهُ بِمَا خَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا.”

“وَفَاحْذَتْ سَيْكِنًا وَجَعَلَتْ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبَسَاطِ، حَتَّى أَتَتْ عَلَى

أَكْثَرِهِ. بَغَاءَ بَرُّصُومًا فَإِذَا الْبَسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَاكِينِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صَنَعْتَ؟”

“وَقَالَتْ: لَمْ أُدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَحَدَّثَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ، فَضَحِكَ وَوَهَبَ لَهُ آخَرَ.”

“وَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْنًا، فَكَادَ

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمين *، مقولة عن صـ.

(٢) التي لا تقم العريضة لعجمة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

في الأغاني ج ٢١ ص ١٠٤ - ١١٠)

يطير طرباً، فاستماده عاتة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فاقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهب لك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحةً، كنتَ أَسْرُبُها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنا أَسْرُبُ هذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشدَّ عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهونُ عليّ.» قال: «فَلِمَ لا تَهَبُ مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاكَ بشيءٍ فَقَدْ أَلْفَى ألف أهونُ عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم.*

قُلْتُ لِإِسْحَاقَ: فَالْمُخْلُوعُ، أَيْنَ كَانَ مَنْ ذَكَرْتَ؟ (الأمين)

- ١٠ قال: «ما كان أعجب أمره كَلِّه! فاما تبذله، فاما كان يبالي أين قعد ومع من قعد.»
 «وكان لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، تَرَقَّهَا كُلُّهَا وألقاها عن وجهه حتى»
 «بقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهبهم للأموال إذا»
 «طَرِبَ أَوْ لَمَسَ. وقد رأيتُهم وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلةٍ بوقر زورقٍ ذهباً،»
 «فأنصرف به. وأمر لي ذات ليلةٍ بأربعين ألف دينار، فَمِلْتُ أُمَامِي. ولقد غَشَّاه»
 «إبراهيم بن المهدي ضياء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكبَّ عليه فقبل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صه.

(٢) يعني الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقايل. تقرب عهدهم بحلمه وأشتهارهم بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإب الأتراك لا يسمون السلطان عد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا بأسم "المخلوع".

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأفاي ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى راري الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

(٣٢)

«إبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيته»
 «ويوما، وعلى رأسه بعض غلمانه، فنظر إليه فقال: وَيْلَكَ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن»
 «تُغسل. انطلق، تَغْدُ ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك.»

ولقد حدثني علوي^(١) [الأعسر وهو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سيف] عنه
 قال: لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه، كما عنده ففتته جارية له بفناء
 تركت فيه شيئا لم يُجد حكايته. فصاح: يا زانية! تغنني انحط! خذوها! تحملت.
 وكان آخر المهد بها.

قلت: فالأمون؟

(الأمون)

قال: «وأنام بعد قدميه عشرين شهرا لم يسمع حرقا من الفناء. ثم سمعه من وراء»
 «حجاب، متشبها بالرشيد. فكان كذلك سبع حجج. ثم ظهر للندماء والمغنين.»
 قال: «وكان حين أحب السماع ظاهرا بعينه، أكبر ذاك أهل بيته وبنو أبيه.»
 ويقال إنه سأل عن إصحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) فغمزه بعض من خضر، وقالوا:
 ما يفادر تيبها وبأوأ^(٣). فأمسك عن ذكره. قال: بغناه رُزُر يوما فقال له: يا إصحاق،
 نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إصحاق: فغنى بهذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان الأمون يقعد مجلسا لغرضين الأرزاق، فكانت إصحاق هذا أول من يدخل عليه في طائفة
 الوزراء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء والمحدثين، ثم الشعراء، ثم المغنين، ثم الرماة في الحدف. (عن ذيل
 أمالي القائل ص ٩٠)

(٣) البأر هو الفخر والكبر والته. قال حاتم الطائي:

فما زادنا بأرا على ذي قسراة * غنانا، ولا زرى بأحسابنا الفقر.

نظن هذه القصة أيضا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

بِاسْرَعَةِ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْلُودٍ؟
لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * مُخْلٍ عَنِ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ.

فلما غناه به زُرُّرُو، أطر به وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرعة" في سه، صه، وفي "الأغاني" والطبري "معجم الأدباء"، وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها بحاسن الملوك. وأما صاحب المقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والزواية الأولى هي الأصق والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرعة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جميلة المنظر. [ويُسَمَّى أهل شقيط (آتيل). وفي شعارهم "ذو السرح" وهو موضع يسكن عندهم باللغة البربرية "لنوايل"، وهو تعريب له كما ترى. استغفرت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي]. ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرعة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر يا قوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ ج ٣ ص ٢٨٦؛ ج ١ ص ٥٣٦، ٥٨٠، ج ٢ ص ٧٨٢)
- وأصل الكناية عن المرأة بالسرعة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شبيهاً بالنساء. فقال حميد ابن قُورٍ في ضمن قصيدة له:

تَرَانِي إِنْ عَلَّتْ قَمِي بِسَرِعةٍ * من السَّرحِ موجودٌ على طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرِعةً مَالِكٍ * على كُلِّ سَرَحَاتِ الْعِضَاءِ تَرَوِقُ

- (وأنظر يا قوت ج ٣ ص ٧١).
- هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" اليقطيني الذين نحن بصددهما وقال كفى بالسرعة البائنة على الماء من المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)
- (٢) في صه: "سحام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "سحوم" (ج ٥ ص ١٠٦)
- وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زُرُّرُو وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.
- (٣) ممنوع أي مطرود.
- (٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".
- (٥) استحسن الأصبغي هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحائات لو اجتمعت في آية الكريم، لما تها".
- (عن الوسيط في تراجم أدباء شقيط للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١: ص ٣١١)

قال: عبدك المحفُّو المطرَح، ياسيِّدى، إسحاق، قال: يحضر الساعة، بخاءه رسوله، وإسحاق مستعدُّ، قد علِّم أنه إن سمع الغناء من بُجيد مؤدٍّ أنه سيبحث إليه .
بخاءه الرسول، تُخَدِّثُ^(١) أنه لما دخل عليه ودنا منه، مَدَّ يده إليه ثم قال: آدُنْ مني!
فأكبَّ عليه وأحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مُضْفِيًا إليه ومسرورا به .
(٢)



مسألة
الملك لندمانه

ومن أخلاق الملك السعيد تركُ القُطوب في المنادمة، وقلةُ التحفُّظ على ندمانه،
و [لا] سِيَّما إذا غلبَ أحدُهم على عقلاه، وكان غيره أملك به منه بنفسه .

٢٥

وللسكر حد إذا بلغه نديمُ الملك، فأجل الأُمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذه
رِزْلَةً إن سبقته، ولا بفعلٍ إن غلبت لسانه، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

حد الإغضاء
من الزلات

والحدُّ في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى نفسه رعى بها
في مهواه، وإن أدا: أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

مواطن
المعاينة عليها

فأما إذا دَنَى من بعريف ما يأت وما يذُر . وكان إذا رام أحد أخذ مامعه فأناله
دونه، وكان إذا شُبِّم غضِبَ وأتصر، وإذا تكلم أفصح وقلَّ سَقَطَه: فإذا كانت
هذه صفة ثم جاءت، منه زَلَّةٌ، فعلى تعيُّد أتاها وبقيصه فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه
بقدر ذنبه، فإن ترك عقوبته هذا ومن أشبهه، قدحٌ في عزه وسلطانه .

(١) الصواب للمحافظ .

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة بالمعنى المحفوظ - (ص ٦١)

(٣) لاشك أن أداة النسي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول
أمرئ القيس * ولا سيَّام يوم بدارة جُلْبَل * وأشدُّ أئمة الله أن من أهمها فقد أخطأ . (أنظر التيسيل
وشرحه وخاتمة الأثر في باب الأستثناء، وأنظر البياض الوافي في "تاج العروس" (مادة س وى) .) وأنظر
أيضا ص ١٥٧ من هذا الكتاب .

(٤) أى لنفسه .

الاقتصاص.
في العقوبة

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز أهل الجرائم عقوبة جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحق أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجرت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوكة بهذه المواضع الرفيعة ليقوموا كل ميل ويدعوا كل إقامة.



ومن أذلاق الملك، أن لا يشارك بطانته ونا معه في مس طيب ولا يمج. فإن هذا روا أشبهه يرفع الملك فيه عن مساواة أحد. ^(١) "كذا يجب على بطانة الملك ومترابته أن لا يمسوا طيبا إذا تطيب، لينتد الملك بذلك دونهم."

تقريرا لماك الطبيب
والحدا يترجمها

وليس الطيب كالطعام والشراب اللذين لا بد من مشاركة التمداء فيها. ^(٢) وأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحافته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحدا فيه. وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان، وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمر بأحلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيها أحدا. وإن الماء والعز والأهبة في التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القراءة" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهرى إلى العاصفة. ووافقه الأكتيون ومنهم الحريرى في "درة القواص" ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القرابة"، وليس هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى المحاطى في جميع هذا الكتاب. (وأظن التصحيح في تاج العروس في مادة قرب)

(٢) الحامة هي العامة، وأيضا أخصا. الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شئ أحب إليهم من أن يفعلوا شياً تعجز عنه الرعية، أو يتربوا يزي^(٢) ينهون الرعية عن مثله .



فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع التاج على رأسه، لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب رنحان متشبه به . وكان إذا ركب في لينة^(٣)، لم ير على أحد مثله . وإذا تحتم بنحائم، فغرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك القص، وإن بعد في التشابه .

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك . وطاعة أهل المملكة أن تتحاشى أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيئيه، حتى لا يأتى، إلا بد لما منه .

وهذا أبو أحبيحة سعيد بن العاص . كان إذا أعتم بمكة لم يعم أحد بعمه مادامت على رأسه . (٤)

١٠

(٥) وهذا الحجاج بن يوسف . كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثله .

وهذا عبد الملك بن مروان . كان إذا لبس الخلف الأصفر، لم يلبس أحد من الخلق خفًا أصفر حتى يترعه .

(١) في سر، صه : يفعل .

(٢) صه : أمثل .

(٣) حالة من حالات اللبس .

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأسماء الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بمخرانة كتيه . قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعتنا) : " وكان سعيد بن العاص أبو أحبيحة يعم بمكة . فإذا أعتم لم يعم أحد بلون عمامته " . وروى ذلك أيضا ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه ذو الهامة وإن " أحبيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر . والأمة والأحاح واحد وقد استعصينا هذا في كتاب الجهرة " .

٢٠

(٥) أى للندوة طويلة عالية . وكان هذا النوع من القلائس خاصًا بالأمراء، وبالقضاة أيضا (كما تدل على ذلك عبارة البيهقي في " المحاسن والمساوي " ص ٢١٣) .

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأُمس . دخل على [أحد] ابن أبي دؤاد^(٢٢) [بن علي] وعليه مِبْطَنَةٌ مُتَوَنَّةٌ من أحسن ثوب في الأرض، وقد آغَمَّ على رأسه رِصَافَةً بِعَامَةِ نَرَسوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خُفٌّ أصفر، وفي يده عِكَازَةٌ آبنوس ملوّح بنهيب، وفي إصبعه فصٌّ ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلى هيئة ملائكة قلبه، وكان جسيماً، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لَيْسَةٍ وهيئة ما تصلح إلا لواحد من الخلق"^(٢٣) .
فأنصرف فلم يأتِهِ حتى مات .

وحدثني أبو حسان الزبائدي^(٢٤) (وذكر الفضل بن سهل فترحم عليه) وقال: وجّه إلى في لَيْسَةٍ - وقد أُوتِيَتْ إلى فراشي - رسولاً فقال: يقول لك ذو الرياستين:

- (١) أي من عهد قريب من المؤلف . [وأنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
- (٢) من أكابر وجالات بني العباس وخصوصاً في دولة المأمون والمعتصم والرائق .
- (٣) هذه العبارة توضح لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes . فيؤخذ من كلام الجاحظ هنا وما يليه بأربعة عشر سطراً أن الرصافية هيّة عمّة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده . ويؤخذ من كلام ابن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضاً . ذكر ابن خلكان أن عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا، وقال إنه كان على رأسه رصافية . وقد روى صاحب الأغاني هذه الحكاية بحرفها تقريباً (بن ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسبته . فذلك دليل على أن الرصافية نوع مخصوص من القلائد المعجمة .
- (٤) صم : فظن إليه بيبية .
- (٥) يعني الخليفة .
- (٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين أمتحنهم المأمون بخلق القرآن . وهو من أهل الفتوى والرواية . وقد ولّاه المثلث قضاء مديرية الشريعة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لا يعمّ غداً على قلنسوة إذا حضرت الدار^(١). قال: قَيْتُ واجباً، وأنا لا أعلم ما يريد بذلك. وَغَدَوْتُ، وغدا الناس على طبقاتهم ومراتبهم. بغاء الحسين بن أبي سعيد إلى مَنْ في الدار، فقال: إن أمير المؤمنين يقعد في هذا اليوم ويعتم على قلنسوة، فأزيعوا عما نكم!

وحدثني بعض أصحابنا عن الحسن بن قريش^(٢) قال: لما مات القاسم بن الرشيد، وَجَّهَ إلى المأمون رسولا فأتته. فجعل يسألني عن عياله وعن أمواله، ويشكوه إلى، ويقول: كان يفعل كذا ويفعل كذا. فكان في تلك الشكاية أن قال: وكان إذا ركب^(٣) بمرور، ركب في رُصافية^(٤).

عبد الملك
في مجلس الشراب

* ومن أخلاق الملك إذا علم أن بعض الندماء قد بلغ غاية مجهوده في الشرب وأن الزيادة بسد ذلك تضر ببدنه وجوارحه أن يأمر بالكف عنه، وأن لا يكلف فوق وسعه. فإنه من تجاوز حق العدل عن الخاصة، لم تطمع العامة في إنصافه^(٥).

مقالة
الندماء للترك

ومن حق الملك أن لا يكلمه أحد من الندماء مبتدئاً ولا سائلاً لحاجة، حتى يكون

(١) يعني قصر الخلافة. والحكاية تدل على أن الواقعة حصلت بمرور، لأن الفضل بن سهل قُتل في بلده (سرخس) عند عودة المأمون إلى بغداد.

(٢) صه: الحسن.

(٣) صه: عريس. وأقرب الطبري (سلسلة ٣ ص ٦٥٢) فقد ورد فيه أمم هذا الرجل. وكان من خاصة المأمون، وقد حدثته الخليفة عن أخيه القاسم هذا (الحاسن والمساوي ص ١٨٧).

(٤) حتى أطلق الكتاب هذا الاسم، فإنما يريدون به مراد الشاهان، لا مراد روث. والأول هو أكبر دائن شراسان، وكان المأمون عاملاً عليها لا يبه.

(٥) تألف المأمون لأن أخاه كان يتعمد التشبه به؛ ولم يراع الواجب في تركه يتعبد بالرصافية في عاصمة ملكه؛ ولأن القاسم حقاً في لبسها لأنه هو أيضاً ابن الخليفة.

(٦) هذه الجملة المحصورة بين التبعين * مقولة عن صه.

هو المبتدئ بذلك. فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقبم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يَأْذَنَ له في الدخول، حتى يكون الملك يتبدى ذكره. ثم يعز إليه أنه إن عاد، أُسْقِطَ مرتبته فلم يَطْأُ بِسَاطِ الملك.

وكان شيرويه بن أبريز يقول: "إنما تُعَذَّرُ البطانة برفع حوائجها إلى المملوك عند

- ضيقه تكون، أو عند جفوة تناههم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تنابح أزمية. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسد خللتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراة العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذى حداه على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديراً أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُنقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يَمُنَّ بإحسان سبقي منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن

من المملوك بنصهم عند الضرورة فقل

(١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فرد الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي

- بغير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع بجمهورية مصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة مع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وقعود عليه عبد الملك بن مروان "البيان والبيان ج ٢ ص ١٢" وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي دؤاد المتوفى سنة ٨٢٤، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا. (أنظر آراء خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) سر: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويُذَكِّرُه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالا: جلس الحسن بن سهل في مصلّى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقلمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(١)



ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان، لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التمدد والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سكن غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ونقلته الملة.^(٢) فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب وليتها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذکر القصاص منه على بال. فاما العقوبة فلا يجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٣)

(١) كثيراً ما يرى الجاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحیوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في معة المأمون حيناً أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حيناً أفضت إليه الخلافة. (طبرى سلسلة ٣ ص ٤١٧ و ٨٤١ و ١٠٢٢)

(٣) هذه الجملة المحصورة بين التمثين * منقولة عن صـ. (ومى واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)

(٤) سـ: الأئمة.

(٥) سـ: "فاما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذا الزيادة أيضاً وجه وجيه. والضمير واجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

عدم المعاقبة
في حال الغضب

وليس الذنب بمحضرة الملك كالذنب بمحضرة السُّوقَة، ولا الذنب بمحضرة الحَاكِمِ^(١)
كالذنب بمحضرة الجَاهِلِ، لأن الملك هو بين الله وبين عباده، فإذا وجب بمحضرة
الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيَاثَةِ والتَّائِبِ^(٢) في الفساد.



ومن حقَّ الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطائته وخاصته بذلك .
فإن أوما إليهم أن لا يرحوا، لا يقعدُ واحدٌ منهم حتى يتوارى عن أعينهم .
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام .
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك .

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملةً، بل تقعد الطبقة الأولى أولاً، فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية، فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة .
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً، فمن الواجب أن يقعد من كل طبقة رأسها
ثم هَلُمَّ جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً .



ومن حقَّ الملك أن لا يدنو منه أحدٌ - صَغُرَ أو كَبُرَ - حتى يمسَّ ثوبه ثوبه، إلا
وهو معروفُ الأبوين، في مُرَكَّبٍ^(٣) حصيبٍ، غير خامل الذكر ولا مجهول .

(١) هكذا في سـ . صـ . ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التابع بالمتانة الحية: التهاق، الإسراع في الشرّ (قاموس).

(٣) المركَّب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضعف رأي^١ سلطان إليها، إما لنصيحة يسرها إليه أو لأمر يسأله عنه، فنرى الملك أن لا يَحْتَمِلَ أحداً يدنو منه حتى يُقَسَّسَ أولاً، ثم يأخذ بضيقه آذان أصحابها من يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ما جاء به، عمن يتدلى الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كاس له - ليرغب ذور النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتعزب بها إليهم.

✦ ✦

الاستماع
لحديث الملك

ومن حق الملك إذا حدث بحديث أن يصرف من حضره فكره وذهنه نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يُحدث به الملك، استمعه استماع من لم يدر في حاسة سمعه قط ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإذا في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفس^(١) إلى فوائد الماوك والحديث عنهم أقرب^(٢) وأشهى منها إلى فوائد السوق ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يُجرى الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أمأهن: جليسي ما فهم عني، ووثوبي ما سترني، وودائي

(١) في سر: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع اليأس وصحت العبارة، بناء على ما في سر وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة وقصصان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها مما قاله حكيم اليونان. لعله هلوا هو والحافظين كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد حسا. [حاشية في سر: "ورواية سر: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب].

ما حملت رَحْلِي^(١)، وذَكَرَ النَّعْبِيُّ نَاسًا، فَقَالَ: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ أَشَدَّ تَنَاقُضًا فِي مَجْلِسٍ وَلَا أَحْسَنَ فَهْمًا عَنْ حَدِيثٍ."

وقال سعيد بن سَلَمٍ [الباهل] لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُأْمُونِ: "لَوْ لَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَصْدِهِ إِلَى الْحَدِيثِ وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطْرِفِهِ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَفَرَّضُهُ الشَّرِيعَةُ وَتَوَجَّهَ الْحَرْتِيَّةُ." قَالَ الْمُأْمُونُ: "لَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا تَحَدَّثْتَ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ فِيمَا مَضَى وَلَا يَظُنُّ أَنَّهُ يَجِدُهُ فِيمَا بَقِيَ^(٢)."

وفِيمَا يُحْكِي عَنْ أَنُوشِرَوَانَ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ لَهُ (وَكَانَ لَا بِسَايَرِهِ أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ مُبْتَدِّئًا وَأَهْلُ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ تَخَلَّفَ ظَهْرَهُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، فَإِنْ آتَتْ يَمِينًا، دَنَا مِنْهُ صَاحِبُ الْخُرْسِ، وَإِنْ آتَتْ شِمَالًا، دَنَا مِنْهُ الْمُؤَيَّدُ، فَأَمَرَهُ بِحَضَارٍ مَنْ أَرَادَ مَسَايَرَتَهُ)، قَالَ: فَاتَّقَفْتُ فِي مَسِيرِهِ هَذَا [يَمِينًا]، فَدَنَا مِنْهُ صَاحِبُ الْخُرْسِ، فَقَالَ: فَلَا تُنْ، فَأَحْضَرَهُ. فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابِكٍ حِينَ وَقَعَ مَلِكُ الْخَزَرِّ، وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَنُوشِرَوَانَ هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّةً، فَاسْتَعْجَم عَلَيْهِ وَأَوْهَمَهُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ. فَآتَاهُ أَنُوشِرَوَانُ بِالْحَدِيثِ. فَأَصْنَعِي الرَّجُلَ إِلَيْهِ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا، وَكَانَ مَسِيرَهُمَا عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ. وَتَرَكَ الرَّجُلُ - لِإِقْبَالِهِ عَلَى حَدِيثِهِ - النَّظَرَ إِلَى مُوَاطِئِ حَافِرِ دَابَّتِهِ. فَزِلْتُ إِحْدَى قَوَائِمِ الدَّابَّةِ، فَسَالَتْ بِالرَّجُلِ إِلَى الْبُحْرِ فَوَقَعَ فِي الْمَاءِ وَتَفَرَّتْ دَابَّتُهُ. فَابْتَدَرَهَا حَاشِيَةُ الْمَلِكِ وَغَلَبَانَتُهُ، فَأَزَالُوها عَنِ الرَّجُلِ، وَجَذَبُوهُ فَحْمَلُوهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَتَّى أُنْزِلُوهُ. فَاتَّعَمْتُ لَذَلِكَ أَنُوشِرَوَانَ، وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَبُسِطَ لَهُ هَاكِهِ. فَأَقَامَ حَتَّى

(ما حمل رَحْلِي)
كان أَنُوشِرَوَانُ
يساره

٤٢

(١) أَنْظُرْ رِوَايَةَ أُخْرَى لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي "كَامِلِ" الْمُبَرِّدِ - (ص ١٥٠)

(٢) هَاتَانِ الْفَقْرَتَانِ الْمُحْصُورَتَانِ بَيْنَ نَحْنَيْنِ "مَقُولَتَانِ عَنْ ص..."

(٣) مَرَّ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالزَّيْ إِسْمُ جَبِيلٍ (قَابُوسٍ)، وَالتَّعَارُفُ الْآنَ عِنْدَ الْفَرَنْجِ ضَمُّ الْخَاءِ... وَأَمَّا "فَوْت..."

تغذى في موضعه ذلك. ودعا بثياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطن حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحنة. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: إقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم؛ وهذه الفائدة وتغيير هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه راجحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جلته]، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض، كان قد أبقى لي الملك ذكراً مثلياً مخلداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسر الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

فحشا قلبه جوهرًا ودُرًا راتماً ثميناً، وأستبطنه حتى غلب على أكثر أمره.

وهكذا يحكى عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوى، أنه بينما هو يسير معاوية (ما وقع لأن شجرة الرهاوى حيناً حادثه معاوية)

(١) في سر، ص: "منها" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٢) في سر، ص: "ومننا هذه" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٣) الزيادة عن المسعودي.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية بتمامها وبصرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سير الملوك من الأتباع. ونسبها إلى شيرويه بن أبريز، وقال إن الرجل هو بُندار بن مُرشيد (ج ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦). ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" (ص ٢٧ - ٢٩). وأختصرها صاحب "محاسن الملوك" (ج ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم الناس الحج وليأخذ له البيعة ويطرد عامل علي عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحر مره أو مرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة من العرب (أنظر تاج العروس في مادة ر ه و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بأسيا الصغرى فهي الرهاوى؛ بضم الراء.

(١) ابن أبي سفيان، ومعاوية يحدّثه عن يوم نزاعه وبنى مخزوم وقريش. وكان هذا قبل الهجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الملكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع ببيعه على رابية ثم أومأ بركبته إلى الفريقين، فأنصرفوا.

قال: فبينما معاوية يتحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجهه يزيد بن حجر عاتراً فادماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما مسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدّثه عن جرّان يوم كان لى مخزوم وغيرهم من قریش". وفي بعض نسخه: "جزعان". [والصواب نزاعه كما هو وارد في س، صه، ح].

(٢) س: "بكته" صه: "بكفه". [والصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجد لها نصراً إلّا ما لاحظنا والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبيه الملوك" وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٢ طبع العلامة وسننقه في مدينة ليك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في سه غائر. وفي صه غابر. [وهذه الكلمة كثيراً ما يصحّفها النساخون والطلابون. فآفة يضمون "غابر" وأخرى "غابر" وأخرى "غابر". والصواب "غابر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة الممهوزة. قال صاحب تاج العروس في مادة (ع ر د): والعازن السهام ما لا يدري راميّه وكذا من الجارة . . . والجمع العواثر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه أفرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا يقع اليقين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب. وذلك من باب التشديد في التأنم والتخرج. وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في اليقين من يروي مجرد كلام لغيره؟ ولعلهم أرادوا عدم جرّان الساء بمثل هذه الأيمان

أمير المؤمنين الحسن بن علي حتى غر فكري وغطى على قلبي، فما شعرت بشئ حتى نبهني أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك من جملك في ألف من العطاء، وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، ووكاة أهل صقيين^(١)! فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاوية ممن لا يُخدع ولا يُجارى.^(٣)
..... ولئن كان بلغ من بلاة يزيد بن شجرة وقلة حسه ما وصف به نفسه، ما كان يحدّر بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خفي عن معاوية، ولكنه تغافل على معرفة، كما وقاه حق رياسته.^(٤)

[ويروي عن معاوية أنه كان يقول: "السرو تغافل"^(٥)]

(١) صه : حاة .

(٢) روى هذه القصة في "تبيين الملوك" بالفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠). وأرددها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) صه : يحارى .

(٤) قل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كما جرت عادته. ولكنه حينما أضطر لتقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بدا من الإشارة إليه بطريق الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكتب في هذا المعنى وغيره" ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أوفى مواضعها. (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات صه. [ومعنى السرو السخا في مرودة. فيكون المراد من هذه المقولة أن الظاهر بالفضلة هو من دلائل السخا المزوج بالمرودة. ويسترد هذه المقولة أيضا صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب].

(ما وقع لابي بكر
الهدل حين احاده
السفاح)

١١١

وكذلك جِيءَ عن أبي بكر الهذلي^(١) أنه بينما هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث القُرْس، فعصفت الريح، فأذرت طَسًا من سطح^(٢) إلى مجلس
أبي العباس، فأرتاع ومن حضره. ولم تحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هذلي! لم تُرْعَ مما راعنا! قال: يا أمير المؤمنين،
إن الله عز وجل يقول: «مَاجَلُ اللَّهِ لِرَجُلٍ مِنْ قَاتِلَيْنِ فِي جَوْفِهِ». وإنما للره قلبٌ
واحِدٌ. فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحديث جَحَالٌ. وإنَّ الله،
إذا أفرده بكرامة أحدٍ وأحبَّ أن يبقَى له ذكُها، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته. وهذه كرامةٌ خُصِّصَتْ بها، مال إليها ذهني وشُغِلَ بها فكري.
فلو ألقبْتُ الخضرَاءَ على الغبراء، ما حَسَسْتُ بها ولا وَجَّعْتُ لها إلَّا بما يلزمني في نفسي^(٣)

١٠ (١) إسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق الضميمة لابن رسته ص ٢١٣). وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح، وله بحضرته مناصرة بدعية في فضيل البصرة على
الكرمة وأهلها وكان مناظره ابن عياش المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وماشيته في الصفحة التالية)
أوردتها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكلفتها في ص ١٩٠). وهو من الضملاء
في الحديث، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣).

١٥ (٢) أى أوقعت الريح طسنا. وفي ص: «فاوردت طسنا»، وقد رواها صاحب «مطالع البدر»
(ج ١ ص ١٩٢). والذى في المسعودي: «فاذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس».
وأظفر «شذرات الذهب» (ج ١ ص ٢١٧). وقد روى الزاقي الأصفهاني في «مخاضراته» (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه، فقال: كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طسٌ فترزلت منه عرمة الدار. فلم يلتفت أبو القاسم من الأمير. فقال الأمير لا يصلح
لوزاقي إلا هو.

٢٠ (٣) في المسعودي: «مجادة».

(٤) ص: البيضاء.

(٥) ص: توجعت.

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك بالأرض منك ضُبعاً لا تطيف به السباع ولا تتخطُّ عليه العقُبانُ .^(١)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتوفى يقول : لم يقترب العاتمة إلى الملوك بمثل (كلمة ابن عيَّاش المتوفى) الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل .^(٢) بحسن الاستماع .

(١) العُصْبُ (بضم الباء) العُصْد . والجملة هنا تخاوية ، بمعنى لا تؤمنَ بِأَمْرِكَ . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) . وفي المسعودي : "صعباً" . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتعديل في الألفاظ وزيادة وقصات (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "مخاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بخریف يسير صاحب "المخاسن والمساعي" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالالت المنصور العباسي ، وكان من النساء . ويعرف بالمتوفى لأنه كان يتوفى لحيشه . (ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوماً ، فقال له : تعرف ثلاثة حلفاء أسماؤهم على العين ، قتل ثلاثة غوارج مبدأً أسماؤهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العاتمة إن علياً قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، يحسن عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملج ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فأت .] فقال المنصور : إذا سقط عليه ، لساذهني ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً . وقد روى المسعودي هذه المحادثة بتفصيل أوفى (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته فألفط سياق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أولهما سم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول أسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله

ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أبا مسلم الخراساني (وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [أنظر ص ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وكان [أبو زُرعة] رَوْحُ بن زَيْنَبَ [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت أن يُمَكِّنَكَ الْمَلِكُ من أذنه، فَاُمْكِنِ أذَنَكَ من الإصغاء إليه إذا حَدَّثَ.

(كلمة روح بن زيناب)

④

وكان أَسْمَاءُ بن خَارِجَةَ [الْفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحدٌ قط غلبة رجلٍ يصني إلى حديثي.

(كلمة أسماء بن خاربة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكِّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحِلْمِ عند سَوْرَتِهِ ، والإصغاء إلى حديثه.

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمى "رَوْح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فإنه بالضم. وروح بن زيناب الجُدَامِي من رجالات بني أُمَيَّة. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين لخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه يابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجته، وباع لابن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح واليا عليها، بعد أن أُلِّيَ خطبة جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبدالله بن عمر بن الخطاب ودون عبدالله بن الزبير. (أنظرها في آيين الاثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند أبيه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأمينه وندمه وصميره ومشيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصائل لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (المقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية طريفة أوردتها في "الحامس والمسامر" (ص ٤١٩). [أنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية طريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بَشِيرِ أُنْصِي عبد الملك بن مروان واليا. أوردتها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خاربة، هو أم حُذَيْفَةَ بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أمجياة الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "نوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يزل أسماء بن خاربة شياً للسلطان (المقد الفريد ج ١ ص ٤١).



ومن أخلاق الملك، إذا قُرب إنساناً أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخولاً من لم يمر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخذاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يفضب على الرجل من حمايته، والرجل من حمايته وبطانته: إما لجنايته في صلب مال، أو لحياسانه حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلاً، ثم لا يظهر له ما يؤحش حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الاختصار في أول أوقات الجنايات وعند أول بوادر الغضب.



فأما الملوك وأبناؤهم، فليست تُفاس أخلاقهم ولا يُعابَر عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خالق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سحره ونحره. فتطول بذلك المدة وتز به الأزمة. وهو لو قتله في أول حادثته تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن

(١) الخلع والأياد. وفي "الأغانى": أنت تخضع لهذا، هذا الخلع وتسلمنى له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم: تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرقة. والمراد به هنا ما يجاذبه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صل الله عليه وسلم) بين سحري ونحري." تعنى بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الاقتراب والاتراق، كما نقول أيضاً: بين صممه وصره. (عن تابع الروس)

(٤) صم: وهو له. صم: ويقولون.

صبر الملوك على
مضض الحقد خو
تحيين الفرصة

بين هذه القِتلة وبين الأُتْرَى بعدها بعشرين سنة فرقٌ. إذ كان لا يخافُ ثأراً، ولا في المُلْك وَهْنًا.

(معاينة أنوشروان
لن خانة في حريمه)

ولما يُدْكَرُ عن سيرة أنوشروان أنَّ رجُلًا من خاصِّ خَدَمِهِ جُنِيَ جُنَايَةٌ أَطْلَعَ عَلَيْهَا أنوشروان، والرجُلُ غافلٌ عنه. وكانت عقوبة تلك الجُنَايَةِ توجب القتل في الشرعة. فلم يدْرِ كيف يقتله: لا هو وَجَدَ أَمْرًا ظَاهِرًا يَقْتُلُ بِمِثْلِهِ الْحُكَّامُ فَيَسْفِكُ بِهِ دَمَهُ، ولا قَدْرَ عَلَى كَشْفِ ذَنْبِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْوَهْنِ عَلَى الْمُلْكِ وَالْمَمْلَكَةِ، ولا وَجَدَ لِنَفْسِهِ عِذْرًا فِي قَتْلِهِ غِيْلَةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثَةِ سَلَفِهِمْ. فلذا به بعد جُنَايَتِهِ بَسِئَةً فَاسْتَخْلَاهُ وَقَالَ: قَدْ عَزَبَنِي أَمْرٌ^(١) مِنْ أَسْرَارِ مَلِكِ الرُّومِ، وَبِي حَاجَةٌ إِلَى أَنْ أَعْلِمَهَا، وَمَا أَجِدُنِي أَسْكُنُ إِلَى أَحَدٍ مُسْكُونٍ إِلَيْكَ، إِذْ حَلَلْتَ مِنْ قَلْبِي الْمَحَلَّ الَّذِي أَنْتَ بِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَدْفَعُ إِلَيْكَ مَالًا لِتَحْمِلَ إِلَى هُنَاكَ تِجَارَةً وَتَدْخُلَ بِلَادَ الرُّومِ فَتَقِيمَ بِهَا لِتِجَارَتِكَ. فَإِذَا بَسَّتْ مَا مَعَكَ، حَلَمْتَ مَعًا فِي بِلَادِهِمْ مِنْ تِجَارَاتِهِمْ وَأَقْبَلْتَ إِلَيَّ. وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ تُصْنِي إِلَى أَحْبَابِهِمْ وَتَطْلُعُ^(٢) طُلُوعَ مَائِنَا حَاجَةً إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ.

❧

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفْعَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَأَرْجُو أَنْ أُبَلِّغَ فِي ذَلِكَ مَحَبَّةَ الْمَلِكِ وَرِضَاهُ.

فَامْرَلَهُ بِمَالٍ، وَتَجَهَّزَ الرَّجُلُ وَنَرَجَ تِجَارَةً. فَأَقَامَ بِبِلَادِ الرُّومِ حَتَّى بَاعَ وَأَشْتَرَى^(٣) وَأَقْبَنَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَلَفْتِهِمْ مَا عَرَفَ بِهِ غَطَابَتِهِمْ وَبَعْضَ أَسْرَارِ مَلِكِهِمْ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى

(١) حَزَبَهُ الْأَمْرُ أَشَدُّ عَلَيْهِ، أَصَابَهُ مِنْهُ غَمٌ.

(٢) أَيْ: رَقَعْلَمْ أَمْرَهُمُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ.

(٣) أَيْ قَتَلَهُمْ وَحَفَفَ سُرْعَةً.

(٤) حَصْدَ: أَسْرَارَهُمْ.

أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في بَرّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
 المُقام بها والتربُّص بتجارته ، ففعل حتّى عُرف واستفاض ذِكْرُه . فلم تزل تلك حاله
 ستّ مسنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرُّجل
 في جامٍ من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، ويُجَعَلُ صورتهُ بإزاء صورة الملك ، ويُجَعَلُ مخاطباً
 للملك ومشيراً إليه من بين أهل مملكته ، ويُدْنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
 يُسِرُّ إليه ^(١) . ثم وهَبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا
 الجلام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
 باعه من الملك نفسه ، فعمك ؛ وإن لم يُمْكِنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
 بعض حاشيته . " فبَاءَ غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ رُكابه ^(٢) ،
 فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يَتَّخِذَ بذلك عنده يدًا . وكان الملك يقَدِّم ذلك
 الغلام ، وكان من خاص غلمانِه وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
 صاحب خزانته ، وقال : "احفظه ! فإذا صرْتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه
 عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
 على الملك . فلما وقع الجلام في يَدَي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
 صورة الرجل وتركيبه : عُضْوًا عُضْوًا وجارحةً جارحةً . فقال : "أخبرني ، هل يُصوّر
 مع الملك صورة رجلٍ خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آتية الملك
 صورة لا أصل لها ولا علّة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك أنثان يتشابهان

(١) صم : يساره .

(٢) الفرز هو الركاب من جلد غرور .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديمًا الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! فقام. فتأملته قائما، فوجد صورته قائما في الجلام. ثم قال: أذيرا
فأدبر، فتأمل صورته في الجلام مُدبرا. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجلام مقبلا.
فوجدتها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يحرث الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكك، إجلالا له وإعظاما. فقال ملك الروم: الشاة أَعْقِل من الإنسان
إذ كانت تأخذ مُدْمِيتَها فتدْفِنُها، وأنت أهديت إلينا مُدْمِيتك بيديك! ثم قال له: تَقْدِيت؟
قال: لا. قال: قربوا له طعاما. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متعلما على أموره
متتبعا لأسراره؛ بل أنت ملكٌ ونديمٌ ملكٍ إذا قَدِمَت بلاد فارس. أطمعوه! فأطعم
وسُقي الخمر حتى إذا تَمَلَّ، قال: إن من سُنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعا ولا عطشان. فأمر أن يُصعد به إلى صَرح
كان يُسَرَف منه على كلِّ مَنْ في المدينة، إذا صَعِد. ففُضِرَتْ عُنُقُه هناك، وأُلْقِيَتْ
جُثَّتُه من ذلك الصَّرح، ونُصِبَ رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المقرء بصوت الحراسة
— إذا ضَرَبَ بأجراس الذهب — أن يقول، إذا مر على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سر: نجي.

(٢) روى المقرئ من ابن عبد الظاهر "أن غادما رأى من مشرف عال ذباحا، وقد أخذ رأسين من الغنم
فلذبح أحدهما ورأى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بضمه ورمها في البالوعة.
بغا. الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطولع بهذه القضية أهل
القصر، فأمروا بعمله جامعا" (الخط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع القاهناني.
(٣) صم: يأمر بالموذ يضرب.

”وكلُّ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ تُقْتَلُ، إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لِحَرَمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ.“

فلم يدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَاذَا أَرَادَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ.^(١)

فليس في الأرض نفسٌ تصبر على مَضَضِ الْحَقْدِ ومطاولَةِ الْإِيَّامِ بِهَا صَبْرَ الْمُلُوكِ.^(٢)
ولذلك بطلَ الْقِيَاسُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَوُجَّهَتْ آراءُ ذَوِي الْجَهْلِ وَالْتِمِيزِ فِي الْعَمَلِ عَلَيْهَا
وَالْمُقَابَلَةِ بِهَا حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ وَبَنْظَمٍ مُتَوَلِّفٍ.

وكذلك يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعَمْرَوِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَشَدِّقِ، أَنَّهُ أَقَامَ^(٣)

(٩٣)
(تكملة عبد الملك بن
مروان بن
تأريخ الملك)

(١) روى صاحب ”تنبيه الملوك“ هذه القصة عن المباحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في ”الحماسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في ”الأشتقاق“ لأبْنِ دُرَيْدٍ (ص ٤٩) ما نصه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشدق، وهو الذي يلقب بطليم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذبيان قتل بطليم الشيطان ”وكذلك نزل بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون“. قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، مثل المسعودي (ج ٥

ص ١٩٨ و ٣٣٤ - ٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تلتزم على تردد حجة الملك في شأنه بضع سنين كما يصرح به المباحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حل الناس على مباينة مروان، به أنه أن اتفق معه على أن يجعله ولياً عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، قضى الشرط وجعل الخلافة لأبيه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو وليي عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلص من خاله بأيسر سبب، وحباً به أمر عمرو وهو يصابره. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: ”إنك لتطلع نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل“ إجابته عمرو: ”إستدراج النعم إليك أفادك البغي، ورائحة القدرة أدرتلك الفسلة. زحرت عما أقتت عليه، وقذبت إلى ما تركت سبيله. ولو كان ضعف الإنهتان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذل عزيز. ومن قريب يدين من مريع بغي وأسير قفلة“. قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله. ^(١) فترة يرجئه، وأخرى بهم به، ومرة يحجم، وأخرى يقسم، حتى قتله، على أنخب حالاته.

وحديثي قثم بن جعفر بن سليمان، قال: ^(٢) حدثني مسرور الخادم: ^(٣) قال: أشهد بالله! لكننت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبه، وهو يقول في مناجاته ربه: "اللهم! إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى". ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست.

(تكملة الرشيد
بالبرامكة)

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبعثته رأسه إلى حرمة له، صغرمت أم كبرت. فكمن فيل قد وطئ هامة عظيم وبعثته حتى بدت أمعاؤه، وكمن

مراعاتهم الملك

== (ج ٢ ص ٤٤) إنه سمي بالأشدق لأنه كان مائل الشدق. وأظن التفاصيل في المواطن التي نبها عليها. [وأظن الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدق وأنه كان خطيباً مقوهاً "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ وأظن أيضاً ص ١٨٤ - ١٨٥ هـ].

(١) سمى: راود.
(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذري والأغاني في فهارسها)
(٣) في الأصل: "حسن". ولا نعلم أن الرشيد غاد ما خلا به بهذا الاسم. ولذلك بدلاء بمجاده المشهور وهو: "مسرور". يؤول بذلك يضارواية "تنبيه الملوك والمكاييد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.

(٤) سمى: مع.
(٥) في "تنبيه الملوك والمكاييد" ما نصه: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لسره. وما بدأ على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد في بعض سني جهه، فسمعتهم قد ألتزم المستجار من الكعبة وهو يلتفت يمينا وشمالا، وكنت بين أستار الكعبة لم يرني. وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى". مرارا كثيرة. فلما سمعته طار عقلي ونشيت أن يعطني بي، فيكون ذلك سبب هلاكه. فأقبلت أتمعد، ولم أزل أحتال حتى استلكت من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذي استخار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مرّفته السباع وتمشّشته^(١)، وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديهما قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء، وكم من جمجمة كانت تُصان وتعلّ بالمسك والبان^(٢) قد أُلقيت^(٣) بالعرّاء، وغيّبت^(٤) جثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، وانلّختم، والأولياء! ولم يأت الشيطان أحداً من باب قطّ حتى يراه بحيث يهوى^(٥) منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب، إذ كان من أطف مكايدِه وأدقّ وساوسه وأحلى ترينه!

(١) أى صمّت عظمه. وفى سر: "تمزّفته السباع وتمشّشته". وفى صه: "تمزّفته السباع وتمشّشته". وفى "الحاسن والأضداد": ونهشته.

(٢) أى تُطَلَّب مرة بعد أخرى بالمسك الخ، علّه بالخناء يعلّه ويعلّه "الكامل للبرد". والعليّة المرأة المليحة طيبا بعد طيب "قاموس". وفى صه: تعل. وفى نسخ "الحاسن والأضداد": تعل، تعل، تعل. [وأقلر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و٢ منها]

(٣) يطلق العرب اسم البان على شجرتين مختلفتين. فالأول هو المساة أيضا بشجرة الخلاف، وهى التى تسمى بها الشعراء وبشهورن قوام المحبوب بقضائها. وهى كثيرة بمصر. والخلاف نوع من الصفصاف (Saulu) أو هو غيره. ويطلقون اسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يُسمّى رطباً ويُستعمل مثل الورد والسرير والنيلوفر (نهاية الأرب، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع؛ وحسن المعاصرة). وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشمومة وأنها نوعان.

أما اسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca*. والشجرة الثانية هى التى عتاها الجاحظ. تشبه الأثل ولها ثمرة كأنه الجوز فيه حبّ كالفسق، ومثله يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو البان فقط. وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضا. ودعته يدخل فى تركيب قنّاس الطيب والأطيار والنفوالم. وتوجد شجرته ببلاد العرب. واسمه العلمى (*Gulandina moringa*) واسمه العام المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية. (ابن الجبار وترجمته إلى الفرنسية فى الكتابات التى ذكرناها)

(٤) صه: نبذت.

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط.

(٦) فى نسخ "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل ترايته، أجل بواتقه.

فعلَى الحكيم المحبُّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أَنْ يطلَبَ
 دواءهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلاً، ويدفع مفارقتها لكل شيء يقع فيه
 التأويلُ بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَطَبٍ يُتلف، ولا يَتَكَلَّ على خيانة خَفِيَتْ
 أو جَهْرَةً حَطَى بها أحدٌ من أهل السَّفَةِ والبَطَالَةِ. فَإِنَّ تِلْكَ لَا تُسَمَّى سلامة، بل
 إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكَم من قَعْلَةٍ قد طَهِرَ عليها بعد مرور الأيام
 وطول الأزمنة بها، قَرَدَتْ من كان قد أحسن بها الظنَّ حَتَّى تَرَكَته كأَمْسِ الذاهِبِ،
 كأن لم يكن في العالم!



ومن حقِّ الملك - إذا أيسَّ بِناسٍ حَتَّى يُضاحكه ويُهازله ويُفَضِّلَ إليه بستره
 ويَحْضَهُ دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أَنْ لا يرفع إليه طَرَفَهُ،
 إعظاماً وإكراماً، وتيجيلاً وتوقيراً، ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
 وليكنَّ غرضُه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
بحضرة الملك



- (١) يُكْنَى بالنسيم الدقيق عن النَّفس؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سمه : مفارقتها بكل. صه : مفارقتها بكل. [وربما كان الأصوب ما وضعناه في من الكتاب :
 "ويدفع مفارقتها لكل شيء الخ" أي يحول دون ارتكابها لأي شيء أممي تكون عاقبته مشكوكاً فيها بين السلامة
 والهلاك] قال في تاج العروس : "قارنه مقارعة وقراغا : قاربه . ولا تكون المقارعة إلا في الأشياء الدنيئة ."
 (٣) صه : غضب .
 (٤) سمه : قسى .
 (٥) الفعل ما هو رَدِّي مثل أردى ، بمعنى أهلك . وفي صه : فأوردت .
 (٦) أمْسِ الذاهب ، وأمس الدابر ، وغير كان : كُلُّها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في د ب ر)



ومن حق الملك أن لا يرفع أحدُ صوتهُ بحضرة الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بحضرة، إذ كان ذلك أكثرَ في بهائه وعِزِّه وسلطانه.

فَضِ الصوت
بحضرة الملك

تَأْدِيبُ الله
للمصابة

وبهذا أَدَبَ الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فقال عزٌّ من قائل:
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.“ فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صوته
فوق صوت النبي فقد آذاه، وَمَنْ آذَاه فقد آذَى الله، وَمَنْ آذَى الله فقد حَبَطَ عمله.

وكان قومٌ من سفهاء بني تميم أَتَوْا النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: يا عِهد!
أُخْرِجْ إِلَيْنَا نَكَلَمَكَ. فَمَنَّ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أدبهم، فأنزل الله عز وجل: ”إِنَّ الَّذِينَ يَسَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ.“^(١)

ثم أَتَى عَلَى مَنْ غَضَّ صوته بحضرة رسوله، فقال جل اسمه: ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِئَلَى“^(٢)

⑤٦

فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بحضرة، وإذا قام عن مجلسه:
حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْمَلَأَ، وَهَنْ وَلَا خَلَلٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، فِي صَغِيرٍ أَمِيرٍ وَلَا جَلِيلٍ.

حرمة مجلس الملك
في غيبة

✦✦
وكانت ملوك الأعاجم تقول: إِنَّ حُرْمَةَ مجلس الملك إذا غاب حُرْمَتُهُ إذا حضر.

(١) أنظر قصة هذا الوجد في كتب السيرة النبوية، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦).
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩).
(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧).

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها . فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمي ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيئته وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سُمي ذا وجهين، وكان عند الملك منقوصاً مُتَصَنَعاً .^(٢)

الرفقاء على مجالس
ملوك العجم عند
غياهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصّة نفسه وإما في توكيد ملكه . فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقّه على الملك أن يخلع عليه خلعاً في قرار داره، وبحضرة بطانته وخاصّته . وإن كان في توكيد مُدّك، فمن حقّه أن يخلع عليه بحضرة العامة، لينشر له بذلك الذكر ويُحسِّن به الأحداث وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه .

مواطن المكافآت



وليس من العدل أن يُقرّر المحسنُ بخلع فقط، إلا أن تكون الخلع على شرب أو هوى . فإما إذا كانت لأحد المعنّين الذين قدّمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزةً وصالّةً وترتيبٌ، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرواق أو فك أسير أو حمل خيالات أو قضاء دين أو إحسان، كائن ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها .

بيان المكافآت
وخصوصها
وعومها

(١) أ، ر، رقا .

(٢) ص : مقصياً - [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مَقْصِي" إذ لا يقال "مَقْصِيَا" في أسم المفعول . وأنظر القاموس وشرحه في مادة ق ص و]

بَاب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح
والأخلاق، لا الصفراء ثقله وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بولّه
وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجّره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد
مزاجه. فأما الدموى^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المنسومة، إذ كان بالبدن إليه^(٢)
حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



ومن حقّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفا بمنازل الطريق
وقطع المسافة، دليلا بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب^(٣) والنّعاس، قليل السعال
والعطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمحادثات، قصير المياومة^(٤)
والملايلة، عالما بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالما بالنادر من الشعر والسائر
من المثل، متطرفا^(٥) من كلّ فنّ، آخذًا من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم
أهل الجنة، حدّثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛
وإن ذكر النار، حدّثه ما قرب إليها. فزهده مرّة، ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

آداب النديم في
المزاملة، وعلمونه.

(١) صم : الدين .

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموى"

(٣) صم : ومثاره .

(٤) صم : قصير الملايلة .

(٥) صم : منصرفا .

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالحرَّاءِ إذا أصاب هذا، أَنْ لا يفارقه إِلَّا عن أمرٍ
تقطع به العصمة وتجب به النعمة.



ومن حقِّ الملك، إذا خرج لسفَرٍ أو نُزْهة، أَنْ لا يفارقه خَلْعُ للكساء، وأموالُ
للصَّلات، وسياطُ للأدب، وقيودُ للعصاة، وسلاحُ للاعداء، وحمأةٌ يكونون من
ورائه وبين يديه، ومؤنِّسٌ يقضى إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره، ومُسَنِّة
شريعته، ومُملِّهٌ يقصِّر ليلَه ويكثُرُ فوائده.

مئة الملك في خبره
لسفر أو نزوة



وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أولها وآخرها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تمثل هذا وتعمله.

ولندماء الملك وبطافته خللاً يُسأون فيها الملك ضرورة. ليس فيها تقصن على
الملك، ولا ضعة في الملك. منها: اللَّعبُ بالكُرَّة، وطلب الصيد، والرَّمْيُ في الأغراض،
وَاللَّعبُ بالشَّطرنج، وما أشبه ذلك.

خلال الندماء

ومن الحقُّ على الملك أن لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النِّصْفَةِ في هذه
الأقسام التي عَدَدْنَا.

مساراة الملك
للملاعبه

ومن حقِّ المَلَّاعِبِ له المُشَاحَةُ والمُكَالَبَةُ والمُساوَاةُ والممانعة وتركُ الإغضاء والأخذُ

حق الملاعب
على الملك

(١) في "القاموس": "الحرَّاءُ الخلق". ومه: بالحرَّاءِ أن يكون ذلك. وفي "المصباح": ويحدث الرجلُ
الرجل فيقول: بالحرَّاءِ أنت يكون. [والحق هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً تفرقت فيه هذه الصفات
فالآخرى والأجدر ما لا خلق به أن لا يفارقه إلا في الحالة التي نص عليها المؤلف.]

(٢) سه: "التيمة".

(٣) صه: المماقة.

من الحق بأقضى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلاماً رَفِيت ولا معارضةً بما يُزيل حقَّ الملك ولا يصيحُّ بعلو كلامه ولا تخييرٌ^(١) ولا قذفٌ ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

١٠
ملامعة سابور
على أمر مجهول

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تيربا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة^(٢). فقمره تيربه. فقال له سابور: ما أمرُك؟ فقال: أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة. قال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فردَّ غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأسف لذلك سابور وقام فدعا بيرقع، فتبرقع. ثم جثا لتيربه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل فدمه هدر^(٣).

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعر، وتوبيخ في مثل ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجُرأة كما فعل تيرب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجُرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.

♦♦♦

١٥
آداب الملاعب
بالكرة وغيره

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدابته على دابة

(١) التخير؛ مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا التيرب كانت عادته وديده أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الأحكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك ، وصَوَّبَ كَلَامَهُ عَلَى صَوْلِحَانِ الْمَلِكِ ، وَأَنْ يَمْعَلَ جُهْدَهُ فِي أَنْ لَا يُتَقَسَّ حُظُّهُ وَلَا يُفْتَرَّ^(١) فِي مَسَائِقِيهِ وَلَا مَرَاكِزِيهِ وَلَا أَلْتَفَافِ كِرَةٍ وَلَا سَبْقٍ إِلَى حَدِّ وَنَهَايَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الرَّمَايَةِ فِي الْأَغْرَاضِ وَطَلَبِ الصَّيْدِ وَلَعِبِ الشَّطْرَنْجِ .

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ يَقُولُ :^(٢) "كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ ، وَكَانَ لَا عِبَا بِالشَّطْرَنْجِ . فَذَكَرْتُهُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَقَالَ : أَحْضِرْهُ . فَقُلْتُ لِلْمُخْزُومِيِّ : تَبَيُّاً لِلْقَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ . وَكَانَ مُتَصَرِّفاً كَثِيرَ الْأَدَبِ . فَغَدَوْتُ بِهِ ، فَدَخَلُ . فَلَمَّا وَقَعْتُ عَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ ، وَقَفَ . فَرَأَاهُ مِنْ بَعِيدٍ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ . فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ، فَأَعُدُّ بِهِ وَلَا عِيبَ الشَّطْرَنْجِ بِمُخْزُومٍ

لعبة الشطرنج
بمصره جده
أبي طاهر

(١) صه : ولا يمين .

(٢) ١ - ضُطِرِبَ اسْمُ الْأَبِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ . فَوُرِدَ فِي سَه : "الْحُسَيْنِ" وَكَذَلِكَ فِي كَامِلِ أَبِي الْأَعْيَنِ طَبِيعُ أَدْرَبَةِ وَمِصْرُوفِي "الْحُطَّاسُ وَالْمَسَاوِي" ص ٢١٧ . وَرَدَ فِي صَه : "الْحُسَيْنِ" وَكَذَلِكَ فِي الْأَحْقَافِ وَفِي سَهْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ [أَيُّ فِي صَفْحَةِ ١٥٠ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ] . أَمَّا الطَّبَرِيُّ فَأَوْرَدَ الْأَسْمَاءَ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهَا سَاحِبُ فَهْرَسْتِ بِجَمَلٍ "مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ" ، وَرَأَوِيَا . وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ لَهُ هَذِهِ التَّفَرُّقَةُ ، فَإِنَّ مِنَ الطَّبَرِيِّ لَا يَفِيدُهَا . وَالظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّهُمَا شَخْصٌ وَاحِدٌ .

أَوَّلًا — لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ لَمْ يَرِدْ فِي الْأَغْنَى مُطْلَقًا ، وَلَوْ كَانَ رَوَايَا — كَمَا يَزِيحُ سَاحِبُ فَهْرَسْتِ الطَّبَرِيِّ — لَكَانَ مِنَ الرَّايِحِ وَقَرَعَ اسْمُهُ فِي تَجَانِبِ الْأَغْنَى ؟

ثَانِيًا — لِأَنَّ أَبْنَ الْأَمِيرِ ذَكَرَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ (فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ١٩٨) ثُمَّ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ ابْنُ مِمَّ طَاهِرٍ ذِي الْيَمِينِينَ الَّذِي قَتَلَ بَغْدَادَ بِاسْمِ الْمَأْمُونِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ طَاهِرًا هَذَا هُوَ ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ بِلَا خِلَافٍ . فَيَكُونُ سَاحِبُنَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْجَلِيزُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ ، وَإِلَّا لَكَانَ عَمَّهُ . وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ هَذَا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ طَاهِرٌ إِلَى الْمَأْمُونِ بِمِرَّاسَانِ بِرَأْسِ الْإِمَامِ يَدُ قَتْلِهِ بِبَغْدَادَ . فَهُوَ مِنْ عَصَبَةِ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ الَّذِي وَقَعَتِ الْحِكَايَةُ فِي مَجْلَمِهِ . وَقَدْ كَانَ حَبِيرًا بِالْفَيْئَاءِ وَالْقَمِّ ، وَكَانَ مِنَ الْمُحْتَمِلِينَ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْفَرَجِ الْإِسْفَهَانِيَّ يَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَ نَشَأَ بِمِرَّاسَانِ ، وَبَنِيَتْهُ بِقَلْبِ الْأَمِيرِ . (ابْنُ الْأَثِيرِ ج ٦ ص ١٠٦٠٢) (وَالْأَغْنَى ج ٥ ص ٣٨٠٣ و ١٠٢٠٢ و ج ٩ ص ٦٢ و ج ١٠ ص ٩١)

حَتَّى أَبُورَهُ وَعَاشَهُ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَالشَّيْثَةِ. فَلَمَّا قَعَدْنَا، دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً، قَعَلْتُ: خَذَهَا، وَأَنَا الْغُلَامُ الْبُوشَنجِيُّ^(٣)! وَهُوَ سَاكِتٌ. ثُمَّ دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً أُخْرَى، قَعَلْتُ: خَذَهَا، وَأَنَا مَوْلَى مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِ ضَرْبَةً، قَعَلْتُ: خَذَهَا يَا أَبْنَ مَخْزُومٍ، فِي حَرِيمٍ مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. وَأَسْتَوْدِئُ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ صَالِحٍ، وَكَانَ خَاصًّا بِأَبِي الْعَبَّاسِ، فَأَمَرَ بِالْإِذْنِ لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَاشِيَّ وَقَعَدَ، قَالَ [لِي] [الْمَخْزُومِي]: لَيْسَ فِيكَ مَوْضِعُ شَرَفٍ وَلَا عِزٍّ، فَأَفْأَنْكُرُ! أَنْتَ بُوشَنجِي تَمِنُّ دَانِقِي! وَلَكِنْ قُلْ لِهَذَا الْمَاشِيَّ يَفْأَنْكُرُنِي حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ حَالُهُ. فَأَمَّا أَنْتَ، فَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَفْأَنْكُرُكَ؟ فَضَحِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَتَّى خَصَّ بِرَجُلَيْهِ^(٥)، وَأَمْرُهُ بِخَمْسَةِ دِينَارٍ وَقَرْبِهِ وَأَسَهِ.

١٧

آداب الندماء إذا
أخذت الملك سنة
من النوم

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ، إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، أَنْ يَنْهَضَ مِنْ حَضْرَةِ مَنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بِمَحْكَةٍ لَيْسَتْ خَفِيفَةً، حَتَّى يَتَوَارَى عَنْ قَرَارِ مَجْلِسِهِ، وَيَكُونُ بِمِثِّ يَقْرُبُ مِنْهُ إِذَا أَتَبَهَ، وَلَا يَقُولَنَّ إِنْسَانٌ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ هَبَّ مِنْ سَيْتِهِ لَا يَسْأَلُ عَنِّي، أَوْ لَعَلَّهُ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ النَّوْمُ أَوْ يَعْزِضَ لَهُ شُغْلٌ. فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْخَطَا. وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ رُجُلًا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ.

(١) الْبُورُ الْاِخْتِيَارُ وَالْاِمْتِحَانُ كَالْاِخْتِيَارِ. قَالَ فِي تَقَانُصِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (ص ٣٥٤): "وَهَذَا كُلُّهُ اِخْتِيَارُهُ لِلنَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِهِ".

(٢) يَظُنُّ بَعْضُ الْجُهَلَةِ أَنَّ هَذَا اللفظ ليس بعربي، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُتَحَدِّقِينَ مَالُوا إِلَى الشُّبْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى، دُونَ أَنْ يَنْفَعِلُوا إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمَصْدَرِ. وَالْقَامُوسُ وَشَرْحُهُ وَكُلُّ مَتُونِ اللَّفْظِ وَالْمَحَظِّ وَأَمثَالِهِ شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ. وَأَنْظُرُوا شَرْحَ الْقَامُوسِ فِي مَادَّةِ هُزْلٍ فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُمْ اشْتَقُوا الشَّيْثَةَ مِنَ الشُّبْهِ وَأَنْظُرُوا الْيَانِ وَالْيَيْنِ ص ٦١

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى نَشَأَةِ بَدِيَّةِ بُوشَنجٍ مِنْ خِرَاسَانَ.

(٤) كَلِمَةٌ مَرَكَبَةٌ زَكِيًّا إِسْأَفِيًّا مِنْ كَلِمَتَيْنِ. وَحُذِفَ حُرُوفُ الْأَلْفِ مِنَ الثَّانِيَةِ. وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ. وَهُوَ شَيْثِيَّةٌ. وَبِضَائِعِ ذَلِكَ فِي حَذْفِ الْأَلْفِ، قَوْلُ الْعَرَبِ: "لَا بَ لَكَ"، أَيْ لَا أَبَ لَكَ، وَقَوْلُهُمْ: "وَيْلَهُ" (أَنْظُرُوا تَاجَ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ رِي ل). - [وَأَنْظُرُوا صَفْحَةَ ١٣٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ].

(٥) أَيْ ضَرَبَ الْأَرْضَ بِرَجُلَيْهِ كَثِيرًا حَتَّى كَانَهُ يَبِيتُ فِيهَا.

١٠

١٥

٢٠

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للكل على نفسه طريقاً، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكم الملك وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطنن عليه. وبالحرى أن لا يهمل من عدل وتأنيب^(١).



إمامة الملك للصلاة



- ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصاله منها - أنه الإمام، والرجية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ يساطه، ولو حضر مجلسه أزهد الخلق وأعلمهم.
- فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا بسجود ولا قيام.
- وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوماً من صغير أو كبير أو شريف أو وضيع، فهو للكل أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائماً، فإنهم لا يدرون أريد تنقلاً أو دخولاً أو قعوداً في مجلسه.

- فإن قام لنافلة، فليس من حقه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته ليحلت، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصطلون بإزائه، وهو قاعد.
- ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يأمروا ما الذي يفعل. فإن قصد، أنحرفوا إلى حيث لا يراهم، فصبأوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلأوا على مكاناتهم.

(١) أنه ثانياً: صفه ولامه. (حاشية في صه)

(٢) صه: بالإمامة.

(٣) في صه: "متنقلاً"، بالظاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالفاء.

(٤) المكاة المنزلة عند ملك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة وأختصار في "محاسن

آداب مسامرة
الملك

(١٤)

وقد قلنا إن من حقِّ الملك أن لا يتدنَّه أحدٌ بمسامرة. وإن طلب ذلك منه من يستحقُّ المسامرة، فالذي يُجزئُه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له، فإن أوماً إليه، مساميره؛ وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مساميرته. ومن حقِّه، إذا سابه أن لا يمسَّ ثوبه ثوبَ الملك، ولا يذني دابته من دابته، ويتوشى أن يكون رأس دابته بإزاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه. ولا ينبغي له أن يتدنَّه بكلام.

وإن كان لا يثق ببلينٍ عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأى له أن لا يسامره. فإن في مساميرته وقمةً عليه وعلى الملك، أما عليه، فإنه يحتاج إلى حركة متواترة تُتبع بها نفسه ودابته، ويخرج بها عن حدِّ أهل الأدب والمروءة والشرف. وعلته في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأما على الملك، فإنه وعن في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابته، كان إنما يسير عند ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأمارة والديربد وموبدان موبد ومن أشبه هؤلاء من خاصة الملك، إذا هم الملك بالمسير في زهرة أو لبعض أموره، عرجوا دوابهم

سنة أكابر الصميم
عند تهيئهم المسامرة

(١٥)

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (التبلي والإشراف السعدي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب الكتاب المقدس عند المحروس. وربما كان الصواب في هذا المقام: "ديربد" من كلمتين الأولى فارسية والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه (السعدي، اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التنقيف). [أنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبد فهو القاضي، وموبدان موبد هو قاضي القضاة. وموبد من أعاظم الفهلوية، وهي اللغة الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جز ٦ ص ٧٥).

على راضية الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك للسايرة والمحاذة ، فيحتاج إلى معانة دابته لبلادة أو كثرة نفور أو عثار أو حجاج . فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره . وكان الراضى يمتحن دابة دابة من دواب هؤلاء العطاء . فما اختار منها ركب ، وما نفى أرحم .

وأيضاً إن من حق الملك ، إذا سايه واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن ^(١) ولا تتشغب ، ولا يطلب المحاذة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منه راكبه .

وفيا يضحى عن ملوك الأعاجم أن قباد ، بنتا هويسير والموبذ يسايه ، إذ راثت دابة الموبذ وفطن لذلك قباد ، فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له فى كلام بينهما : ما أزل ما يستدل به على تخلف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت بعلف دابته فى الليلة التى يركب فى صبيحتها الملك . فضحك قباد حتى أفترعن نواجذه . وقال : لله أنت ! ما أحسن ما حشنت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك السلوك وجعلوا أزمة أحكامهم فى يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن ظهر هذا الجانى عليك إلى ظهر هذا الطائع لك . ^(٢)

ما حصل للموبذ أثناء مسيرته لقباد



(١) تحصن الفرس صارحنا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تثب على الدابة التى تكون قدأما كما يفعل الفحل . لتلايحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايىبى إذ ركب فى محرم سنة ٨٧٦ ومعه الأتابكى أرك (منشئ الأربكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . فى أثناء الطريق شب فرس الأتابكى على فرس السلطان ورفه . فجاءت الرفة فى قفصة ساق السلطان فألكرست ، فزل بشيبين وهو فى غاية الألم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (وأظفر التفضيل فى آبن إياس ج ٢ ص ١٢٨)

(٢) مغرب قباد . وفى كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتى حلوان وفازرون . وأقول إن حلوان هذه هى مير التى بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة فى العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد ومصر من رأى . [وأظفر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .

(٣) رواها فى "محاسن الملوك" باختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف فى "المحاسن والمساوى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء سيارته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسايره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة، ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هامت فإنها عظيمة، وعقل ضعيف ناقص. فنبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، والله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمه البارحة مكوكي شعير، فضحك معاوية، وقال: ألحسنت، وما كنت فاحشاً! وحمله على دابة من حرا كبه.

(١) هو أبو السح الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للاقابلة أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان الممدودين، واشترك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وريسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع إليهم قتلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حصن ثم تولاه لمعاوية، وهو الذي قسم منازلها بين أهلها. وبما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه أعزل مع ولده بني معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لتقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليلزبون الشبهة فيتكرون أن ينفذوا إلى أرض منها، مخافة العار. فكيف الانتفال من الأمر الحسن الجليل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لائتمان قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (إبن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ٢١٨ وتاج الروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) إقتديت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. | وأظر صمعة ١٣١ من هذا الكتاب |.

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

تخدير

٧٧

فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْذِي أَعْيُنَهُمْ بِكُلِّ جُهِدِهِ . فَإِنَّ لِمَسِيرَتِهِمْ شُرُوطًا يَجِبُ عَلَى مَنْ طَلَبَهَا أَنْ يَسْتَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَ فِيهَا . وَقَلْبًا حَظِيًّا أَحَدُ مَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا مَقَدِّمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوءَةُ .

تغليظ المجمع من
مسيرة الملك
المتصلة

فَمَا مَا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعْجَامَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَطَيَّرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَثَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ رِطَائِنِهِ بَعِيْنَهُ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

ما حصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
المسافر

وَيَقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ ، بَيْتًا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ بْنِ قَتِيْبَةَ بْنِ سَلَمٍ الْبَاهِلِيَّ . كَانَ بَنْزَلَةً عَظِيْمَةً مِنَ الْمَسَادِي وَمِنَ الرَّشِيْدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قَبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرَّشِيْدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْبَلْخَارَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ . فَخَرَجَ الْخَزْرَطِيُّ فَهَزَمُوهُ وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ الْمَكْرُوهَةَ الَّتِي لَمْ يَسْعَ بِظِلِّهَا النَّاسُ . فَأَرْسَلَ الرَّشِيْدُ رَجُلَيْنِ فَأَصْلَحَا مَا أَفْسَدَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ مَرَّشَ فَاغَارَتِ الرُّومُ طَلِبًا وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَجْرُكْ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ .

قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَعْرَابِيًّا مَدَحَهُ يَبْتَلِيْنُ لَمْ يَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَخْشَ ضَلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ مُنْوَ كُلِّ بِلَادٍ .
لَنَا مُقَرَّمٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَتًّا فِي وَجْهِ كُلِّ جَوَادٍ .

فَمَا تَحْفَظُ لَكَ فَهَجَاءَ يَبْتَلِيْنُ لَمْ يَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهَا :

لِكُلِّ إِنْسِيٍّ مَلِيحٍ ثَوَابٌ عَلَيْهِ ، * وَلَيْسَ لِمَلِيحٍ الْبَاهِلِيَّ ثَوَابٌ .
مَدْحَتُ ابْنِ سَلَمٍ ، وَالْمَدْحُ مَهْمَةٌ ، * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

(إِيْتِ الْأَثَرِ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ و "الأنباء" ج ١٧ ص ٣٢)

وَج ٢١ ص ٢٣٤ و "حيون الأنباء" ج ١ ص ١٥٤ و "أمالى القال" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخُرَاعِي] أَمَامَهُ، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشِيرُهُ دَابَّةُ عَبْدِ اللَّهِ في وجه موسى، وعبدُ الله لا يشعرُ بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبدُ الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضِعَهُ، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتَّى إذا كثُر ذلك من عبدِ الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَّر في الإجتِهاد، ولكنَّهُ حَرَّمَ حَظَّ التوفيق. (٤)

وفيما يذكر عن عبد الله بن حسن أنه يبتأ هو يساير أبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهديّ فالهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وأتته بتصالهما على يد أحد الزورين من حيث لا يعلم ولا يعلم (سافها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكاهما:

نَلَّكَ عَلَى الْأَرْضِ مُطْلَبَةً * إذ قيل: عبد الله قد وُعِكَ.

بالت ما بك بي، وإن نَلَّكَ * نعى لذاك! وقُلْ ذاك لكا!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و أنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ج ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧). [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب].

(٢) يستفاد من كلام الجاحظ هنا مصافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة وولى عهده أن يسير قائد بحرية بين يدي كل منها.

(٣) كذا في رسمه، صم، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "الماسني".

(٤) نقل ابن عبدربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يُشر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦) ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧)

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترشيحه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا والنفس الزكية وإبراهيم خربجا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والعبرى والكامل للبرد بمقتضى فهرسهما).

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه ، إذ أنشد عيسى :

سيأتيك ما أفتى القرون التي مضت ، * وما حلّ في أكثاف عادٍ وجرهم ،
ومن كان أناي منك عزاً ومفخرًا ، * وأنشد بالجيش اللّهام العرمم .

فقال أبو مسلم : هذا مع الأمان الذي أُعطيْتُ ؟ قال عيسى : أعتق ما أملاك إن كان هذا الشيء من أمرك ! وما هو إلا خاطرٌ أبداه لساني . قال : فبئس الخاطر واللهِ إذنت !

❦

✦✦

ومن حقّ الملك أن لا يُسعى ولا يُكنى في جدٍّ ولا هزلٍ ولا أنيسٍ ولا غيره .

ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك وأصطلحت عليه ، ما كان جزاء من كنّى ملكاً أو خليفة إلا العقوبة . على أن ملوك آل ساسان لم يكنّا أحدٌ من رعاياها قط ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبةٍ ولا تقريرٍ ولا غيره . وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة .

قاله
سلم

(١) صه : أدنى .

(٢) كثير النبود أو التبوّض بأمر الجيش والقيام بأمره

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٨) .

(٤) أظنّ باقرت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأسايرها في الجاهلية ، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام ظلمتها على عهد الإسلام . وإنما استغفنا منه أنها بقرب النجف . ولذلك رأينا أن نثبت هنا ما جاء فيها في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكاتها التي دخلت الآن في خبر كان . قال :

« كان بعض ولادة الكوفة يذم الحيرة في أيام بنى أمية . فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً :

— أتعيب بلدة بها يُضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟

— وبها ذا تمّلدح ؟ =

١٥

٢٠

عدم تسمية الملك
أو تكتيته

والدليل على ذلك أنه لو سئى أحد من الخطباء والشعراء في كلامه المشهور مِلْكًا

== بصحة هوائها، وطيب مائها، وزهرة ظاهرها . تصلح للنفث والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومشاوهم . وقد قدمتها - أصلحك الله - مُخَفَّفًا فرجعت مُثَقَّلًا ، ووردتها مُثَقَّلًا فأصارتك مُكْتَرًا .

- فكيف تعرف ما وصفتها به من الفضل ؟

- بأن تصير إلى - ثم أَدْعَ ماشئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !

- فأصنع لنا صنيها [Une partie de plaisir] ، وأُتْرُج من قولك .

- أَفْصَلُ !

فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسبكها وما صيد من وحشها : من غلباء ونعام وأرأب وُجَبَارَى . وسقاهم مائها في قلالها ونحزرها في آنيها . وأجلسهم على رُكَّها ، وكان يُجَدُّ بها من الفرائش أشياء ظريفة . ولم يستخدم لهم حرًا ولا عبدًا إلا من مولديها ومولديها ، من خديم ووصائف كأنهم الزئلق ، لغتهم لغة أهلها . ثم غناهم سنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى همدان لم يجاوزهما . وحيّاهم برياحينها . وقَلَّهم على نحرها ... وقد شربوا - بفواكهها - ثم قال :

- هل رأيته استعنت على شيء ، مما رأيته وأكلت وشربت وأقترشت وشمتت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟

- لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بذلك ، ونصرتَه فأحسنت نصرتَه والخروج مما تضمنته . فبارك الله لكم

في بلدكم !

وكان ابن شبرمة يقول : " يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين " . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) . وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق النفيسة لأبن رُسْتَه

ص ١٩٢ و ٢١٧) .

وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وُسرَّ من رأى . وأنت طعم بمصاصات إليه البصرة وبغداد . وهذه السِّتة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين ، وناهيك بها من أمصار رعت للمضارة أهل منار ! فسبحان من يسهده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد والبلاد كما يشاء !

أو خليفة وهو مخاطبه بأسمه، كان جاهلا ضيعنا خارجا من باب الأدب،
(١)

ولولا أن الاصطلاح منعنا بإيجاب المنع من ذلك، كان من أول ما يجب.

ولا أدري لِمَ فعل القدماء ذلك، كما أنى لا أدري لِمَ أجازته ملوكها ورضيت
به، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شئ وترقى عنه.

وكانت الجفافة من العرب بسوء أدبها وغِلَطَ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
وسلم) - خاطبوه ودَعَوْهُ بِأَسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ. فأما أصحابه، فكانت مخاطبتهم إياه: "يا رسول
الله!" و"يا نبي الله!"

(١) ص: "الاضطلاح" وبنائها "الاصطلاح". وفي سر: الاصلاح.

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة. فهو أول من منع الناس أن ينادوه
بأسمه. (مخاضة الأواطل ومسامرة الأوانس). ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخى بتناول العهد، فعاد القوم
إلى ما كانوا عليه.

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يجرّون عند إتشاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء،
فينفخونها من التي لا يكون فيها اسم مشوشة يشابه اسم أم له أرابئة أو أخت أو زوجة (الافانج ص ١٧٤).
وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال: كنت عند الرشيد، فأهديت له أطباق
ومعها رقيقة. فلما قرأها، أسفّزته الطرب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية
عبد الملك بن صالح. ثم نبذ إلى الرقعة، فإذا فيها بعد البسملة: "دخلت، يا أمير المؤمنين، بستاناً عمرته بنسبك،
وقد أينمت أثماره وفاكهته. فأخذت من كل شيء (وعدد أنواعا من الفاكهة) وصيرته في أطباق القُضبان
ووجهته لأمر المؤمنين، ليصل إلى من بركة دعائه، ما وصل إلى من برّه ونعمائه". قلت: يا أمير المؤمنين،
وما في هذا يقتضى هذا السرور؟ فقال: ألا ترى إلى ظرّه، كيف قال: "القُضبان"؟ فكنت به عن
الخبير إن؛ إذ كان يجرى به اسم أمنا.

وهكذا يجب للولك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ^(١) ويا أمين الله! ^(٢) ويا أمير المؤمنين! ^(٣)

(١) لم يرش أبو بكر الصديق بأن يُسَمَّى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣٧) فضلا عن أن يُسَمَّى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى أدعلاجهم على خلاف ذلك. قال الزبجاج: حاز أن يقال للأنمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشر (وإن كان من باب التهنئة):

صَاعَتْ خَلَائِكُمْ، يَا قَوْمٍ، فَاتَّقُوا * خليفة الله بين الرُّقَى وَالْهَيْدِ!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المتسمم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فلمل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسان بن ثابت يرى عثمان بن عفان.

لَأَنْ رَأَيْتُ أَمِيرَ اللَّهِ مَضْطَهَّداً * عثمان رهنا لدى الاحداث والكفن.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«وإنما يُسَمَّعُ بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

تَجَيَّهَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وعند الله في ذاك الجزاء.

وكقول المرأة تخاطبه:

أَحْمَدُ، وَلَدَتَكَ زَيْنُ، كَرِيمَةٍ * في قومها والفعل فحل مرق!

رَوَى أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَحْوِهِ صَبِيَّةً لَهُ وَأَهْلُهُ فَقَالَ يُخَاطِبُهُ:

يَا عَمْرُ الْخَلِيفَةِ جَزَيْتَ الْجَنَّةَ * أَكُنْ بَيْنَا وَمِنْهُمْ

أَقْدَمَ بِاللَّهِ لَتَقْعَلَهُ

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يَكُونُ عَنْ حَالٍ لَتَسْأَلَهُ

=

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكانَ اسمُ ذلك الرجلِ الداخلِ أحدَ صفاتِ الملكِ، فسأله الملكُ عن اسمه، أن يُكنّى عنه ويُحِبَّ باسمِ أبيه. كما فعل سعيدُ.

== فقال عمر: متى؟ قال:

يومَ تكونُ الأعطياتُ جنةً * والواقفُ المسوؤلُ بينَتهِ
إِما إلى نارٍ وإِما جنةً.

فنبذ عمر رضى الله عنه قِيسَهُ، وقال: هَذَا جَنَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ!

وروى أن الرشيدَ جَلَسَ يوماً للقائمِ فرأى في الناسِ شيئاً حسنَ المِثَبةِ. فلما تفرَّضَ المجلسُ، قامَ الشيخُ وبَيَّدهَ قصَّةً، فأمرَ بأخذِها. فقال: إن رأيتُ أميرَ المؤمنينَ أن يَأْذَنَ لِي في قراءتها، فَإِن أَحْسَنُ تَعْمِيراً لَخَطِي. قال: اقرأ! قال: يا أميرَ المؤمنينَ، إني شيخٌ كَرِيضٌ ضَعِيفٌ، والمقامُ عَظِيمٌ. فَإِن رأيتُ أميرَ المؤمنينَ أن يَأْذَنَ لِي في الجُلوسِ؟ فقال: اجلس! اجلس! ثم قال:

يا خَيْرَ مَنْ جَدَّتْ لِرِجْلِهِ * تُحِبُّ الرِكَابَ بِمَهْمَةٍ جَلِسٍ!

يقول فيها:

لَمَّا رَأَيْتُكَ الشَّمْسُ طَالَعَةً، * سَجَدْتُ لِرِجْلِكَ طَلْعَةَ الشَّمْسِ.
خَيْرُ السَّرِيَّةِ أَنْتَ كُلَّهْمِ * فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي أَمْسِ،
وَكَذَلِكَ لَمْ تَفَكَّ خَيْرُهُمْ * ثَمْسِي، وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا ثَمْسِي.
لَهُ يَا هَرُونَ مِنْ مَلِكٍ * عَفَّ السَّرِيَّةِ طَاهِرِ النَّفْسِ!
تَمَّتْ عَلَيْهِ لِرِيَّةٍ قَسَمٌ * تَرَدَّدُ جِسَدُهَا عَلَى أَلْبَسِ.

(أردتُ قوله "لله هارون")

وبقية الشعر:

مِنْ عِتْرَةِ طَابَتْ أَرْوَمُهَا، * أَهْلُ الْعَفَافِ وَبَشَى الْقُدْسِ.
مُبْتَليْنِ عَلَى أَمْرَتِهِمْ * وَلَدَى الْهَيْجِاجِ مَصَاصِي ثَمْسِ =

٥

١٠

١٥

٢٠

ابن مرة الكندي، حين أنى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة^(١)!

وكما قال السيد بن أنس الأزدي^(٢) - وقد سألته المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس^(٣)!

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، ثم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنو أبيه، قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله^(٤)!

= إلى بلات إليك من قزع * قد كان شردني من الأنس .
لما استخرت الله مجتهداً ، * يمتُّ نحوك رحلة العنس .
وأخبرت حلك لا أجازره * حتى أغيب في ربي الرنس .

فلما أنى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق . قال: أنت أمين!
وأمر له بجملة ألف درهم .

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المتبريد لأمير المؤمنين: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذلك نبي الله دارد! قال: يا خليفة رسول
الله! قال: ذلك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذلك أمر يطول! قال:
يا عمر! قال: لا تجسّ مقامى شره! أتم المؤمنون، وأنا أميركم . فقال المتبريد: يا أمير المؤمنين!

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة بعبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"
(ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

أَلَا تَرَاهُ (رحمة الله) كيف تخلص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فأستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



ومن حقَّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

الأمور التي يتفرد
بها الملك في خاصته

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مرجوليوث) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - ساله عن اسمه، فقال: أبوزيد.
فمحبب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وقد ذلك من سقطة، فلما خرج ترك
خاتمه في مجلسه عنده. فأبصره أحمد بن سهل، فأزاد تعجباً من غفله. فأخذ يده ونظر في نقش قفده،
فاذا عليه: أحمد بن سهل. فلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه، وأنه أخذ
بحسن الأدب وراعى جد الاحتشام، واختار وصية التزام الخطأ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير
الاستعمال والابتدال."

وروي ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي رامل: أيكأكبر، أنت
أم الربيع بن خثيم؟ قال: أنا أكبر منه سناً، وهو أكبر مني عقلاً.
وقال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلت في عرس أمك، يا أمير المؤمنين.
قال: عند أي أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان إفانه ينضب غضب
الصبي ويأخذ أهل الأسد. (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢). قال الجراح للهيب: أنا أطول أم أنت؟ فقال:
الأمير أطول، وأنا أبسط قامته. (الحسن زالأندلس ص ٢٢، والحسن والمساوي ص ٤٩)

وكان الأول به أن يعتدي بطويس المتني المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان: أيكأكبر؟ فقال:
"بأي وأنت! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أهلك الطيب". ثلث يوم أمراً. (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣، وبحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧). أورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقاً لطيفاً، فقال: فأظن إلى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام! كيف لم يقل "زفاف أمك الطيبة
إلى أهلك المباركة" (أظن البيان والبيان ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص: "كانت صيغهم غير صيغ العامة."

ففيها الحِجَامَة، والقَصْد، وشرب الدواء. فليس لأحدٍ من الخاصة والعامة ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله، بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاغل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يعالج به."

وليس الاقتفاء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعل من تمت طاعته وصحت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك آستهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدءاً، بالمهل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارقٌ للشرعية.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت. وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم تركُ الحجامة
في هذا اليوم على ذكرى! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وتُشَلَّ ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

(٧٦)

ومن حقَّ الملك - إذا عطسَ - أن لا يُسَمَّتْ؛ وإذا دعا، لم يؤمنَّ على دُعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيقٌ على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بحقيقٍ للرعية الصالحة أن تدعو لملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاءُ
الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأمين
على دعائه



ومن حقّ الملك أن لا يُعزّيه أحدٌ من حاشيته وحاشيته وأهل بيته وقرباته؛
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قارب الملك في العزّ والسلطان
والبهاء والقدرة. فإما من دون هؤلاء، فينبهون عن التعزية أشدّ النهي.



وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير، فجاءه الوليد
فعزّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أفدح في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمي أمرتني بذلك. قال: ذاك يا بُنَيَّ
أهونٌ عليّ! وهذا العزير من مشورة النساء! ^(١)



سرعة الغضب
وربطه الرضا

ومن أخلاقه سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فإما تأتى الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا ألفَت النفس هذا العزّ الدائم، صارا أحد صفاتها.
فتتقرع حسّ النفس ما لا تعرفه في خلقها، نفرت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفةً وحيّةً.

وأما رضا الملك فبطيءٌ جدّا. لأنه شئٌ يمتنع النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جلسٌ من أجناس الاستخذاء، وخلقٌ من أخلاق العامة.

(١) ص: والقراءة.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذا القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ٣٤) وخطها بأن عبد الملك قال لأبيه: "والله لتعزيتك إياي أهون عليّ من قبولك
مشورة النساء!" (وهو أحسن من روايتنا). ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز
وعمرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأساً."

غضب السفاح
على أحد رجاله

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره ليلةً من الليالي. فقال له بعض شُماره: يا أمير المؤمنين! فلانٌ لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأعصر له قلبه. قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الدُّب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمَن عليه، يا أمير المؤمنين، برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلتُ إنك يا أمير المؤمنين لما صغرتُ ذنبه، طيعتُ برضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يتحسن أن يغضب ولا يرضى.

٧٤

وعلى هذا أخلاقُ الملوك وصليعُهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخُزاعي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قرابته أن يمتنعوا كلامه وخدمته ومعاملاته حتى أثر ذلك في نفسه وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يَدُنْ منه أحدٌ ولم يَطْلُبْ به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إنَّ لك عندى يدًا لا أنساها ومعروفًا ما أكفركه. وقد علمتُ ما تنقمتُ به أمير المؤمنين في أمرك. وبها أنا ذا بين يديك وتُصب عينيك! فخرني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

١٠

(١) يقال في اللغة عَصَرَ القلب ونحوه فَأَنْصَر. وفي المفضليات:

وَهِيَ لَوْ يُعَصَّرُ مِنْ أَرْدَانِهَا * عَيْتُ الْمِسْكِ وَلَكَّانَتْ تَنْصَعِرُ.

ومن شواهد النعامة:

نَوْدُ يَطْلُبُ الْقَرْعَ مِنْهَا الْوَبَرُ * لَوْ عَصَرَهَا الْبَابُ وَالْمِسْكُ، أَنْصَعِرَ.

وكنتُ ألاحظ بأنصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان" أي يابس عطشا.

١٥

(٢) أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب.

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

٢٠

لأَجْعَلَنَّ نَفْسِي وَقَايَةَ نَفْسِكَ، أَوْ أَسْوَقَهَا فِي كُلِّ مَا نَكَّاهَا أَوْ جَرَّحَهَا. قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ
 خَيْرًا، وَأَخْبَنِي عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بَعْدَهُ فِي مَوْجِدَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ. فَوَعَدَهُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَكَلِّمَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْبِرَهُ بِأَعْتِنَارِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُحَمَّدٌ وَافَاهُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَكِبَ.
 فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ أَتَيْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: عَبْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ بِطَلَقِ نِسَائِهِ وَتَعْتِيقِ مَمَالِيكِهِ وَصَدَقَةِ مَالِهِ مَعَ عَشْرِينَ
 نَذْرًا يُبْهِسُهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَاقِيًا رَاجِلًا، وَالْبَرَاءَةَ مِنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ
 مَا يُلْغِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعَهُ اللَّهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، أَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَوْ هَمَّ بِهِ أَوْ أَخْضَرَهُ
 أَوْ أَظْهَرَهُ. قَالَ: فَاطْرُقِ الرَّشِيدَ مَلِيًّا مُفَكِّرًا. وَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَلْحَظُهُ، وَوَجْهَهُ يُسِيرُ
 وَيُتَبَرِّقُ حَتَّى زَالَ مَا وَجَدَهُ. وَكَانَ قَدْ حَالَ لَوْنُهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ
 فَقَالَ: أَحْسَبُهُ صَادِقًا، يَا مُحَمَّدُ. فَرَمَهُ بِالرَّوَّاحِ إِلَى الْبَابِ. قَالَ: وَأَكُونُ مَعَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
 قَالَ: نَعَمْ. فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَبَشَّرَهُ بِجَمِيلِ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُ بِالرُّكُوبِ وَرَوَّاحًا.
 فَدَخَلَ جَمِيعًا. فَلَمَّا بَصُرَ عَبْدُ اللَّهِ بِالرَّشِيدِ انْحَرَفَ نَحْوَ الْقِبْلَةِ نَحْرًا سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ فَاسْتَدْنَاهُ الرَّشِيدَ. فَدَنَا وَعَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ. فَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَبَسَّاطَهُ
 وَمَوْطِئَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ أَنْ يُأْذَنَ لَهُ فِي الْأَعْتِنَارِ. فَقَالَ: مَا لَكَ حَاجَةً إِلَيَّ أَنْ تَعْتَنِرَ،
 إِذَا عَرَفْتُ عُذْرَكَ. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ، إِذَا دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ، رَأَى فِيهِ بَعْضَ
 الْإِعْرَاضِ وَالْإِتْقَابِضِ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ
 عَبْدُ اللَّهِ يَشْكُو أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ تِلْكَ النَّبْوَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْأَلُ الزِّيَادَةَ

(١) أَوْ جَبَّ وَقَعُ النَّكَايَةِ بِهَا.

(٢) أَسَابِيهَا بِمِرَاحَةٍ.

فِي بَسْطِهِ لَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّا مَعَشَرُ الْمُلُوكِ ، إِذَا غَضِبْنَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَطَانَتِنَا
ثُمَّ رَضِينَا عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، بَقِيَ لَتِلْكَ الْعَجْزِيَّةِ أَثَرٌ لَا يُخْرِجُهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ .^(١)



وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ يَكْتُمَ أَسْرَارَهُ مِنْ الْآبِ وَالْأُمِّ وَالْأَخِّ وَالزَّوْجَةِ وَالصَّدِيقِ .
فَإِنَّ الْمَلِكَ يَحْتَمِلُ كُلَّ مَبْقُوصٍ وَمَأْنُوفٍ ، وَلَا يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةً : صِفَةً أَحَدِهِمْ أَنْ
يَطْعَنَ فِي مُلْكِهِ ، وَصِفَةً الْآخَرِ أَنْ يَكْذِبَ أَسْرَارَهُ ، وَصِفَةً الْآخَرِ أَنْ يُخُونَهُ فِي حُرْمِهِ .
فَمَا مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ أَنْ تَلْبَسَ خَاصَّتُهَا وَمِنْ قَرَبِ مَنْهَا عَلَى
مَا فِيهِمْ ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ مِنْهُمْ إِذَا سَلَمُوا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ .
وَكَانَ كَسْرِي أَبُو رِيزٍ يَقُولُ : "يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ أَنْ يَجْعَلَ هِمَّةً كُلَّهَا فِي آمْتِحَانِ
أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، إِذْ كَانَتْ أَرْكَانَ الْمَلِكِ وَدَعَائِمَهُ" .^(٢)

كتم الملك أسرار



فَكَانَتْ مَحْتَمَةً فِي إِذَاعَةِ السَّرَّعِيَّةِ . وَلِلْقَائِلِ أَنْ يَقُولَ فِيهَا إِنَّمَا خَارِجَةٌ مِنْ بَابِ
الْعَدْلِ ، دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَاللَّاحِظُ أَنَّ يَقُولَ إِنَّمَا يَحْنُ الْحُكَّامُ مِنَ الْمُلُوكِ .
وَكَانَ إِذَا عَرَفَ مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَطَانَتِهِ وَخَاصَّتِهِ التَّحَابَّ وَالْأَلْفَةَ وَالْإِتِّفَاقَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، خِلَافًا أَحَدُهُمَا فَأَفْضَى إِلَى بَسْرٍ فِي الْآخَرِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى
قَتْلِهِ ، وَأَخْبَرَهُ بِكِتَابَةِ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَضَمًّا عَنْ غَيْرِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِوَعِيدِهِ .

إمتحان أبو ريز
رحاله في حفظ السر

(١) نقل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في ص .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب - (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة مسبوقة بلفظ آخر لا ي

يجعفر المصور العباسي - (أنظرها في الحاسن والأصدقاء ص ٢٨ والحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

(٤) في "حسان الملوك" (ص ٤٤) ما نعه : وأما كتمان سر السلطان فهو ملك الأمر ونظام الملكة وسبب بقاء
الدولة . كان أبو ريز إذا دخل إليه وزيره ومأجبه سره ، لم يفارقه في شيء حتى لا يبتغي عنده أحد . فإذا لم يبق
أحد ، أمر أن ترفع الستائر عن لعله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فأوضه بسرّه .

ثم جعل مَحْتَتَهُ فِي إِذَاعَةِ سِرِّهِ مَلاحِظَةً صَدِيقَهُ فِي دَخُولِهِ عَلَيْهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ عِنْدِهِ،
وَفِي إِسْفَارِ وَجْهِهِ وَلِقَائِهِ لِلْمَلِكِ. فَإِنَّ وَجَدَ آخِرَ أَمْرِهِ كَأَوَّلِهِ فِي أَحْوَالِهِ، عِلْمٌ أَنَّ
الْآخِرَ لَمْ يُفِضْ إِلَيْهِ سِرَّهُ وَلَمْ يُظْهِرْهُ عَلَيْهِ، فَقَرَّبَهُ وَاجْتَبَاهُ وَرَفَعَ مَرْتَبَتَهُ وَجَبَاهُ،
ثُمَّ خَلَا بِهِ، فَقَالَ: "إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ قَتْلَ فُلَانٍ لَشَيْءٍ بَلَّغَنِي عَنْهُ. فَبَحِثْتُ عَنْ أَمْرِهِ
فَوَجَدْتُهُ بِاطِّلَاءٍ."^(١)

وَإِنْ رَأَى مِنْ صَاحِبِهِ نَفُورَ نَفْسٍ وَأَزُورَ آجَانِبٍ وَإِعْرَاضَ وَجْهِهِ، عِلْمٌ أَنَّهُ قَدْ
أَذَاعَ سِرَّهُ، فَأَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ وَجَفَاهُ، وَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ أَنَّهُ أَرَادَ مَحْتَتَهُ بِمَا أَوْدَعَهُ مِنْ
سِرِّهِ. فَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ، وَضَعَ مَرْتَبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ النَّدَمَاءِ، أَمَرَ
أَنْ يُجَبَّ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ، أَمَرَ أَنْ [لَا] يُسْتَعَانَ بِهِ، وَإِنْ
كَانَ مِنْ سَدَنَةِ بَيْتِ الْتِرْيَاقِ، أَمَرَ بِعَزْلِهِ وَإِسْقَاطِ أَرْزَاقِهِ. وَيَقُولُ: "مَنْ لَمْ يَصْلُحْ
لِمَلِكِهِ، لَا يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ، فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ." وَيَقُولُ: "إِنَّ الْقَلْبَ
أَعْدَلُ عَلَى الْقَلْبِ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ، وَقَوْلُ شَيْءٍ يُكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا ظَهَرَ فِي الْعَيْنَيْنِ:
إِذَا كَانَتِ الْأَعْضَاءُ مُشْتَرِكَةً يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ."

فَأَمَّا مَحْتَتُهُ فِي الْحَرَمِ، فَكَانَ إِذَا خَفَّ الرَّجُلُ عَلَى قَلْبِهِ وَقَرَّبَ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَ عَالِمًا
يُظْهِرُ التَّأَلُّهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْأَمَانَةِ فِي الدِّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى ظَاهِرِهِ،
أَحَبُّ إِلَيْهِ يَمْتَحِنُهُ بِمَحْتَتِهِ بَاطِنَةً. فَيَأْمُرُ بِهِ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَى قَصْرِهِ وَيُفَرِّغَ لَهُ بَعْضَ الْحُجَرِ
الَّتِي تَقَرَّبَ مِنْهُ، وَلَا يُحَوَّلَ إِلَيْهَا أَمْرَأَةٌ وَلَا جَارِيَةٌ وَلَا حُرْمَةٌ. وَيَقُولُ لَهُ: "إِنِّي أُحِبُّ
الْأَنْسَ بَلَكَ فِي لَيْلِي وَنَهَارِي. وَمَتَى كَانَ مَعَكَ بَعْضُ حُرْمِكَ، قَطَعْتُكَ عَنِّي وَقَطَعْنِي عَنْكَ."

امتناعه لرجال
في حفظ الحرم

(١) روى صاحب "معان الملوكة" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سم: إن القلب يظهر مافيه في العينين.

فَجَعَلَ مُنْصَرَّكَ إِلَى مِزَلِ نَسَائِكَ فِي كُلِّ نَحْسٍ لِيَالٍ لَيْلَةٍ. " فَإِذَا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَأَنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرَفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهُرًا .

فَأَمْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْحَنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تَأْتِيهِ. فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْسَةً. وَأَنْ تُبَدِّيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا، فَفَعَلَتْ. وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةَ الثَّلَاثَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتَحَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ. فَفَعَلَتْ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُحَيِّدُ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرِّجُ بِحَدِيثِهَا. وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَرَضَ مِنْ

(٨٠)

- هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ. فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ: " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْتَرَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أُدَبِّرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا. " ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا. فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَتَقَاتَنَ بِالطَّافَةِ وَهَدَايَاهُ. فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتَ فُلَانَةً؟ قَالَتْ: أَحْتَلْتُ. فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ. ثُمَّ لَمْ تَطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأَوَّلَى فِي الْمَرَّةِ الْأَوَّلَى. ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا. وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحِكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ. فَدَعَاَهَا إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ. فَقَالَتْ: " إِنَّمَا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى خُطَى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؛ وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ. فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ، فَاطْهَرِي أَنْكَ عَظِيمٌ، وَتَمَارِضِي. فَإِنْ

(٨١)

خَيْرِكَ بَيْنَ الْأَنْصَرَفِ إِلَى دُورِ نِسَائِكَ أَوْ الْمَقَامِ هُنَا إِلَى رَجُوعِهِ، فَأَخْتَرِ الْمَقَامَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ تَصُعُبُ عَلَيْكَ. فَاذَا أَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، جِئْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَلَبِثْتُ عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ. ^(١) فَسَكَنَ الرَّقِيعُ إِلَى هَذِهِ الْأَنْسَةِ، وَأَنْصَرَفَتِ الْجَسَّارِيَّةُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي وَعَدْتُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَلِكُ فِيهِ، دَعَاهُ الْمَلِكُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَخْبِرْهُ أَنِّي عَلِيلٌ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ، تَبَسَّمَ أَبُو رِيزٍ، وَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ الشَّرِّ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمِحْفَةٍ، فَحَمِلَ فِيهَا حَتَّى أَتَاهُ، وَهُوَ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ. فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ: وَالْعَصَا بَةُ الشَّرِّ الثَّانِي. وَتَبَسَّمَ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَلِكِ، سَجَدَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو رِيزٍ: مَتَى حَدَّثْتَ بِكَ هَذِهِ الْعَلَّةَ؟ قَالَ: فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ: فَأَيُّ الْأُمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَلَا أَنْصَرُفُ إِلَى مَنْزِلِكَ وَنِسَائِكَ لِيَمْتَزَّجَنَّكَ أَوْ الْمَقَامِ هُنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي؟ قَالَ: هُنَا أَيْهَا الْمَلِكُ أَرْفُقُ بِي، وَلَقَلَّةِ الْحَرَكَةِ. فَتَبَسَّمَ أَبُو رِيزٍ، وَقَالَ: مَا صَدَقْتَ! حَرَكْتُكَ هُنَا،

٨٢

إِنْ خَلَقْتُكَ، أَكْثَرَ مِنْ حَرَكَتِكَ فِي مَنْزِلِكَ.

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُخْرَجَ لَهُ عَصَا الزُّنَاةِ الَّتِي كَانَ يُوسِّمُ بِهَا مَنْ زَنَى. فَأَيَقَنَ الرَّجُلُ بِالشَّرِّ. وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا حَرْفًا، فَيُقْرَأَ عَلَى النَّاسِ إِذَا حَضَرُوا، وَأَنْ يُنْفَى إِلَى أَقْصَى حَدِّ الْمَمْلَكَةِ، وَيُجْعَلَ الْعَصَا فِي رَأْسِ رُحَى تَكُونَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، لِيَحْذَرَ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا أُخْرِجَ بِالرَّجُلِ عَنِ الْمَدَائِنِ، مُتَوَجِّهًا بِهِ نَحْوَ فَارِسَ أَخَذَ مُدْيَةً كَانَتْ مَعَ بَعْضِ الْأَعْوَانِ الَّذِينَ وَكَّلُوا بِهِ، بِغَبِّهَا ذَكَرَهُ، وَقَالَ: مَنْ أَطَاعَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ صَغِيرًا، أَفْسَدَ عَلَيْهِ أَعْضَاءَهُ كُلَّهَا، صَغَارَهَا وَكَبَارَهَا. فَتَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ. ^(٢)

(١) الرقيع والمرقمان الأحمق وهو الذي في عقله مَرَمَةٌ (صحاح) [عاشية في صه]. والمرمة

منها هنا الاحتياج إلى الترفيع والترميم. (أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "الحاسن والأعفاد" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتحنانه فيمن
يطعن في الملكة

وكان قد نَصَبَ رجلاً يمتحن به مَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ وَطَعَنَ في الملكة . فكان الرجل يُظهر الثَّأْلَةَ والدعاء إلى التَّضَلُّي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب الملوك . وكان يُقْصُ على الناس ويُمَكِّمهم ويشوبُ في خلال ذلك كلامه بالتعريض بذي الملك وتركه شرائع ملته وسُنن دينه ونواميس آباءه . وكان هذا الرجل الذي

﴿٩٥﴾

نصبه لهذا أخاه من الرضاة وترَّبه في الصِّبا . فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتحن بذلك خاصَّته ، أخبر به . فيضحك لذلك أبرويز ، ويقول : ” فلان في عقله ضَعْفٌ ، وأنا أعلم به . وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني بسوء ، ولا الملكة بما يُوهِنُها “ ، فيُظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه .

ثم يوجه إليه في خلال ذلك مَنْ يدعوه إليه ، فيأبى أن يُجيبه ، ويقول : لا ينبغي لمن يخاف الله أن يخاف أحداً سواه . فكان الطاعن على الملك والملكة يُكثِّرُ انخِلَوةً بهذا الرجل في الزيارة له والأُنس به . فإذا خَلَوْا ، تذاكروا أمر الملك ، وأبتدأ الناسكُ يطعنُ على الملك وفي صُلبِ الملكة . فأعانه الخلائُ وطابقه على ذلك وشأعته عليه ، فيقول له الناسك : ” إياك أن تُظهر هذا الجبار على كلامك ! فإنه لا يَحْتَمِلُ لك ما يَحْتَمِلُهُ لِي . فحُصِّنْ منه دَمَك ! “ . فيزداد الآخر إليه استنامةً وبه ثقة . فإذا علم

﴿٩٦﴾

الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة ، قال له : ١٥
إني عاقِدٌ غداً مجلساً للناس أقصُ عليهم ، فَأَحْضِرْهُ ! فإنك رجلٌ رقيق القلب عند الذكر ، حَسَنُ النية ، ساكنُ الريح ، بعيدُ الصوت . وإن الناس إذا رَأَوْكَ قد حَضَرَتْ مجلسي ، زادت نياتهم خيراً ، وسارعوا إلى استعجابي . فيقول له الرجل : إني أخاف هذا الجبار ، فلا تذكُرْهُ إن حضرتُ مجلسك .

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصّة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوناً تحضر مجلس الناسك، متى جلس،
 فيبكر الناسك وقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن، فلبس فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فاطهره^(١) والأمنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فأقتله قتلة تخفي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار^(٢) فإنه من قسدت نيته لغير علي في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلية^(٣)."

٨٥

تفاخل الملك
الصغار

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المال ولا يضع من
 العيز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء الفرس بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح وافي
 في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراسد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأنظر Dictionnaire géographique de la Perse, par Barbier de Meynard, p. 122, 569.

(٢) صم: "لغير علة صلحت بجلانها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 وتلخصها جدًا صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردتها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمساوي"
 (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) صم: في القلب ولا يخرج.

تفاضل بهرام بجور
عن سرقة الجمام

وفيا يحكى عن بهرام جور أنه نرج يومًا لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى راج تحت شجرة، وهو حافٍ^(١). فقال للراعى: احفظ على عِنانِ دابَّتِي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عِنانَ القَرس. وكان بلامه مُلبسًا ذَهَبًا، فوجد الراعى غَفْلَةً من بهرام فأنرج من حُفَّهِ سَكِينًا^(٢) فقطع بعض أطراف الجمام. ورفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحميا، ورى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعى حاجته من الجمام. وجعل الراعى يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاسته من الجمام، قام فقال: ياراعى! قَدِّمْ لِي قَرَسِي، فإنه قد دخل في عينيَّ مما في هذه الرمح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤهِّمه أنه يتفقد حلية الجمام. فقترب الراعى فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعى: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (الموضع بعيد). قال بهرام: وما سألك عن هذا الموضع؟ قال: هنالك منزلى، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومى هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وقطن لما أراد. فقال: أنا رجلٌ مسافرٌ، وأنا أحقُّ بأن لا أعود إلى ها هنا أبداً. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق الجمام قد وهبته لسائل مررى، فلا تتهمن بها أحداً.^(٣)

١٥ (١) عار القرس أى ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه منقش. وفى صدره: عارته فرسه. [وفى هامشه: صح: عاره يومره ويعيره أى أخذه وذهب به]. وأنت ترى أنت. رواية صدره عارية عن الصواب، وأن حاشيته فى الهامش لا محل لها فى هذا المقام.

(٢) أى أجمع البول فيه، فهو فى حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لا ترائى لحاقب ولا لحاقن» أى لمن تشد به الحاجة للإخراج من أحد السيلين. يكون مضطرا لحبسهما.

٢٠ (٣) [أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب]

(٤) سره: طيه.

(٥) روى هذه الحكاية بجزئها فى "المحاسن والمساوى" (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجان^(١)، ووُضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى يبيح يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما آنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فآخفاه في قباته^(٢)، وأنوشروان يلاحظه. فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرج أحد من الدار حتى يُفتش. فقال كسرى: لا تتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد قعدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يرثها عليك، وقد رآه من لا يثم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام.

٨٧

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووُضعت الموائد، وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسر الهاء، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وبسطها يافوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجر يانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة درزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (تاي) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabaai) للدلالة على الثوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار سيرجدا صاحب "الحاسن والمداوي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي صه: وبذر.

٥

١٠

١٥

٢٠

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ آتَى بِهِ الْمَجْلِسُ. فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحُجَزَةً سِرَاوِيلَهُ وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَلَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَائِيرَ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ لَكَ.^(٢)

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سِيرِهِمْ وكنيتهم.



وَإِنَّمَا يَتَّقِدُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْنُرُ عِنْدَهُ كُلَّ شَيْءٍ.

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَتَقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى قَالُوا فِي نَحْوٍ مِنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي: "الْمَغْبُورُ لَا مَجُودٌ وَلَا مُأْجُورٌ". فَحَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَى الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ، وَالْمَشَاتِمَةَ لِلسَّفَلَةِ وَالسُّوقَةِ، وَالْمَقَازِفَةَ لِلرَّعَاعِ وَالْوَضْعَاءِ، وَالنَّظَرَ فِي قِيَمَةِ حَبَّةٍ، وَالْأُطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ، وَأَخَذَ الْمَعَايِيرَ بِالْأَيْدَى.

الرد على قولهم:
المغبون لا مجود ولا مأجور

وَبِالْحَقَرَى أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُورُ مَجُودًا وَمُأْجُورًا. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ: اغْنِنِي. بَلْ لَوْ قَالَهَا، كَانَتْ أَكْرَمَةً وَفَضِيلَةً، وَقَعْلَةً جَمِيلَةً تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ عُنْصَرِ الْقَائِلِ وَطَيْبِ مُرَّتِّهِ.

(١) موضع التَّكَّة من السراويل.

(٢) رواها باختصار صاحب "الحاشن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٣) صه: "والمعارضة للزعاع والوضعا".

(٤) جمع معيار.

(٥) سه: "مكرمة". | وهما بمعنى واحد.

ولذلك قالت العرب: "السُّرُ التَّغَاوُلُ" ^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا بُيِّنَ، ألا وجئت له في قلبك فضيلةً وجمالةً ماتمدر على دفعها . وكذا أدبنا نهنأ (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحَمُ اللهُ سَهْلَ الشَّرَاءِ، سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاضِي" ^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجُرُّ ذلي على الخلدائع."

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكّاساً."

وفيا يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حبة أبيه لِمَتَرَه ^(٣)، فَبَسَطَ له في صحراء، فتفدّى مع أصحابه، فلما حان أنصرافه، تشاغل غلمانُه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غَفْلَةً، فأخذ دُورَاج ^(٤) سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في س: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "التغافل من مجاها الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس النبيُّ بسيدٍ في قومه . لكن سيد قومه المتغاب.

(٢) في الأصل: ولا عن .

(٣) ص: "رسم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رسم الله رجلاً سهُماً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لِمَتَرَه .

(٥) الدُورَاج هو الخفاف الذي يُبَسَّس. ولعل شبهة بالملحفة المسماة الآن بالمُغَرَّبِيَّة . وأنظر ما كتبه طبعه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى . قال في مطالع البدور: عهد لأم المتمر ثلاثة دوايريج كانت تستعملن، هُتُورُم الدُورَاج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

كلمة معاوية

كلمة الحسن

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

إليه . فيصربه بعض حشمه ، فصاح به : أَلْقِ مَاعِيكَ ! فقال الأعرابي : ”لَا لَعَمْرِي ! لَا أَتْلِيهِ وَلَا كَرَامَةً ! هَذَا كَسَوَةُ الْأَمِيرِ وَخَلَعْتُهُ“ . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كَسَوْتُهُ . فزَكَتَهُ إِعْصَارُ الرِّيحِ .

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا مَا فَعَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْأَمْسِ ، وَقَدْ خُتِرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً رَاحَةً ، أَخَذَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَطَلَبْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَلَمْ تَوْجَدْ . فَبَاعَهَا الرَّجُلُ بِبَغْدَادٍ ، وَقَدْ كَانَتْ وَصِفَتْ لِأَصْحَابِ الْجَوْهَرِ . فَأَخَذَ وَحَمَلَهُ إِلَى جَعْفَرٍ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ ، اسْتَحْيَا مِنْهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَكُنْ تَطْلُبُ هَذِهِ الدَّرَّةَ مِنِّي ، فَوَهَبْتُهَا لَكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالُوا : لَا تَعْرِضُوا لَهُ ! فَبَاعَهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

جعفر بن سليمان
وسارق الدرّة
❦



وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِكْرَامُ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَبِرُّهُمْ وَالْإِسْتِنَامَةُ إِلَيْهِمْ ”تَقْدِيمَةُ لَهُمْ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَالْحَاضِرِ وَالْبَادِي“ .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةٌ أَكْبَرُ وَلَا أَعْظَمُ قَدْرًا وَلَا أَنْبَلُ فَعْلًا مِنَ الْوَفَاءِ . وَلَيْسَ الْوَفَاءُ شُكْرُ اللِّسَانِ فَقَطْ ، لِأَنَّهُ شُكْرُ اللِّسَانِ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُ مَوْثِقَةٌ . وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فَمِنْهَا - أَنْ يَذْكُرَ الرَّجُلُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، بِمَحْضَةِ الْمَلِكِ قَبْلَ مَنْ دُونِهِ . فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ

(١) رواها في ”المحاسن والمساوي“ (ص ٥٠٦) .

(٢) سم : ”إن“ ص : ”رإن“ . [ووضعت حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والألف في

إليه . فبصر به بعض حشمة ، فصاح به : أَلْقِ ماعليك ! فقال الأعرابي : "لَالْعَمْرَى ! لا أُلْقِيه ولا كرامة ! هذا كُسُوة الأمير وخُلْعته" . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كُسُوتُهُ . فتركا أنه إعصارُ الريح .

وأحسنُ من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن عليّ الأُمس ، وقد عُثِرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً رَائعةً ، أخذها من بين يديه . فطَلَبَتْ بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فَأَخَذَ وَجَلٌ إلى جعفر فلما بَصَرَهُ ، آسَتْحيا منه وقال : أَلَمْ تَكُنْ طَلَبْتَ هذه الدُرَّةَ مِنِّي ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لا تُعَرِّضُوا لَهُ ! فباعها بمائتي ألف درهم .

جعفر بن سليمان
رساق الدُرَّة
٩٠



ومن أخلاق المَلِكِ إِكْرَامُ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَرِثَمُ الْإِسْتِنَامَةِ إِلَيْهِ . . . ٣١ . - "التقدمة" ١٠ - لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شَكَرَ اللسان فقط ، لأن شَكَرَ اللسان ليس على أَحَدٍ منه مؤونة .

وَأَسَمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمَلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أَنْ يَذْكُرَ الرَّجُلُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، بحضرة المَلِكِ قَبْلَ دُونِهِ . فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعت حرف العاء لمنع التشويش في الجملة ، والأخذ

ولذلك قالت العرب: "السُّرُ التَّغَاظِلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا بُيِّسَ، إلّا وجئت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقصد على دفعها .
وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحُمُ الله سَهْلَ الشَّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاظِي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المَغْبُونُ لا مَجُودٌ ولا مُجَوِّرٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إِنِّي لأَجُرُ ذِيْلِي عَلَى الْإِثْلَاعِ."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "الْمُؤْمِنُ لَا يَكُونُ مَكَاَسَاً."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفيا يحكي عن سليمان بن عبد الملك أنه نرج في حبة أبيه لِمَتَّزَهْهْ، فُبَسِّطَ له في صحراء، فتغذى مع أصحابه . فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُورَاجَ^(٥) سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سه: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور

عن السجاح قوله: "الفافل من مجابا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس النبيُّ بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتعاب.

(٢) في الأصل: ولا عن .

(٣) سه: "رسم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رسم الله رجلا

سهما إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) سه: لم تتره .

(٥) الدُورَاج هو الخفاف الذي يُبَسّس . ولعل شبهة باللحفة المسماة الآن بِالْمُضَرَّبَةِ . وأنظر ما كتبه عليه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى . قال في مطالع البدور: مُوَهَّدٌ لَأَمْ الْمُتَزَلِّةُ ثلاثة دواريج كانت تستعملهن، هُتُومُ الدُورَاج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

فيه سَيِّئَةُ الرَّأْيِ ، فليس من الوفاء أن يُعينه على سوء رأيه . فإن خاف سَوَاطِ الْمَلِكِ وسيفه ، فأحسن صفاته أن يُمسِكَ عن ذكره بخير أو شر .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والتعل بالنعل والثوب بالثوب .

❦

ومنها - الحفظ له في خَلَقِهِ وِعِيَالِهِ ، ما كان في الدنيا ، حتى يجعلهم إسوة عِيَالِهِ في الجَلَدِ والْحَصْبِ .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أَوْلَمًا ، وَأَحْرَمًا ، لا تمنع أحدًا من خاصتها وعاقبتها شُكْرَ مَنْ أنعم عليها أو على أحدٍ منها وتقريظه وذَكَرَ نعمه وإحسانه ، وإن كانت الشريعة قد قتلتَه والمَلِكُ قد سَخِطَ عليه . بل كانوا يعرفون فضيلة مَنْ ظَهَرَ ذلك منه ويأمرون بصلته وتعهدَه .

ويقال إن قُبَادَ امرٍ بقتل رجلٍ كان من الطاعين على المملِكة . فقتل . فوقف على رأسه رجلٌ كان من جيرانه فقال : " رَحِمَكَ اللهُ ! إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - تُسَكِّمُ الْجَارَ وتصبر على أذاه ، وتواسى أهل الحاجة ، وتقوم بالنائبة ! والعَجَبُ كيف وجد الشيطان فيكَ مَسَاغَا حَتَّى حَمَلَكَ على عصيان مَلِكِكَ ، ففِرَجْتَ من طاعته المفروضة إلى معصيته ! وقديماً ما مَنَّ مَنْ مَنَ هو أشدُّ منك قُوَّةً وأثبت عَزْماً . " فأخذ الرجل

صاحب الشرطة لخبسه. وأتته كلاًه إلى قُبَادَ، فوقَّع قُبَادُ: يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحساناً فُعلَ به؛ وتُرْفَعُ مرتبته، ويُزَادُ في عطائه. (١)

(١٢)

وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة [المخزومي]، حين حُمل رأس مروان [الجلعي] إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة، فعقد له مجلساً وجاءوا بالرأس. فقام سعيد بن عمرو بن جعدة فأكبَّ عليه قياماً طويلاً، ثم قال: هذا رأس. (٢)

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ١١٤).

(٢) كان من إيجالات مروان الجلعي، واشترك معه في وقعة الزاب. (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤؛ والأغاني ج ١١ ص ٧٥؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥).

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق.

١٠ ولدت سنة ٧٢ وفتيا سنة ٧٦. تولى هشام ور، بعده من الخلفاء. الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية سنة ١٢٦. وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلفاء على يزيد بن الوليد. ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام وحارب سليمان بن هشام ودعا الناس إلى ما يسمونه. وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة. وهو الذي سُمي يزيد ابن الوليد بالناقص. وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية. [وأظهر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب].

وهو المعروف في كتب التواريخ بمروان الفرس، ومروان الحمار، ومروان الجلعي. سماه العباسيون الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالفرس. وقيل إنه لُقِّبَ بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه. (كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحروب. ويقال في المثل: "فلان أصبر من حماري في الحروب"، فلذلك لقب به). وقيل إن العرب تسمى كلَّ مائة سنة حماراً. (فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك). وربما كان ذلك لقراره على حمار (يدلُّ على ذلك قول رؤمة ابن العجاج في مدح النعمان:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره * من العيب وعلى يساره
مشيراً لا يُبطلُ يساره * ساءَ أقرَّ الملك في فِزاره
وفرَّ مروان على حماره.)

أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في
وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدثت الناس بكلامه. فلما به بنوه وأهله،

== وأما تسميته بالجعدى فنسبة إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتأليم مؤدبه الجعد بن
سويد بن غفلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ يرأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيين
نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة عليه. وكان الناس يذكرون مروان بنسبه إلى الجعد. وكان الجعد
المستزلة وأظهر مقامه بخلق القرآن والقدر والاسطخاطة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا
يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى وبدبره وفاعله، لا فاعل له غيره، وإنما يقال إن الله خلقه مجازاً لا.
ومن قوله: "إن كان النظر الذي يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعلا". وقيل إنه كان
وعظه ميون بن مهران، فقال: "لأشأ قباذ أحب إلى مما تدين به! فقال له مهران: تلك الله، وهو
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير المرأة
بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاماً فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأتى
من الحبس في وفاته. فلما سئل العيد يوم الاخصى قال في آخر خطبته: "انصرفوا وخصوا يقبل الله.
أريد أن أتمنى اليوم بالجعد بن دهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلاً! تعالى الله
الجعد علواً كبيراً! ثم نزل وذبحه.

أظهر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأظنا
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأظن "الحسان والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والعصر
والأهواء والتحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وأبن الأثير (ج ٥ ص
١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (ص ٨١)؛ والفرق بين الفرق لعبد
البخداوى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبه.

(٢) أى فى حضنه.

عَرْضَتْنَا وَنَفْسَكَ لِلْبَوَارِ ! فَقَالَ : أَسَكْتُوا ، فَبَحَّكُمُ اللَّهُ ! أَلَسَمَ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيَّ
بِالْأَمْسِ بِمَحْوَرٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ مَرَّوَانَ ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟
وَمَا كَانَ لِيغَيِّرَ عَنِّي عَارَ تِلْكَ الْقَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَّوْتُ يَوْمِي
هَذَا مِنَ الْقَتْلِ ، مِتُّ غَدًا . قَالَ : جَعَلَ بَنُوهُ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ
فِي جُوفِ اللَّيْلِ . فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ فَإِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا
بَصُرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنَ جَعْدَةَ ! أَلَا أُبَشِّرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَنِي هَذِهِ
الَّيْلَةَ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَالله ! مَا أُنْجِرُ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَلَقَدْ
أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسٌ بَنًا رَحِمًا مِنْهُ بِمَرَّوَانَ ، إِنَّ أَحْسَنًا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَالله ! ^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى بصير في قبره . ومنه قول كعب :

فَإِنَّ تَلَّ عَنكَ النَّفْسُ أَوْ نَدَّيَ الْهَوَى • بِالْإِبَّاسِ تَسْلُو عَنكَ • لَا مَاتِلِحِدٍ •
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فَهُوَ قَاتِلٌ • مِنْ أَحْلَكَ هَذَا هَامَةً الْيَوْمَ أَوْغَدَ •

يقال : فلان هامة اليوم أروغده ، أى يموت في يومه أروغده . ويقال ذلك للشَّيْخِ إِذَا سَنَّ ، والمرضى إِذَا طَالَتْ
عِلَّتُهُ ، والمحترمة لِدَلَّةِ الْآجَالِ . وفي الحديث أن أبا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن رضى الأضارى وقد تخلف
معه في غزوة أُحُدٍ : ” إِنِّي بَنَّا نَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْغَدَ “ .
(وكان قد أَسَنَّ) . ومرجع ذلك لاعتقاد العرب في مسألة الهامة . (راجع ” الكامل “ الجزء ص ٢١١ و ٣٨٧)
وأنظر ” الأغاني “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين ** منقولة من صـ . وقد رواها في ” المحاسن والمساوى “
(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأَنْصَارِيَّة] مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ، حين دعا
إلى مُفَارَقَةِ عَلَى بن أَبِي طَالِبٍ والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد:
”يا وثن آبن وثن! تكتبُ إليّ تدعوني إلى مُفَارَقَةِ عَلَى بن أَبِي طَالِبٍ والدخول
في طاعتك وتخونني بتفرُّق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالكهم إليك! فوالله
الذي لا إله غيره! لو لم يبقَ له غيري ولم يبقَ لي غيره، ما سألتك أبداً، وأنت حربُه،
ولا دخلتُ في طاعتك وأنت عدُوّه، ولا اخترتُ عدو الله على وليّه، ولا حُزِبَ الشيطان
على حُزْبِ الله. والسلام!“

الإسكندر
والتقريون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من
أساورتهم برأس ملكهم، يتنكبون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رغبهم وقلة شكرهم
ملكهم ومن أعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شبرويه ومادحه
على قتل أبرويز

وفيما يُحكى عن شبرويه أن رجلاً من الرعية وقف له يوماً، وقد رجع من
الميدان، فقال: ”الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك، وملّكك ما كنت أحق به
منه وأراح آل ساسان من جبريته وعُتُوّه وبُخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،
ويأخذ بالثوب“

(١) أطرف المدودي مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أطروحات ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب].

(٣) ص: «جبروته». والخرقة القهر والعلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد.
وفي حطبة عتبة بن غزوان: ”وإنه لم تكن سوة إلا تأنسختها جبرية“. أي ملك غالب وعضوض. [أنظر
”البيان والتبيين“ ج ١ ص ١٧٢]

(٤) ص: بالإحنة.

ويقتل بالظن، ويُخيف البرى، ويعمل بالهوى. فقال شيرويه للمعجب: اِحْمِلْهُ
إِلَى الْحُفْل. فقال له: -.

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنتُ في كفاية من العيش.

- فكَم زَيْدٌ في أرزاقك اليوم؟

- ما زَيْدٌ في رزقي شَيْءٌ.

- فهل وَتَرَكَ أبرويز، فَأَتَبَصَّرَ منه بما سَمِعْتُ من كلامك؟

- لا .

قال - فمادعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وَتَرَكَ في نفسك؟

وما للعانة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فَأَمَرَ أَنْ يُتَرَعَ لِسَانُهُ مِنْ قَفَاهُ، وقال: "بِحَقِّ مَا يَقَالُ إِنَّ الْخُرَّسَ خَيْرٌ مِنَ الْبَيَانِ
فِيمَا لَا يَجِبُ".

وَحَدَّثَنِي صَبَاحُ بْنُ خَاقَانَ^(٣١)، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ [المنصور] لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وَتَرَ حَقَّهُ أَى قَصَهُ. (مصحاح) [حاشية في ص-]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في "الحاسن والمساوي" (ص ٤١١).

(٣) هو صباح بن خاقان المَقْرِي. كان نديما لمصعب الزبيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب.

وكان متعصباً للفرزدق وجرير يفضلهما على الأخطل (أغاني ج ٧ ص ١٧٤ راج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠).

وكان هو ومصعب جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠).

وقد أمتدحه إسماعيل النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠).

إبراهيم بن عبد الله فُوَضِعَ بين يديه، جاء بعض أولئك الرُّوَيْدِيَّةَ فُضِرَبَ الرَّأْسَ بِعَمودٍ
كَانَ فِي يَدِهِ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلْسَّيِّبِ: دُقْ وَجْهَهُ! دُقْ الْمُسَيَّبُ أَثْمَهُ. ثُمَّ قَالَ [الْمَنْصُورُ]
لَهُ: يَا أَبْنَ الْخَنَاءِ! تَجِيءُ إِلَى رَأْسِ أَبِي عَمِّي (وَقَدْ صَارَ إِلَى حَالٍ لَا يَدْفَعُ وَلَا يَنْفَعُ) تُضْرِبُهُ
بِعَمُودِكَ، كَأَنَّكَ رَأَيْتَهُ وَهُوَ يُرِيدُ نَفْسِي فَدَفَعْتَهُ عَنِّي. أُتْرَجَ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ!

❦

المنصور وما دح
هشام الأموي

وَيَقَالُ إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ وَجَّهَ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، كَانَ مِنْ بَطَانَةِ هِشَامِ، فَسَأَلَهُ
عَنْ تَدْيِيرِ هِشَامِ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ الْخَوَارِجَ. فَوَصَفَ لَهُ الشَّيْخُ مَا دُبِّرَ، فَقَالَ: "فَعَلَ
(رَحِمَهُ اللَّهُ) كَذَا وَصَنَعَ (رَحِمَهُ اللَّهُ) كَذَا". فَقَالَ الْمَنْصُورُ: قُمْ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! تَطَأُ
بِإِسْطِطَى، وَتَتَرَجَّمُ عَلَى عَدُوِّي؟ فَقَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ وَهُوَ مُوَلِّ: إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ
فِي عُنُقِي لَا يَتْرَعُهَا إِلَّا غَاسِلِي. فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: ارْجِعْ يَا شَيْخُ! فَرَجَعَ. فَقَالَ لَهُ: أَشْهَدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرقة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور
في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتلته في سنة ١٤٥. ولم يتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب
في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور
من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لباسي الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن
الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٢٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل
بأنه من السبأفة (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو المسيب بن زهير الضبي وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضبة). كان على شرطة
أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة موسى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين
والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: س.

١٠

١٥

٢٠

أنك نهضت حرةً وغرأس شريفاً! جُدْ إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ، دعا له بلال ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجةٍ إليه! ولقد مات عني مَنْ كنتُ في ذكره آتفاً، فما أحوَجني إلى وقوفٍ على بابٍ أحدٍ بعده. ولولا جلالةُ عزِّ أمير المؤمنين وإيثارُ طاعته ما لَيْسْتُ لأحدٍ بعده نعمةً." فقال المنصور: "مُتْ إذا شئتَ، فله أنت! فلو لم يكن لقولك غيرك، لكنتَ قد أبقيتَ لهم محمداً مُحمّداً". ويقال إن الرجل كان من شَيْبَانٍ^(١).

٩٥

ومن حقِّ الملك - إذا حضره سُمارةٌ أو محدثوه - أن لا يُحرَّك أحدٌ منهم شَيْئَةً مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه، وإن كان نادراً شيئاً، وأن يكون غرضهم حُسْنَ الاستماع، وإشغال الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جلس حديثه.

الأدب عند ما يتكلم الملك

وليس لمن حدث الملك أن يُفسدَ ألفاظه وكلامه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني" أو "فإنهم عني" أو "يا هذا" أو "والآخري". فإن هذا وما أشبهه عيٌّ من قائله وحشوه في كلامه وخروجٌ من بسْط اللسان^(٢) ودليلٌ على القُدامة والغفائة^(٣). وليكن كلامه

الأدب في تحديث الملك

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتدييره وسياسة متبهاً لهشام في ألفاظه، لكثرة ما يستعصم من أخبار هشام وسيرته. (شذوات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سر: وتزوج من بسط الزمان، ص: وتزوج يربط اللسان.

(٣) القُدامة الين عن الجبة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء التلق. وبمعناها العامة في أيامنا هذه بقولهم: الغفائة. ومنها فلان غفوت.

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبةً مُتَّصِلَةً، وَسَقَطَ تَلَامِيهِ قَلِيلاً. فإذا عَرِغَ من الحديث،
فليس له أَنْ يَصِلَهُ بِحَدِيثٍ آخَرَ، وَإِنْ كَانَ شَبِيهاً بِالحديث الأول، حَتَّى يَرَى أَنَّ
الْمَلِكَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَأَصْنَى إِلَى حَدِيثِهِ. [فَإِنْ أَعْرَضَ] لَشُغْلٍ يَدْرُسُ لَهُ ،
[فليس له] أَنْ يَتَرَفَّى بِحَدِيثِهِ وَأَنْ يَصِلَ كَلَامُهُ ، فَيَحْتَاجُ الْمَلِكُ إِلَى الْإِصْنَاءِ إِلَيْهِ وَيَحْتَاجُ
إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا عَرَضَ لَهُ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ أَمْرَيْنِ . فَإِنَّ هَذَا يُخَفِّفُ مِنْ فَاعِلِهِ وَخُرُوجُ
مِنَ الْأَدَبِ . وَلَكِنْ لِيُنْصِتَ مُطَرِّقاً : فَإِنْ اتَّصَلَ شُغْلُ الْمَلِكِ ، تَرَكَ الْحَدِيثَ ، وَإِنْ
أَتَقَطَعَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ فِي إِتِمَامِهِ وَإِعَادَتِهِ .

+

عدم الضحك من
حديث الملك

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُضْحَكَ مِنْ حَدِيثِهِ إِذَا حَدَّثَ ، لِأَنَّ الضَّحِكَ بِمَحْضَرَةِ الْمَلِكِ
جَرَاءٌ عَلَيْهِ ، وَلَا يُظْهَرُ التَّعَجُّبُ بِفَائِدَةِ حَدِيثِهِ . وَإِنَّمَا هَذَا إِلَى الْمَلِكِ . فَإِنَّ ضَحِكَ الْمَلِكِ مِنْ
الْحَدِيثِ وَأَظْهَرَ السَّرُورِ بِهِ . فَذَاكَ غَرَضُ حَدِيثِهِ . وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . وَإِنْ سَكَتَ ، فَلَمْ يَكُنْ
فِي الْحَدِيثِ مَا يَلْهِمُهُ وَيُطْرَبُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ فَائِدَةً ، كَانَ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْعَيْبِ ، إِذْ لَمْ
يَضْحَكْ وَلَمْ يَعْجَبْ .

+

عدم إعادة الحديث
مرتين على الملك

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُعَادَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ . وَإِنْ طَالَ بَيْنَهُمَا الدَّهْرُ وَغَبَرَتْ
بَيْنَهُمَا الْأَيَّامُ ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ الْمَلِكُ . فَإِنْ ذَكَرَهُ ، فَهُوَ إِذْنٌ مِنْهُ فِي إِعَادَتِهِ .

١٧
كلمة روح بن زبياع
في المعنى

وَكَانَ رَوْحُ بْنُ زَبْيَاعٍ يَقُولُ : أَقْسَمْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ ،
مَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا .

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب .

- وكان الشعبي^(١) يقول: ما حدثت بحديث مرتين لرجل بعينه قط.
- وكان أبو الهيثم^(٢) يقول: مارأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يُعدّ عليّ حديثا قط.
- وكان ابن عباس^(٣) يقول: حدثت المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث. فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: قد اضطُررت إلى التكرار، يا ابن عباس! قلت: ما هذا منها، يا أبا عبد المؤمن. قال: أما تذكر ليلة الرد والأمطار، وأنت تحدثت عن يوم ذي قار، فقلت لك: ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة^(٤).

(١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر .

(٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية .

(٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب .

(٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل . القرود من الكوفة . حدث . فيه معركة هائلة بين الدب والعجم قبل البعثة النبوية ، وقيل بين غزو قتيّ مدّر وأحّد . انتصر فيها العرب على العجم أنصارا بأهرا تغشّ به شعراؤهم وتحدّث به أخبار يوم . ويسمى هذا اليوم أيضا بيوم الحبر ، ويوم حبر ذي قار ، ويوم حبر القرام . ويوم بطلع ذي قار ، ويوم قرامق ، ويوم الجبابات . ويوم ذات المعجم . وكان من مواضع حول ذي قار . ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال .

(٥) القار (بضم القاء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الزيت) الذي تُغطّى به السفن ، وهو شجر مرّ أيضا (عن تاج العروس) . وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه حدهم من أسماء الأعداد) ، وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزيت بسبب لونهما . وليس يستمد من الحكاية التي أوردها ابن حنبل (مع ملاحظة المنصور على جلسيه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء ، ولأنه ربما كان تلميذا يوم ذي قار يلاحظه بزل الثلج وأن الموضوع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة . والحقيقة أن اللفظ عربي صميم لأنه اسم ماء .

مواعظ إعادة
الحديث على الملوك

وكان الشرقيُّ بنُ القُطاميِّ يُعيد الحديث مراراً. وذلك أنَّ أكثرَ أحاديثه مضامحيكٌ، وكانت تُعجب المهديَّ فيستعيده.

= لئى بكرين وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظرائ الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض هذا المكان مما لا يقع فيه التلج. فوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام القبط. يدل على ذلك قول الثعلبيّ القى يريد هلاك بكرين وائل، حيناً استشاره كسرى أبرويز في أمرهم: "أهلهم حتى يذبلوا ويساقطوا على ذى قار، تساقط القراش في النار. فأخذهم كيف شئت" (ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب المقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد حديث الثعلبيّ مع كسرى هكذا:

"— ياخير الملوك! ألا أدلك على غيرة بكر؟

— بلى!

— أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يجيئ القبط ويديننا منك. فانهم لو قاتلوا، تساقطوا عليك بما لم في واد يقال له ذوقار، تساقط القراش في النار." وإنما القى أشار إليه المنصور هو آخذتداد الأمر ورجع الحال وأصلحهم الحرب، كما كانت ليله شديدة برعبها ومطرها.

(أنظر التفصيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠—١٢؛ "والأغانى" ج ٢٠ ص ١٣١—١٤٠؛ "بالمقد الفريد" ج ٣ ص ١١٣—١١٦؛ "وآين الأثير" ج ١ ص ٣٥٢—٣٥٨؛ وأنظر "صبح الأضنى" ج ١ ص ٢٣٦؛ "وتاج العروس" في ذرور.)

(١) سماء في القاموس شرقى بن القُطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللثة أنه بفتح الراء. والقُطامي بفتح القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحصين الكلبي. والشرقي لقبه، كما أن القُطامي لقب أبيه. كوفي وأمر العلم والادب؛ وأشهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث مدود بن الضملاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظا ولا أفكح مجنسا ولا أعظم أئمة وقدرا منه. وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس أمير المؤمنين.

== صاحب سمر. أعده أبو جعفر المنصور ليحلّ ولده المهدي. وقد سأل: "علام يرقى المرء؟" فقال: أصليح الله الخليفة! على معروف قدسك، أو مثله يؤتف، أو قدسك شرف، أو يعلم مطرف. "ثم المنصور إلى المهدي حين خلقه بالري، وله معه هناك حديث ظريف عن الفريقين (سأله في "مروج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأساب. روى عنها السعدي وياقوت والبلاذري. وله تفصيلا في الغريب. سأل رجل ذات يوم عما كانت تفرقه العرب في صلاتها على موتها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤون:

ما كنت وكذا ولا بزوك * رويك حتى يبعث الخلق ناعته

حدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء" ص ٤٢ - ٤٣؛ وأن قتيبة في "المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زك، ولك).

(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه ودينه وعادته ودينه أي ضله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من البلاء بأخبار العرب وأيامهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الجاهل ومناصريه أدبا وعلمًا وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكهة، طيب المصارعة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن المزاج له. وهو من قلة الأخبار وتقاد الأشعار. حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تبه على الخليفة أنه كان ياديه ولا يتبدي معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتبدي في مكان لا أغل يد في. فقال له الهادي: فتد! فكان الناس إذا تعدوا تحموا لفضل أبيهم، وابن دأب ينسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تبه ودالته عليه أيضا أن الخليفة كان يدعو له بما يتكلم عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك غيره ولم يكن عنده أحد يعلم منه بذلك) =

ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يُحكى أن رَوْح بن زَيْبَاع مَرِيض فكان يدعو له
عبدُ الملك بن مروان بِمَتَكَ.^(١)



وعلى المحدث لَلَّك أن لا يعجلَ في كلامه، وأن يُدبِّج ألفاظه، ولا يُيسِّر بيده،

الادب في تحديث
الملك

٥ = وكان يقول له: "ما أسطلت بك يوما ولا ليلا، ولا غبت عن عني إلا تميت أن لا أرى غيرك".
أمر له مرة بثلاثين ألف دينار. فساكنه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه مرض له بذلك وقال له: "أرى ثوبك ضيلا، وهذا
شئنا يحتاج إلى الجديده". فقال: باع قصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلى. فلما صاحب بيت المال واستحضر الثلاثين ألف دينار وحلها بين يديه.

١٠ وكان كثيرا ما يدعو ويأله إيشاد الأبيات من أشهر ما قالت العرب. وكان يرى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سسلى مع بولاه، ساقه المسمودى في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ وصاحب "الحاسن والمساوى"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأبشهى في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكابد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، ساقه المسمودى أيضا
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عليه خلف الأحمر حقوة فقال فيه: "السجب

١٥ من أن دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد جهاه ابن مناذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم بالغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان سلف الأحمر ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشبع
برضيع أخباراً لبني هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغانى" (ج ٥ ص ١٥٨) وج ٨ ص ١٠٤

٢٠ ١٠٦ وج ١١ ص ٦٩ وج ١٧ ص ٢٤ وج ١٩ ص ٤٨؛ وأنظر ابن الأثير ج ٦ (ص ٧٢ - ٧٣)؛
وأنظر أيضاً "مروج الذهب" (ج ٥ ص ١١٨ وج ٦ ص ١٢٨ و ٢٦٣)؛ وأنظر "المعارف" لأبن قتيبة
(ص ٢٦٧)؛ و"كتاب الاشتقاق" لأبن دريد (ص ١٠٦)؛ و"كامل البرذ" (ص ١٨٦ و ٢١٢)؛
و"الحاسن والمساوى" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨)؛ والطبرى سلسلة ٣ (ص ٥٨٩)؛ و"شرح الخساسة"
(ص ٢٠٠)؛ و"البيان والتبيين" ج ١ ص ٢٤؛ و"تاج العروس" في دأب. وله ترجمة رافية في "معجم الأدباء"؛ لباقوت

وروى هذه الأحوال صاحب "معجم الملوك" بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤).

٢٥ (١) دخل محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة، فجعل يأمره وينهاه، ثم دعا له بمَتَكَ، فقال: أعينك
فأله، يا أمير المؤمنين! ما كنت لأتُك في مجلسك! فقال له: إن على قلبك من ذلك ثِقْلاً وموؤنة، فأردنا
أن يستريح بذلك ليفرح لنا بقلبك. ("مطالع البدور" ج ١ ص ١٠)

(٢) من قولهم: أَدَج الحبل أجاد فثله، وقيل: أحكم فثله في رقة. (عن تاج العروس)

ولا يُحرِّك رأسه، ولا يزحف من جلسة، ولا يراوح بين قعدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يُقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.



- ومن حقِّ الملك - إذا تناوب أو ألقى المروحة أو مدَّ رجله أو تمطى أو أتكا أو كان في حالٍ فصار إلى غيظها مما يدلُّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطى، قام سُمَّاره.
- وكان الأَرَدَوَانُ الأَحْمَرُ له وقت من الليل وساعات تُحصى. فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

أمارات الملوك
الجلساء بالانصراف

- وكان يُستأنسِف إذا ذلك عييه، قام من حضره.
- وكان يزدجرد الأئيم إذا قال: "شَبَّ بُشْدُ"^(٣)، قام سُمَّاره.
- وكان بهرام جور إذا قال: "نَحْرَمُ خُفْتَارُ"^(٤)، قام سُمَّاره.
- وكان قُباد إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُمَّاره.^(٥)
- وكان سابور إذا قال: "خسبك يا إنسان!"، قام سُمَّاره.



- (١) صه: كته. (بمعنى كلاله)
- (٢) لعل الصواب: "الاصفر". [رَأْنظَرُ الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ وصفحة ١٥١ من هذا الكتاب]
- (٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش صه: يقول ذهب الليل.
- (٤) جملة فارسية معناها: نام مسرورا^(٥)
- (٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * مقولة عن صه.

وكان أنوشروان إذا قال: "فَوَزْتُ أَعْيُنَكُمْ!" قام سُمَّارُهُ^(١).

وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الصلوة! ^(٢) قام سُمَّارُهُ. وكان ينهى عن السَّمر بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُهُ.

وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُهُ وَمَنْ حضره^(٣).

وكان عبد الملك إذا ألقى المَحْضَرَةَ، قام مَنْ حضره^(٤).

* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام مَنْ حضره^(٥).

وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام مَنْ حضره.

وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" قام سُمَّارُهُ^(٦).

١٠ (١) وكان كيشاف يدلك عينه؛ ويزيد جرد يقول: شب بشد (أي مضى الليل)؛ وبهرام يقول: ثمَّ

نوش باد (أي كُنْ سروراً)؛ وأبريز يمدّ رجليه؛ وقباز يرفع رأسه إلى السماء. (عن "مخاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربى الأول عن المرحوم محمد عارف باشا في حاشية "المخاضرات")

(٢) إذا قال فانت الصلاة. (في "مخاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)

(٣) قال أصحابنا: ولعله: إنا ربّما جلسنا عندك فوق مقدار شهرتك، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف

بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتم!".. ويأيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!"

ويأيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("القد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)

(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شمار الملوك.

(٥) في المسودى (ج ٥ ص ٢٥٧) وفي الراغب في الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتم"

وكانت سادات العرب يقولون بليلتهم: "إذا شتمت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير، كما

في الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)

(٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص.

(٧) سبّحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواصل إذا مس عارضيه وتناهب، قام سُمَّارُه.

وكان المأمون إذا استلق على فراشه، قام من حضره. ^(١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإنما

أضفنا إلى كل واحد منهم أفعاله كانت عليه. ^(٢)



ومن حق الملك أن لا يُعَابَ عنده أحدٌ، صَغَرُ أو كَبُرُ.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك

تحريش الملك بين
وواله



فن الملوك من يُدَبِّرُ في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ آثان

أستويا في منزلة عند الملك وإجلاله والتبعية والعزّ والحظوة عند السلطان فأنفقا، إلا كان

ذلك الاتفاق وهنا على المملكة والمملك، وفساداً في تديره. وذلك أنهما إذا اتفقا، وهما

وزير الملك، كانا - متى شاء أن يتقضا - أكرم الملك ويحلّا ماعقد ويوهياً ما أُكِّد -

قَدَرًا على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في صم . وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين .

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون

بها من مجلسه إذا أراد، كسرى . وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون . وتبته الملوك .

فكان فيروز الأسفريدك عنبه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء . وكان في ملوك الإسلام معافية يقول:

الغزة لله ! ، وعبد الملك يلقى المروعة من يده . وحُدث بهذا الحديث عند بعض البهلاء . وسئل ما أمارته ، فقال:

إذا قلت " يا غلام ، هات الطعام ! " ، وأنظر أيضا " محاضرات الراغب " (ج ١ ص ١٢١)

أُثِّتَ فِي نِظَامِ الْمُلْكِ وَأُوْكِدَ فِي عِزِّ الْمَمْلَكَةِ. وَكَانَ مَتَى أَرَادَ هَذَا شَيْئًا، أَرَادَ الْآخَرُ خِلَافَهُ. فَإِذَا تَبَايَنَا فِي ذَاتِ أَنْفُسِهِمَا، أَجْتَمَعَا عَلَى نَصِيحَةِ الْمَلِكِ، شَاءَ أَمْ آيِيًا. وَأَثَرُهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، وَأَنْتَظِمَ لَلْكَ تَدْيِيرِهِ وَتَمَّ لَهُ أَمْرُهُ. ^(١)

وَمِنَ الْمُلُوكِ مَنْ لَا يَقْبِضُ إِلَى هَذَا وَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ الْإِغْرَاءُ بَيْنَ وَزَرَائِهِ وَبَطَانَتِهِ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، بَلْ لِيَعْرِفَ مَعَايِبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. فَإِنْ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ تَقْطَعُ الْوَزِيرَ عَنِ الْإِنْسَابِ فِي حَوَائِجِهِ وَالتَّسَحُّبِ عَلَى مَلِكِهِ.



أَدَابُ السَّغِيرِ

وَمِنَ الْحَقِّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ صَحِيحَ الْعِطْرَةِ وَالْمِزَاجِ، إِذَا بَيَّنَّ وَعِبَارَةً، بِعِبْرَةٍ بِخَارِجِ الْكَلَامِ وَأَجْوِبَتِهِ، مُؤَدِّيًا لَلْفَافِظِ الْمَلِكِ وَمَعَانِيهَا، صَدُوقَ اللَّهْجَةِ، لَا يَمِيلُ إِلَى طَمَعٍ وَلَا طَبَعٍ، حَافِظًا لِمَا حُمِّلَ. ^(٢)

وَعَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَتَمَحَنَ رَسُولَهُ بِمَحَنَةٍ طَوِيلَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ رَسُولًا.

(١) كَادَ السَّفَاحُ، إِذَا تَلَادَى رِجَالُنَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَبَطَانَتِهِ، لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ شَيْئًا وَلَمْ يَقْبَلْهُ، رِجَالُ الْكَافِرِ عِنْدَهُ عَدَا فِي شَهَادَتِهِ. وَإِذَا أَصْلَحَ الرَّحْلَانِ لَمْ يَقْبَلْ شَهَادَةَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ وَلَا عَلَيْهِ. وَيَقُولُ إِنْ الصَّغِيَّةَ الْقَدِيمَةَ تَوَلَّدَ الْعِدَاوَةُ الْمُحْضَةُ وَتَحْمَلُ عَلَى إِظْهَارِ الْمَسَالَةِ وَتَحْتَجُّ الْأَمْرَ إِلَى إِذَا اسْتَمْتَكْتُ لَمْ تَبْقَ. (شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطَّيْعُ: الشَّيْنُ وَالْعُيُوبُ. وَمِمَّا حَدَّثْتُ: "اسْتَمِينُوا بِاللَّهِ مَنْ طَلَعَ يَدَيْهِ إِلَى طَمَعٍ." أَخَذَهُ حُرُورَةً بَيْنَ أَذْيَةِ شَاعِرِ قَرِيشٍ فَقَالَ:

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يَدِي إِلَى طَمَعٍ * وَعَمَّةٌ مِنْ قِيَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي.

(عز: تاج العروس)

وَالْعَمَّةُ الْبَلَّةُ مِنَ الْعَيْشِ.

٥

١٠

١٥

٢٠

سنة ملوك العم
في اعتبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من تبعه رسولا إلى بعض
ملوك الأمم - تتخذة أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاصة الملك ومن في قرار
داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه، فإذا رجع الرسول
بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول.
فإن اتفقت أو اتفقت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك
رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك.
فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم
يتردد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك
يقوم خبره مقام الحجّة.



كلمة أردشير
في حق السفير

وكان أردشير بن بابك يقول: "مَنْ مَدَّ يَدَهُ قَدْ مَنَعَكَ الرِّسُولَ بِغَيْرِ حِلٍّ! وَكَمْ مِنْ
جِيوشٍ قَدْ قُتِلَتْ وَعَسَاكِرٌ قَدْ هُزِمَتْ وَحُرْمَةٌ قَدْ أَتْبَهَتْ وَمَالٌ قَدْ أَتْبَبَ وَعَهْدٌ
قَدْ نَقَضَ بِخِيَانَةِ الرِّسُولِ وَأَكْذَابِهِ!"

كلمة ثانية له

وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بأخر. وإن وجه
رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقات
ولا يتعارفان فيتواطأ، [قل] "ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير
أو شر، أن لا يتحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له
ما في كتابة الأول حقا وقفا، ومعنى معنى: فإن الرسول ربما حرم بعضنا أمل،
فأفعل الكتب وحرض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه."^(١)

(١) أورد القلقشندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الاعشى" ببعض تصرف

في الالفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "الحاسن
والناسوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفيرة كذب عابه

١٢١

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . فجاءه برسالة شك في حرفت منها : فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم فمستد ، إذا مالت : وقد جئتني بزمالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنت فيها حرفا ينقضها . أفعلين يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن يكتب ألفاظه حرفا حرفا ويُعاد إلى الملك مع رسول آخر ، فيقرأ عليه ويُترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره . فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعهما . فأمر أن يُقطع ذلك الحرف بسكينته ، فُقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس المملكة صحيحة فطرة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق إلى أذنه يؤدي . وقد قطعت بسكينتي مالم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا . فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملئكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سمعت ، لالتنا ! فلما فالتك بعض ما أملت ، جعلت ذلك نارا في الأنفس الخطيرة الرقيقة ! فأمر بلسانه فترع من قفاه .

١٢٢

(١) المديسة العرب سكين وسكينة . والاسم الأول أشهر وأكثر شيوعا ، والسكين يذخر ويؤث ، وقال بعضهم إن السكينة خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصح أنها لغة قوم من بني أبيعة ، وأوردها الفراء وابن سيده . قال الشاعر : سكين من طبع سيف عمرو * نصايها من قرين تيس بري . وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : إئتني بالسكينة (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الملاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠ من هذا الكتاب . (٢) سره : أس .

(٣) انظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) وأبهرهم ألفاظ الملاحظ نفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لمنامه في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حاي يقصد إليه. إذ كانت أنفس الملوك هي المطلوب رغبتها، والموكل برعاية سبتنا^(٣) وساعة غفلتها. ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقيله^(١).

إجباط الملك
في منامه ومقيله

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا^(٤)]. ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة^(٥) وأنه نائم فيه. ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيائته عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي^(صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كلالته إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل^(صلى الله عليهما) عن الله^(جل شأوه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب^(عليه السلام) فأنامه على فراشه، ونام هو^(صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم

(١٥٥)

(١) في صه، سم: "حوى" [وأخترت الحارثي لأنه من اصطلاحات القلقة بمعنى الحيز]

(٢) صه، عزتها.

(٣) ضبطه في سم: "سبتنا" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سم: إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد فراش لا يشك أنه.

ففي هذا الكبر الأدلة وأوضح المجبة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفس الملوك هي الأرض الخطيرة الرفيعة التي تؤزن بنفوس كل من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء.^(١)^(٢)

إطلاح الوالدین
تقط على منام الملك

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطالع على موضع منامه إلا الوالدان^(٣) فقط؛ فاما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم، وأؤكد في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهويين.^(٤)^(٥)

++

معاملة الابن للاب

ومن حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا عن إذنه؛ وأن يكون الجواب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك وخدمه، لئلا يحمله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

ما فعله يزيد مع
ابنه بهرام

فإنه يقال: يزيد جرد رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؛ قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأتخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً، ويحبه عن الستير، ووكل بالحجابة أرازمرد، ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،^(٧)

❦

(١) الساء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك"، مختصراً مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سم: وأرفع.

(٥) التردة والرفق.

(٦) صه: مراد.

(٧) لم أشر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماء "فلا ما".


دفع أَرَادَ مِرْدُ في صدره دَفْعَةً وَقَدْهِ مِنْهَا، وَقَالَ: إِنَّ رَأْيَتِكَ هَذَا الْمَوْضِعَ ثَانِيَةً، ضَرَبْتُكَ
سِتِينَ سَوْطًا، ثَلَاثِينَ مِنْهَا لِحَنَاتِكَ عَلَى الْحَاجِبِ بِالْأَمْسِ، وَثَلَاثِينَ لثَلَا تَطْمَعُ
فِي الْحَنَاءِ عَلَى. فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ، فَدَعَا أَرَادَ مِرْدَ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. ^(٢)

وَيُقَالُ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ بَابٌ. فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الدَّخُولَ عَلَيْهِ
قَالَ: يَا جَارِيَةُ! أَنْظِرِي هَلْ تَحْرُكُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَخَفَاتِ الْجَارِيَةُ [مَرَّةً] حَتَّى
فَتَحَّتِ الْبَابَ. فَإِذَا مَعَاوِيَةُ قَاعِدٌ، وَفِي سِجْرِهِ مُصْحَفٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ تَصَفِّحُ عَلَيْهِ.
فَأَخْبَرَتْ يَزِيدَ بِذَلِكَ. بَغَاءُ يَزِيدَ فَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّ بُنَى! إِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ
بُنَى وَبَنَاتِكَ أَبَا، كَمَا بَنَى وَبَيْنَ الْعَامَةِ. فَهَلْ تَرَى أَحَدًا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ؟
قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَذَلِكَ فَلْيَكُنْ بَابُكَ! فَإِذَا قُرِعَ عَلَيْكَ فَهُوَ إِذْ تَكُ. ^(٣)

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وَهَكَذَا دُرِّكْنَا أَنْ مُوسَى الْمَهَادِي دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ فَزَبَرَهُ ^(١) وَقَالَ:
إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ مِثْلَهَا إِلَّا أَنْ يُفْتَحَ بَابُكَ! ^(٥)

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وَدُرِّكْنَا أَنَّ الْمُأْمُونَ لَمَّا اسْتَعَرَّ بِهِ الْوَجْعَ، سَأَلَ بَعْضُ بَنِيهِ الْحَاجِبَ أَنْ يُدْخِلَهُ
عَلَيْهِ لِيَرَاهُ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ! مَا إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ مِنْ


ما فعله الحاجب
بولد الأمون

(١) أي أوجسته وآلمته كثيرا. والوفد شدة الضرب. وفي "محاسن الملوك": دفعته دفعة أوقه بها

(٢) في "محاسن الملوك": وثلاثين على استمراء جنائتك.

(٣) روى هذه الحكاية بثلثين خفيف صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إتهره.

(٥) نقلها في "محاسن الملوك" (ص ٨٧).

(٦) أي أشبهت عليه، تشبهاً بأسبغ النار. وفي صمد: استغرقه. [ولعل جواب الرواية: استغرق]

وفي "الحاسن والمساوي": اشتد.

جَيْثُ لَا يَرَاكَ، فَاطْلَيْعٌ عَلَيْهِ مِنْ تُهَيْبٍ فِي ذَلِكَ الْبَابِ، خَاءٌ حَتَّى أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَتَابِلُوهُ^١ ثُمَّ أَنْصَرَفَ.

وذكر لنا أن إيتاخ بصّر بالوائقي في حياة المتعصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزّبره وقال: تَنْتَحْ! فوالله لولا أنني لم أتقدم إليك في ذلك، لضربتُك مائة عَصِيماً^(١)، وليس لأبني الملك من الملك إلا ما لعبد من الاستيكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في التميّط الأوسط من الناس ثم الذين يُلَوِّثُهُمْ. فاما الملوك فتترقى عن كل شيء يمت به^(٢).

وليس لأبني الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفك دمك وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في رسمه وكما في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب بتقديم الياء التحتية. ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والغاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبّاخاً ثم ترقّى به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المتعصم. ولذلك قال بابك إن المتعصم لم يبق لديه أحد إلا وجه به إليه، حتى يلبّاه. وبعث بذلك المعنى إلى ملك الروم، يفرّبه بالخليفة حينما ضايقه وأخذ بخنائه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر الدين والكوكة والجزائر تهامة ومكة والمدينة ودعى له جل المنابر. وأتهى أمره بأن خافه المتوكل وأعمل الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبني الأثير في فهارسها، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سم: أني أتقدم.

(٣) الآداب والحكايات الزائدة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "الحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صه: الجنوح.

(٥) في سم: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقراءة أروسة أردالة أو نحو ذلك. وفي صه: تترق من كل شيء يمت إليه.

ما فصله الحاجب
بوجه المتعصم

واجبات ابن الملك

١٠

١٥

٢٠

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في الملكة .

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولى عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعت الملك دأراً واحدة^(١) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن] يشرب
إلا بشربه ولا [أن] ينام إلا بتمامه .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره الساترة والضائرة أن يكون له تابعاً وحركته
تاليه .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر عيته ، لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عن سيخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لا ذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالى من وإلى الملك ، ويعدى
من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيابه سبيلاً أن يقتله . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) صم : وضعة .

(٢) الوارثا وارالمية .

(٣) الفسيرة هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صم : حيلة .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَائِكَةُ الشَّهَرَةِ ^(١)الاستبدال فقط . فليس لصاحب الملك ، إذا أحدث الملكُ خُلُقًا ، أن يعارضه بمثله ؛ ولا إذا رأى نَبْوَهًا وأزورارةً ، أن يُحْدِثَ مثله . فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نِيَّتُهُ . وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ ، عَادَتْ طَاعَتُهُ مَعْصِيَةً وولايتهُ عداوةً . وَمَنْ عَادَى الملكَ ، فَنَفْسُهُ عَادَى وإياها أهانَ .

❦

ولكن عليه ، إذا أَحْدَثَ الملكُ الخُلُقَ الذى عليه بَنِيَّةُ أكثر الملوك ، أن يَحْتَالَ في صرف قلبه إليه . والحيلةُ في ذلك يسيرةٌ : إنما هو أن يطلب خَلَوَتَهُ فيُهِلِّه بِنادرةٍ مُضْحِكَةٍ أو ضَرْبِ مَثَلٍ نادرٍ أو خيرٍ كان عنه مَغْطًى ، فيكشفهُ له .

ما صنعه ما زيار
المضحك مع أحد
ملوك النجم

كما فعل بعض سُمَّارِ ملوك الأعاجم . أظهر الملك له جَفَوَةَ المَلَائِكَةِ فقط ، فلما رأى ذلك ، تَعَلَّمَ نُبَّاحَ الكلابِ وعَوَاءَ الذئابِ وَنَهيقَ الجِمرِ وصياحَ الديوكِ ^(٢)وتَشَجَّعَ البغالِ وصَهِيلَ الخيلِ . ثم أَحْتَالَ حتى دخل موضعًا يَقْرُبُ من مجلسِ الملكِ وفراشه يُخْنِي أمره . فَنَجَّحَ نُبَّاحَ الكلابِ ، فلم يَشْكُ الملكُ أنه كَلْبٌ وَأَبْنُ كَلْبٍ . فقال : آنظروا ما هذا ! فعوى عَوَاءَ الذئابِ ، فَنَزَلَ الملكُ عن سريره . فَنَهَقَ نَهيقَ الجِمارِ ، ومَرَّ الملكُ هَارِبًا . وجاء غلمانُه يَتَّبِعُونَ الصَّوْتِ . فكلما دَنَوْا منه ، أَحْدَثَ معنى آخرَ . فأججموا عنه . ثم أَجْتَمَعُوا فَأَقْتَحَمُوا عليه ، فأخرجوه وهو عُرْيَانٌ مُخْنِيٌّ . فلما نظروا إليه ، قالوا للملك

١٠

١٥

(١) سم : الاستبدال .

(٢) في المسعودي طبع باريس : "رقاء" ؛ وفي طبعة بولاق : "زقا" . وهذا هو الصواب ، ومعناه صياح الديك . (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي : "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره" . وفي صم : من مجلس

الملك وموضع منامه .

٢٠

هذا ما زيار المضحك ! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك ! ما حملك على هذا؟^(٢)
قال : إن الله مسخني كلبا وذئبا وحمارا، لما غضب علي الملك. فأمر أن يُجْلَع عليه
وَيُرَدَّ إلى موضعه.^(٣)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فاما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يُشيه أقدارهم.

* كما فعل رَوْح بن زُبَاع، وكان أحد دُعاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نَبْوة وإعراضًا، فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواهاها نحوى، وأهوت بخلابها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احْتَلْ في حديثي يضحكه ! فقال رَوْح: إذا أطلّك بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحًا؟ فقال الوليد: أفعل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رَوْح، فلما أطمأنت بهم المجلس، قال الوليد لروّح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟^(٤) فابن ابن أبي عتيق أن أمرأته عاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) ساء في السعدي: "مرزبان" وكرره.

(٢) نص: ويحك.

(٣) قتل السعدي هذه الحكاية - (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . ورواه وتقواه أشهر من نار على علم . (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لأن سعد . وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي حنيفة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أن قاعة . كان من سنانة قريش وطراهم
بل قد بلغهم طرفا . وله أخبار كثيرة . في الخلافة بغير رقت وفي المجرب بغير فسوق . وقد ظلت عليه
الدعاة وأشهر بها . (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨ ؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لأن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب إليه بما تعيش به * وقررت ليلك أيما قرير.

أنفقت مالك غير محشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين - وهما في رقعة - فخرج بهما، فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه الرقعة، وأشر عليّ برأيك فيها. فلما قرأها، أسترجع عبد الله. فقال: ما ترى فيمن هجاني بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تغفوا وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيت قائلها لأينلته نيلاً جيداً! فأخذ ابن عمر أفكلاً^(٢)، وأزهد لونه وقال: ويحك! أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأفترقا. فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالقرير^(٣) بين فيه، إلا ما سمعت بكلامي! فصحب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال: علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر فنتلته؟ فصيح ابن عمر وبليط به. فلما رأى ما حل به، دنا من أذنه فقال: إنها أمرأتى! فقام ابن عمر فقيل ما بين عينييه. فضحك عبد الملك حتى فخص برجله وقال: قاتلك الله ياروحو! ما أطيب حديثك! ومد إليه يديه فقام روحو فأكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، ألدنّب فأعتزُر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل رعدة"، من باب يحلف التفسير.

(٣) أجسم عليه بالروضة الشريفة وبالمدن في وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فبحرّب أى وجد في عدم

الوقوف إنما، فرفق ولكن مرضاً عنه بوجهه.

أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا لك من شيء نكرهه. ثم عاد له أحسن حالاً^(١)

ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الخطفي، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل. فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الخطفي، مادحك وشاعرك! قال: بل مادح الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأيت أمير المؤمنين أن ياذن لي في إفساد مديحه؟ قال هات الججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال: هات في الججاج! فأنشدته قولي في الججاج:

صبرت النفس يا ابن أبي عقيل * محافظةً، فكيف ترى الثوبا؟

ولو لم تُرض ربك، لم يُستزل * مع النصير الملائكة الغضايا.

إذا سمر الخليفة نار حرب، * رأى الججاج أثقبا شهاباً.

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل، وهو خلفي وأنا لا أراه: فم فهايت^(٢)

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمين * مقولة عن صه. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"

هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودي فقد أوردتها بالفاظ أخرى وزيادة

ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"

(في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والرواد والفكاهات والمُتَلَع). ولكن عازتهم

كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال التصریف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصماح" الخطفي. واللغزان معناه واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو

الاستلاب. وهو لقب جده، لبيت قاله في شعره. ولكن الأسم المخفف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر

شيوعاً، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "كتاب الاشتقاق"، لابن دريد (ص ١٤١)،

"ديوان الأخطل"، الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب)

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين نما كإليه فأقسم أنهما لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضاً. فقبل إن هذا

لخطل من قولك. فسمي الأخطل. (أماي القائل ج ٢ ص ٢٣٤)

﴿١١﴾

مَدِينَنَا! فقام فأنشده فاجاد وأبلغ. فقال: أَنْتَ شَاعِرُنَا وَأَنْتَ مَدِينُنَا. ثُمَّ فَارَكَبَهُ! قَالَ:
فَالْقُرَى النَّصْرَانِيَّةُ ثَوْبُهُ، وَقَالَ: جَبَّ! يَا أَبْنَ الْمَرْأَةِ. قَالَ: وَسَاءَ ذَلِكَ مَنْ حَضَرَ مِنَ
الْمُضَرِّيَّةِ، وَفَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَبْرَكْتَ الْحَنِيفَ الْمُسْلِمَ، وَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ. فَاسْتَحْيَا
عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَالَ: دَعْنَاهُ! قَالَ: فَانْصَرَفْتُ أَمْزَيْ خَلَقَ اللَّهُ حَالًا، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ
إِعْرَاضِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي، وَإِقْبَالِهِ عَلَيَّ عُنُوًى. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الرُّوَّاحِ لِلدَّوْعِ،
دَخَلْتُ لِأَوْدَعِهِ، فَكُنْتُ آخِرَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
هَذَا جَرِيرٌ، وَلَهُ مَدِيحٌ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: لَا، هَذَا شَاعِرُ الْحَجَّاجِ! قُلْتُ: وَشَاعِرُكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: لَا. فَلَمَّا رَأَيْتُ سُوءَ رَأْيِهِ، أَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَتَصْحُو أَمْ فَوَادُكَ غَيْرَ صَاحٍ؟ ...

فَقَالَ: ذَاكَ فَوَادُكَ!

١٠

فَمِنْ أَنْشَدْتُهُ حَتَّى بَلَسْتُ الْبَيْتَ الَّذِي سَرَّهُ، وَهُوَ قَوْلِي:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطَوْنِ رَاحٍ؟

فَأَسْتَوِي جَالِسًا، وَكَانَ مُتَمَكِّنًا، فَقَالَ: بَلَى نَحْنُ كَذَلِكَ، أَعِدْ! فَأَعَدْتُ. فَاسْتَفَرَّ لَوْنُهُ

(١) أَمَرَهُ بِوَضْعِ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ رُكُوبِهِ. وَ"جَبَّ" فَعْلٌ أَمْرٌ مِنَ التَّجَبُّعِ بِمَعْنَى
الْإِكْتِسَاعِ. قَالَ فِي "لِسَانِ الْعَرَبِ" فِي مَادَّةِ ج ب ي مَانَصَه: وَبَجَّى الرَّجُلُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فِي الصَّلَاةِ
أَوْ عَلَى الْأَرْضِ. "وَهُوَ أَيْضًا أَنْكَبَاهُ عَلَى وَجْهِهِ". وَالْعَامَّةُ فِي مِصْرَ يَقُولُونَ الْآنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ:
"طَامَى الْبَصْدَةُ" وَيَعْنُونَ بِالْبَصْدَةِ الرَّأْسَ. وَذَلِكَ فِي حَالِ مَا يَرِيدُ أَحَدُهُمْ رُكُوبَ الْآخَرِ.

١٥

(٢) هَذَا "مِرْأَسُ" أَمْ جَرِيرٍ. وَقِيلَ إِنَّ الْفَرَزْدَقَ وَالْأَحْطَلَّ سَيَّأَهَا كَذَلِكَ فِي هِجَاؤِ كُلِّ مِنْهَا لَهُ. وَقِيلَ إِنَّ
ذَلِكَ تَعْبِيرٌ لَهُ بِبَنِي كَلِيبٍ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ حَمِيرٍ. وَوَعَدَ جَرِيرٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَذْكَورٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ مِثْلَ
"الْإِفْخَافِ" وَ"الْعَقْدِ الْهَرِيدِ" (ج ١ ص ١٥١). وَلَكِنْ رَوَايَةُ الْمَحَافِظِ هِيَ أَوْفَى وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ.

٢٠



وذهب ما كان في قلبه، ثم ألتفت إلى محمد بن الجحاج فقال: ترى أُمَّ حَزْرَةَ تُرَبِّيهَا مَاتَهُ مِنْ
الْإِيلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَلَامِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ كَانَتْ مِنْ فَوَائِضِ كُلِّ فَلَمْ تُرَبِّهَا، فَلَا أُرَوَّاهَا
اللَّهُ! قَالَ: فَأَمْرِي بِمِائَةِ فَرِيضَةٍ، وَمَدَدْتُ يَدِي - وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِصْحَافٌ أَرْبَعٌ مِنْ فُرْصَةٍ
قَدْ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ - فَقُلْتُ: الْحَلَبَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَاخْذْتُ مِنْهَا وَاحِدَةً. فَقَالَ:
خُذْهَا، لَا بُرُوكَ لَكَ فِيهَا! قُلْتُ: كُلُّ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَارَكٌ لِي فِيهِ. (٤)

* وَهَكَذَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَهْلَهْلِ الْهَمْدَانِي، وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ
قَدْ جَفَاهُ. فَأَتَاهُ يَوْمًا فِي قَائِمِ الظَّهِيرَةِ، وَالْهَجِيرَةُ تَقْدُ. فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ: لَيْسَ
هَذَا بَوَاقْتُ لِذِي عَلَى الْأَمِيرِ. فَقَالَ لَهُ: أَعَانَهُ بِمَكَانِي. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَعَانَهُ، فَقَالَ لَهُ:
مُرَّه يُسَلِّمُ قَائِمًا وَيَخْفُفُ! فَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَأَذِنَ لَهُ وَأَمَرَهُ بِالْخَفِيفِ. فَدَخَلَ
فَسَلَّمَ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ! إِنِّي أَنْصَرَفْتُ بِالْأَمْسِ نَحْوَ مَنْزِلِي، وَ[قَدْ]

(١) حَزْرَةٌ هِيَ بِنْتُ جَرِيرٍ. وَكَانَ يُكْنَى بِهَا. قَالَ فِي "تَلَحُّحِ الْعُرُوسِ" مَا بَقِيَ: "وَأُمُّ حَزْرَةَ كُنْيَةُ سَيِّدَتَا جَرِيرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ". وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا لَقَّبَهُ بِالسِّيَادَةِ ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ (؟) (!) وَيُظْهِرُ أَنَّهُ فَعَلَهُمْ أَهْلُ كُنْيَةِ جَرِيرٍ بِن
عَبْدِ اللَّهِ الْجَبَلِي الصَّمَاوِي، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

(٢) ص: كَلَاب.

(٣) ص: رَوَّاهَا.

(٤) رَوَى صَاحِبُ "الْأَقْطَانِي" هَذِهِ الْقِصَّةَ بِإِخْتِلَافٍ فِيهِ زِيَادَةٌ وَفِيهِ تَقْصُصٌ (ج ٧ ص ٦٦ و ٦٧).
وَأَظْهَرَ الْقِصَّةَ بِبَيْتِهَا مَرْوِيَّةً بِتَفَاصِيلٍ وَافِيَةٍ فِي "ذِيلِ أَمَالِي الْقَسَالِي" (ص ٤٣ - ٤٦) وَرَوَّاهَا تَاخْتَصَارَ
أَفْظَاظِ الْبَلَاغِظِي فِي "الْحَمَّاسِ وَالْمَسَارِي" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَلَالِ الْهَمْدَانِي. وَقَدْ صَحَّحْتُ حَسْبِي فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعَ بَارِسٍ وَبُولَاقٍ

(٦) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَكَانَ مِنْ قُرَّادِ مَوْسَى الْهَادِي. (مَرْوِجُ الذَّهَبِ ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أَيْ كَانَتْ شِدَّةَ الْحَسْرِ تَتَوَقَّدُ. وَفِي مَرْوِجِ الذَّهَبِ: وَأَحْتَمَامُ الْهَجِيرِ.

(٨) ص: "أَصْلُهُ مَوْضِعِي". وَقَدْ اخْتَرْتُ رَوَايَةَ الْمَسْعُودِيِّ.

أَمْسَيْتُ : فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ تَوَبَّ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى فَمَسْجِدٍ مُغْلَقٍ .^(١)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلْيَانُ : فَلَبَسَتْ السَّمَاءُ ، لَكَانَ مَاذَا ؟ قَالَ :
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ ، إِمَّا كَرْنَجِيٌّ وَإِمَّا سُنْدِيٌُّّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ .^(٢) فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
 [وَلَعْنَةً مَأْعُرِلَهَا] ، فَقَالَ : "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدْدَهُ" يريد "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
 لُكْزَةٍ الَّتِي جَمَعَ مَالًا رَعْدَهُ" . قَالَ : وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي !
 فِي حَرَمٍ قَارِيكِ !"^(٣) فَضَحَكَ سَلْيَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدَ ،
 فَأَنْتَ أَطْيَبُ أُمَّةٍ عَمَّا ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخُذْلَةٍ وَقَالَ : "الزَّيْمُ الْبَابُ وَأَغْدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ" .
 وَعَادَ إِلَيَّ أَحْسَنَ حَالَاتِهِ عِنْدَهُ .^(٤)

وهذه أخلاق الملوك لمن فيهما . وليس بعجَب أن تتلون أخلاقهم ، إذ كما نرى
 أخلاق القرين المساوي والشريك والإلف تتلون ولا تستوى ، ولعلَّه يجد عن إلفه

(١ - ٢) تَوَبَّ : دعا إلى الصلاة . [في المسعودي طبع باريس وبولاق : "فلنوت ثم صعد إلى مسجد
 مغلق" . وظاهر أن رواية صـ أَوْفَى رَاقِعَةً وَأَتَمَّ] .

(٣) في المسعودي طبع باريس "إِمَّا كَرْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ" وفي طبع بولاق : "إِمَّا كَرْدِي أَوْ طُمَطَانِيٌّ"
 (٤) أنظر الروايات الأخرى في المسعودي طبع باريس وبولاق . وكلها محرقة من النسخين كما هو ظاهر

وقد نبه على ذلك مترجم المسعودي . [وأنظر خاشية ٤ صفحة ٧٥ من هذا الكتاب]

(٥) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ . والحكاية أوردتها المسعودي بالحرف الواحد

تقريباً عن الإحاطة دون أن يشير إليه (راجع "مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ،
 وطبع بولاق ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صـ : إن فهِمْتَا :

وقربته وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



ثمرات
التأديب بالجفوة



وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصلح في تأديب صاحب من اتصاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بموافقة المحفوف لأن فيها فراغ المحفوف لنفسه وتخلصه لأمره .
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مهم أمره . وفيها أيضا أنه إن كان المحفوف من
أهل السر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريقا محدثا
له بالكتب ودراساتها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت صاحب الأدب الكبير . وذلك أنه
كل من أنفس الملك مجلسه وطال معه قعوده وبه أنسه ، تمتلئ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلص والراحة والخلوة لإرادة نفسه . كما أنه من كثرة قرائه وقل أناسه ، جفنى
وأطرح ، وطلب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فهذه الأخلاق ركبت الطير وجعلت النفوس .

فإذا جاء الفراغ الذى كان يطلبه ويتناه من الجهة التى لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذى يملأه والشغل الذى كان يهرب منه .

(١) سم : الآخر .

(٢) سم : وتخلص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجلوسه معه نفيسا . وفى سم ، صم : "قس" . [ولامنى لها . ولذلك

صححت المتن بما وصل إليه أجتهدى .]

ومنها أنه كان في عزٍّ ومنعةٍ وأميرٍ ونبيٍّ، وكان مرغوباً إليه مرغوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحدثُ رقةً على العائمة ورأفة بهم، وتُحدثُ للجفوة حَسَنَ نِيَّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ على المجفوق شكر الله تعالى على ما ألهم الملك فيه فتصتق وأعطى وصام وصلّى.

فكلُّ شئٍ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخط، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والستر والضرّاء. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يجهّد بكلِّ وسع طاقته أن يكون من الملوك بالمتزلة بين المتزلّين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، واستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق المسلك أن يُدني من عَظُم قدره وأَسعِ علمه وطاب مرّجه، أو ظهرت أمانته أو كُتّ آدابه.

(١) أي رحمة.

(٢) في سره: "مسارعة". وفي صره: "مشاهدة".

(٣) كذا في سره، صره. نعم إن بقية الكلام ربما تنفى النقي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورية يدلُّ على أن تقريبهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التفرير للقرناء والمحدثين كائناً من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جلست أنتر يحتاج الملك إلى أمهانه ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحسّدق بالصناعة والرّكّانة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكتّاب،
وما أشبه ذلك. فأما القرّاء والمحدّثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكلّ من دنا
منهم من الملك وعَلِقَ به: كأنّما من كان ومن حيث كان.

﴿١١٥﴾

وكذا وجدنا في كتّاب الأعاجم وملوكها.

وفياً يذكر عن أنوشروان أنه قال: "صاخبك من علق بشوك."

كلمة أنوشروان،
وأمثلة كلمة
ودعة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة وَدَمْنَة" أن الملك "مِنل الجرم الذي لا يتعلّق بأكرم
الشجر، إنما يتعلّق بما دنا منه". وقد نجد مصداق ذلك عينا في كلّ دهر وأخبار
كلّ زمان.

١٠

(١) الرّكّانة، علما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الرّكّانة" وهي الظنّ الذي يكون بمنزلة اليقين.
(٢) صر: فأما الغرياء والمحدّثون.

(٣) قلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة لآلان من كتاب "كَلِيلَة وَدَمْنَة" وهي التي طبعها الأب

الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوساسي الفرنسي سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل مجر
الكرم الذي لا يعلّق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وهي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق عنها
سنة ١٢٢٥ هـ. وهذه الرّواية نبيرة ومخيلة جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومحقولة، فهي رواية
المحافظ وإن كان الذي نسختها قد مسختها. فهي في سر: "كالشجرة ليس يتعلّق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي صر: "كالشجرة ليس يتعلّق بأكرم الأشجار، إنما يتعلّق بما قرب منها".

٢٠

سقاء
الملك ورحمة

++

(١) ومن أخلاق الملك السخاء والحياة.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنها رُكَّبتا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كما لم نشاهد ولم يبلُغنا عن
مضئ من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، القِصَّة والبُخل.
فاما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يُفِيدُ أكثر مما يُنْفِقُ. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخاذ الصنائع وعمِّ المِنَّة والإحسان إلى مَنْ نَأَى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.
وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.

وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أَنْ يَرْحَمَ رعيته، (وإذ كان الإمام) أَنْ يَرْقِّ على المؤمنين
به، (وإذ كان الولي) أَنْ يَرْحَمَ عبده.

فقد تخطى العائدة وكثير من الخاصة في الملوك حتى يُسَمُّوَنهم بغير أسمائهم
ويَصِفُونهم بغير صفاتهم ويتخلونهم بالبخل والإمسالك، إذا رأوا الملك على سَنَنِ من

(١) صه : الملك الكرم والسخاء . ورواية سه أصح . لأن الكلام التالى مقسم إلى موضوع السخاء . وإلى
موضوع الحياء . وقلنا أعتمدتُها في المتن .

(٢) أفاده وأسفاده وتفيده بمعنى واحد . (من القاموس)

(٣) صه : وتقسيم .

(٤) زاد في سه هنا : " للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة " . وقد سبقَت هذه الجملة في الموضع
المناسب لها في السطر السابق ، فلا حاجة لتكرارها .

(٥) صه : الأبطال .

الْقَصْدَ وَعَدْلٍ مِنْ حَدِّ الْإِنْفَاقِ، وَيَقُولُونَ عَمَّا أَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صلى الله عليه وسلم) بقوله عز وجل: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"، وبمدحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلبهم أن أرضى الأحوال عنده ما دخل في باب الاقتصاد، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

وقد ذكر بعض من لا يعلم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرة على من وصف
المنصور بالبخل

(١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء عاتقه، وقد طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ المشرق الهولندي فان فولتن Van Volten، ثم قلده المتأخرات على سرقة المطبوعات في مصر. وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشاما هذا "دخل حائطا [بستانا] له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعا أصحابه . بجلوا يا كلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقطع هذا، وأغرس مكانه الزيتون". فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضا على بخله، حتى إذا حاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلا إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام، ونعنيها بقول هشام لقيم البستان: "إقطع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئا". ولم يذكر الجاحظ شيئا من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخلاء.

(٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيرا عن الجاحظ الحرف الواحد أو بالأخصار ولكنه لم يسهه ولم يشر إلى كتابه، فكان مثله كمثل المسعودي وقر كثير من المؤرخين والمؤلفين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتبجيله ذكر اسم الجاحظ، فقال في صفحة ١٠٢ مانحه: "قال الجاحظ: ربما وصف الأغنياء بالمنصور بالبخل، وليس الأمر كذلك، فإنه لم يسع من أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وقرى على أهل بيت في ليلة واحدة ألف ألف". ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نبيك باختصار وختما بهذه العبارة: "قال الجاحظ: فهل يجوز أن يعد من فعل هذا الفعل بخيلا؟"

١٠

١٥

٢٠

أَحْتَجْنَا إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَهْلِ هَذَا، لَمْ يَكُنْ لِدِكْرِهِ مَعْنَى وَلَا لِلتَّشَاغُلِ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ. وَكَيْفَ
 يَكُونُ الْمَنْصُورُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ
 وَلَا مَلُوكِ الْأُمَمِ وَصَلَ بِالْأَلْفِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرُهُ^(٢) ! وَلَقَدْ فُتِقَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ
 بَيْتِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْمَدَائِنِيُّ. وَحَدَّثَنِي بَعْضُ
 أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ^(٣) قَالَ: دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ
 أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ^(٤) قَالَ: دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ

(١) ص: ولواحتجنا.

(٢) الْمَنْصُورُ هُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ أَعْطَى أَلْفَ أَلْفٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَمُوَيْهِ الْأُرْبَعَةِ (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَكَامِ الْمَنْصُورِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَنشَدُوهُ مِنْ رِزَاءِ حُجَابٍ، فَاسْتَمَعَ أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ
 الْحُجَابِ وَظَهَرُوا لَهُمْ وَأَمَرَ لِأَحَدِهِمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارًا وَأَعْطَى الْبَاقِينَ الْفَيْنَ الْفَيْنَ (ذِيلُ الْأُمَامِ لِلْقَالِ ص ٤١).
 وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ فَقَالَ: يَا بَيْعَ لَا يَصْرِفُ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ،
 خُلِّصْتُ مَعَهُ (ذِيلُ الْأُمَامِ لِلْقَالِ ص ٢٢٨).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَتِيبُ بْنُ حَرَمٍ فَذَكَرَ لَهُ مَا نَعَلَهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِقُوْمِهِ وَأَنشَدَهُ شُعْرَاءَ لَلْأَحْوَصِ كَانَ سَبِيحًا فِي حِرَامَتِهِمْ مِنْ
 أُمَوَاهُمْ بِنْتُ سِتِينَ سَنَةً. فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ بِرَدِّ ضِيَاعِ آلِ حَزْمٍ عَلَيْهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ غُلَّاتِهِمَا
 فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ. وَتَقْسِيمِ أُمَوَاهُمْ بَيْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَلَى التَّامِّحِ، وَنَ مَاتَ مِنْهُمْ وَقُرِعَ وَرِثَتُهُ.
 فَانْصَرَفَ الْعَقْدُ بِمَا لَمْ يَنْصَرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)

(٣) سَمَاءُ فِي مُحَاسِنِ الْمُلُوكِ "يَزِيدُ".

(٤) كَانَ الْأَسِيرُ عُمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ عَلَى حَرَسِ الْمَنْصُورِ. فَلَمَّا مَاتَ سَنَةً ١٤٠ فِي فِتْنَةِ الرَّائِدِيَّةِ، أَسْتَعْمَلَ
 الْخَلِيفَةُ أَخَاهُ عَيْسَى هَذَا عَلَى حَرَسِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ. وَهَنَالِكَ أَزْنِ نَهْيَكٍ أَنْ أَسْتَعْمَلَ الْهَمْدِي وَأَمْرُهُ يَضْرِبُ
 بِشَاوِزِ بَرْدٍ حَقَّ قَتْلِهِ. وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَانَ بْنِ نَهْيَكٍ فَقَدْ قَتَلَهُ الرَّشِيدُ لِأَنَّهُ كَانَ يَكُنِي عَلَى قَتْلِ جَعْفَرِ الْهَرَمِي =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فإين هي؟ قلت: أنفقتها الجبرة في مأتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مأتمه ألف دينار! يا أعجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهدي. فندوت قليل لي معك بغال؟ قلت: لم أومر بإحضار بغل ولا غيره، ولا أدري لِمَ دُعيت. قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي يزيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد عليّ باكفائهن حتى أزوجهن



== وصل ما وقع للبرامكة - فكان إذا أخذته الشراب، يقول لغلامه: هايت سيفي! فلهو ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا يبدن ثأرك، ولا تظن قاتلك! ثم عليه أبه عثمان الفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (الأنبرج ٥ ص ٣٨٤ و"خدرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "الحاسن والمساوي" رواية أخرى في وشاية الزناد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢). وأما لفظ "نبيك" فهو "مشتق من النباكة وهي الجرأة والإقدام يقال: إنك فلان فلان إذا نال من جرطه وشتمه. ومنه: آتباك المحارم، ونبتك الخي إذا أضرت به، وآتبكة عقوبة إذا أوجعه ضرباً." (الأشعاع لابن دُرَيْد ص ١٢٨)

١٥

(١) هذا القالب كان يعلّق عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تغلبت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "عنود" و"خاتون" و"آدر (جمع دار)". وهذا القالب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي عصرنا هذا نقول: "نعم" و"هاتم"، ربما لقلبنا بطلان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من: كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

٢٠

منهم . قال : فغلبت عليه بثلاثة من ولد البع^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عتم^(٢) .
ففرج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صدقاتهم من ماله .
وأمرني أن أشتري بها أمر لمن ضياعاً يكون معاشهم منها .

فهل سمع هذا الجاهل الخائن يمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
نذكر نحاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .

وقل استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إيثاراً للتقليد ، إذ كان أقل
في الشغل وأدلى على الجهل وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفوناً والنحيف ذا فضائل ، وتفضل الطويل
على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو ؛ وتفضل راكب الدابة على
راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار ، اقتصاراً على التقليد إذ كان أسهل
في المأني وأهون في الاختيار .



الادب
في اعتلال الملك
ونظام التشرقات

ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ، وأن لا يرفع إليه الحاجب أسمائهم

- (١) الظاهر أن البع المذكور هنا هو مقاتل بن حكم العكي الذي استغلقه المنصور على حران ، وقد حاصره
بها عبداً بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ و ٩٤)
(٢) روى الطبري هذه الحكاية حراً . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)
(٣) لعل العوالم : المسائن ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : أثنا .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والمقل . وفي صه : مؤفون . [أي ذاقه وطاعة] .

مبتدئا حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها ^(١) ، فلم تسلم عليه فتخوجه إلى ردة السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيرا موجزا ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدها الثالثة ، فكان حظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوه وتتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبالحري ينبغي أن لا يبرح ^(٢) فناء سيده ومالكة ، أنتظارا لإفافته من علته ^(٣) وفحصا عن ساعات مرضه .

١٢٣



ومن الحق على الملك تمهيد بطاقته وخاصته بجوائزهم وصلاحهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاحهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاحهم ، ولا ينجح أحدا منهم إلى رفع رتبة أو إذكار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتعظ من الملوك .

(١) صه : يجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صمعة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) صه : ويحصى .

سنة ملوك
ساسان في الجواز

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بَقِيَ لهم ذكرُهُ إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدَّر للرجُل من خاصَّته ووطانته تقديراً وِسْطاً بين الإسراف والاقتصاد في مؤنِّه كُلِّها، وحوادثه خاصَّتها وعامَّتها . فإذا كان التقدير - على الجهة التي وصفنا به - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجُل ضيعةٌ، أمر أن يُدْفَعَ إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنَّزاله^(١) ونفقاته وحوادثه . ويقول له الملك: "قد عَلِمْنَا أَنَّ الضيعة التي أَفْدَتْهَا^(٢) هي مما تَقْدِم من صِلَاتنا لك وقد تسَلَّفْنَا شَكَرَ تلك النعمة منك؛ وليس من العدل أن تكونَ في خدمتنا، وتكونُ نفقتك من شَيْءٍ أَفْدَتْهُ^(٣) بِشَكَرٍ قد تَقْدِم ومُرْمَةٌ قد تَأْكُث. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهرياً لنواب الزمان ونحوهم الأيام وأتقلاب الدُّوَل وحوادث الموت. ولتكن مؤنُّك وكُلُّكَ على خاصٍّ اموالنا."

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه يطلب درهم ولا غيره، منبسطة لزمانه مبتهجة ينعم ملكه مسروراً بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال.

(١) الأتزال (جمع تَزَل): القوم النازلون على الإنسان، أو ما هيَّ الضيف أن يَزَل عليه، كما في تاج العروس .

(٢) صم: أخذتها .

(٣) صم: أخذته .

(٤) سم: وحوادث الأيام والموت . صم: وحوادث المؤن .

(٥) صم: وكُلُّكَ .

(٦) في صم: "مستشفاً" . وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام، لذلك أصلحناها بما أنقضاء الحال . وهي من الكلمات التي تفرَّد بها صم .

(٧) صم: بما كفى من التذكار وشكر الحال .



ومن حقّ الملك هدايا المهرجان والنيروز.

هدايا المهرجان
والنيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنهما فصلًا السنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد؛ والنيروز إذنٌ بدخول فصلِ الحرِّ. إلا أن
في النيروز أحوالًا ليست في المهرجان، فمنها استقبالُ السنة وافتتاحُ الخراج وتوليّةُ
المال والاستبدال وضربُ الدراهم وإندناير وتذكية بيوت النيران وصبُّ الماء وتقريب
القربان وإشادة البنيان وما أشبه ذلك.^(١)
فهذه فضيلةُ النيروز على المهرجان.

ومن حقّ الملك أن يُهدى إليه الخاصة والحامة.



والسنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرجل ما يُحبُّ من ملّكه، إذا كان في الطبقة
العالية. فإن كان يُحبُّ المسك، أُهدى مسكًا لا غيره؛ وإن كان يحبُّ العنبر،

(١) كتابان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كتابان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) ص: والأخذ بالاسفند. [والذى فى المعجم الفارسي العربى الإنكليزى لرشاردصن أن الإسفند

هو اسم اليوم الثالث من اثلثة الأيام التى يضيفها الفرس لاسم الشهر الثانى عشر من السنة. ولما كان الشهر
عندهم ثلاثين يومًا فهم يضمون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليكملوها معادلةً للسنة الشمسية. وربما
كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالفرس في ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية نقلها الجاحظ عن آبيهم؛ بنير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يريد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة

أهدى عنبراً؛ وإن كان صاحب رزةٍ ولبسةٍ، أهدى كسوةً وثياباً؛ وإن كان الرجل من الشجعان والفروسان، فالسنة أن يهدى فرساً أو ربحاً أو سيفاً؛ وإن كان رامياً، فالسنة أن يهدى ثياباً؛ وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضةً؛ وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيدٌ للسنة الماضية، جمعها ويصلها في يدٍ حريرٍ صفيٍّ وشرائح فضةٍ وخيوط إبراسمٍ وخواميمٍ عنبرٍ ثم وجهها.

(١) صم: صاحب كسوة وثياب.

(٢) صم: "أصحاب المال"، [ولها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في سم، صم هكذا (موالد)، فوسلناها في شفاء اللؤلؤ (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا: "موانيد" وفسرنا قوله "بقايا في شعر الفزدق" بـ "مرب" (ص ٢٠٨) ولكن الناصح أو العاليج يجلها بالاء. المنة العرفية بدلاً من النون. وهي واردة على مصنفها في كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألفاني بمطبعة بديعة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها، بقول الفزدق.

"تخرج موانيد طليم كثيرة * شذلتها أيديهم بالعواتي".

وقد رأيت هذا البيت في نسخة في مدح عمر بن هبة الفزاري، ضمن ديوان الفزدق الذي طبعه بالغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسيو بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠. (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الأصل في كتابها الدال المهملة بدلاً من المعجمة، وظن أنها تعريب لكلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب يجهلون الدال ذا الهمزة الصريب (مثل أستاذ، تلميذ، فالودج، فولاذ، بقداذ، كلواذ، مروالوذ الخ). وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "ماند" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجهلون الدال ذا الهمزة على عادتهم في التعريب.

(٤) صم: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العيال مَنْ أراد أن يترين بفضل نفقاته أو بفضل عمله
أو أداء أمانته.

وكان يهدي الشاعر الشعر، والخطيب الخطبة، والنديم التصفية والطرفة والبا كورة
من الخضرآوات.



- وعلی خاصة نساء الملك وجواریه أن یهدين إلى الملك ما یؤثرنه ویفضلنه كما قدما
فی الرجال. غیر أنه یجب علی المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جاریة تعلم
أن الملك یهاواها ویسر بها - أن تهديها إلیه باكمل حالاتها وأفضل زینتها وأحسن
هیاتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها علی الملك أن یقدمها علی نساءه ویخصها بالمنزلة
ویزیدها فی الكرامة، ویعلم أنها قد آثرتة علی نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به
وخصته بما لیس فی وسع النساء - إلا القلیل منهن - الجود به.

١٠

ومن حق الیطانة والخاصة علی الملك فی هذه الهدایا أن تعرض علیه وتقوم
قیمة علی.

فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت فی دیوان الخاصة. فإن كان صاحبها
من يرغب فی الفضل ویذهب إلى الریح ثم نابته نائبة من مصیبة یصاب بها أو بناء
یتخذها أو مأدبة یأدبها أو عرس یكون من تزویج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلها، یُنظر إلى
ما له فی الدیوان (وقد وكلّ بذلك رجلٌ یرعى هذا وما أشبهه ویتعهدّه)، فإذا
كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أضعفت له لیستعین بها علی نائبتة.

١٥

(١) ص: یؤثره ویفضلنه.

(٢) سم: یجده.

(٣) فی سم: یجدها. ولیست فی ص.

١٢٦

وإن كان الرجل من أهلى نُسابة أو درهما أو تُفاحة أو أترجة، فإن تلك الهدية إنما قدمها لتثبت له في الديوان، ويُعبر الملك إن نأبته نائبة. فعلى الملك إعائته عليها، إذا كان من أساورته ويطائته أو محدثيه. فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسابة أو درهما أو أترجة أو تُفاحة، أمر الملك أن يأخذ أترجة فتُمَلَأَ دنانير منظومة ويوجه بها إليه. وكان لا يعطى صاحب التُّفاحة إلا كما يعطى صاحب الأترجة. وأما صاحب النُسابة فكانت تخرج نُسابته من الخزانة وعليها اسمه، فتُنصَبُ ويوضع بإزائها من كسوة الملك ومن سائر الكساء. فإذا ارتفعت حتى توازى نَصْلُ النُسابة، دُعِيَ صاحبها فُدِيعَتْ إليه تلك الكسوة.

وكان من تقسمت له هدية في النبروز والمهرجان (صغرَتْ أم كبرت، كثرت أم قلت)، ثم لم يخرج له من الملك صلة عند نائبة تنوبه أو حق يلزمه، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويذكر بنفسه، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفل عن أمره بعارض يحدث، فإن ترك ذلك على عمد، فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لسنة أشهر، وأن يدفعها إلى علو، إن كان له. إذ أتى شيئا فيه شين على الملك وضعة في الملكة.

١٢٧

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرون بإخراج ما في خزانهم في المهرجان والنبروز من الكسوى فتُفَرَّقُ كلها على بطانة الملك وخاصته، ثم على بطانة البطانة، ثم على سائر الناس، على مراتبهم.

وكانوا يقولون: إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاق الملوك أن يُحْبَأَ كسوتها في خزانها، فتساوى العامة في قلعها.

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملمح. ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففترقت.

ولا نعلم أن أحدا بعدهم آتفى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإنى سمعت من محمد بن الحسن بن مضعب يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في نرائنه ثوبا واحدا إلا كساه. وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله.

مير مسلم اقتضى
لفرس في تفریق
كسوته



ومن أخلاق الملوك اللهو.

غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتا واحدا، وأخذ نفسه بذلك. فإنه إذا فعل ذلك، استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، نرج به اللهو من به حتى يجعله جدا لا هزل فيه، وحقا لا باطل معه، وخلقا لا يمكنه الانصراف عنه. وليس هذا صفة الملك السعيد.

لهو الملوك



ومن أدمن شيئا من ملاذ الدنيا، لم يجد له من اللذة وجود القريم النهم المشتاق.

نك الإدمان
في الملاذ

وهذا قد نراه عيانا. وذلك أن ألد الطعام وأطيبه ما كان على جوع شديد؛ وألد الجماع وأطيبه، إذا أشتد الشبق وطالت العزبة؛ وألد النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهر.

(١) ضم: ثياب سابور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) ضم: اللذة وجود الطعم وجود النوم.

(٤) ضم: الغربة.

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا .

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتًا واحدًا من اليوم واللييلة ، لهذه الفضيلة التي فيها .

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساما . فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله ، وصدره لرعاياه وإصلاح أمرها ، ووسطه لأكله ومتامه ، وطرّفه للهوى وشغله . وأن لا يُثابر على إدمان الشغل فى كلّ يوم . وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها ، فلا يحد للهو لذته ، ولا للنعيم موضعه الذى هو به .



١٧٧
سيرة الملوك
والخلفاء فى الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب فى كلّ ثلاثة أيام يوما ، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور . فانهم كانوا يذمنون الشرب فى كلّ يوم .^(١)
وكان ملوك العرب (كالنعمان) وملوك الخيرة وملوك الطوائف ، أكثرها يشرب فى كل يوم وليلة مرة .^(٢)

وكان من ملوك الإسلام ، من يذمن على شربه ، يزيد بن معاوية . وكان لا يمتسئ إلا سكرا ، ولا يصبح إلا مخمورا .

وكان عبد الملك بن مروان يسكر فى كلّ شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء هو

(١) لعل الصواب : الأصفر . (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩ ، وصفحة ١١٨ من هذا الكتاب) .

(٢) صه : فى كل جمعة يوما وليلة

(٣) صه : عبد الله .

أو في الماء، ويقول: ^(١) "لَمَّا أَقْصِدُ فِي هَذَا إِلَى إِسْرَاقِ الْعَقْلِ، وَتَقْوِيَةِ مُنَّةِ الْحِفْظِ، وَتَصْفِيَةِ مَوْضِعِ الْعَكْرِ." ^(٢) غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ آخِرَ هَذَا السُّكْرِ، أَفْرَغَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي أَعْضَائِهِ مِنْهُ شَيْءٌ. فَيُصْبِحُ خَفِيفَ الْبَدَنِ، ذَكِيَّ الْعَقْلِ وَالذَّهْنِ، نَشِيطَ النَّفْسِ، قَوِيَّ الْمُنَّةِ.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً
وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كلِّ ثلاثِ ليالٍ ليلةً.
ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذُ أفضت إليه الخلافةُ إلى أن فارق الدنيا، ولا
سَمِحَ غَنَاءً.

^(٣) وكان هشام يسكر في كلِّ جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمتان اللهو والشرب. ^(٤) فاما يزيد بن الوليد،
فكان دهره بين حالين، بين سُكْرِ وَتُخْمَارٍ، وَلَا يُوجَدُ أَبَدًا إِلَّا وَعِهِ إِحْدَى هَاتَيْنِ.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلةَ الثلاثاء وليلةَ السبت.

^(٥) وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عَشِيَّةَ الثلاثاء وحدها، دون السبت.

(١) صم: الأرض.

(٢) صم: وتقوية وتصفية.

(٣) صم: آخره السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن صم.

(٥) صم: وحدها في كل جمعة.

^(١) * وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدّخان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين. وربما قدّم أيامه وأبترها. على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً. إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندماته.^(٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه. غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولا يومها.*



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة. فإذا نزعه لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبّة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد.^(٣)

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمين * * متقولة عن صـ.

(٢) وأنظر حاشية ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) صـ : روثقه. وبعض مائه رمى. [ولعله : وبعض بهائه رمى]

وَقَبَادُ، فَزَنِمَ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُفْسَلُ لَمْ هُم يَلْبَسُونَهُ وَيُفْسَلُ لَمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُفْسَلُ بَعْدَهَا، وَيُجْعَلُ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ خَاصَّةً، لَا يُخَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُخْتَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتُكَيِّفُ صِنْفُ آخَرُ .

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُفْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانُ وَعِمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمُرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِّيُّ وَالْهَادِي
وَالرَّشِيدُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَائِقُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَبْسَةً وَاحِدَةً ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمُطَرَفَ السَّنَتَيْنِ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَبِأَثَرِ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا (٣)

(١) أَيْ مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي صَدِّهِ : مَرَّاتٍ .

(٢) هُوَ رِدَاءٌ مِنْ خَزْ مَرْتَبِعٍ لَهُ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دُوزِي Dozy فِي "مَعْنَى أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) سَمَهُ : إِعَادَةً .



تطبيب الملوك

وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّ بالغالبة^(١) .

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالبة^(٢) لم يمتد إلى مسّ طيب ما دام عبقة في ثوبه .

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالبة فتضوّعت منه وعلقت بثيابه ، أمر بصب ماء الورد على رأسه حتى يسيل ، فإذا كان من غداً ، فعل مثل ذلك .

فأما من كان لا يمسّ طيباً مادام يحسد عبق الطيب في ثيابه : فاردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن بذرجمرد وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان ؛ ومن ملوك العرب : معاوية وعبدك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد] ؛ ومن خلفاء : العباس : أبو العباس وأبو جعفر والمأمون .

وكان المعتصم قلماً يمسّ الطيب . وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتة على شدة البطش والأيد . وأما في أيام حروبه ، فكان من دنا منه وجد رائحة صدى السلاح والحديد من جسمه .

(١) في حاشية ص ٦ : " أبو نصر : سألت الأصمعي هل يجوز تغلّ من الغالبة ؟ قال : إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك ، بخارٌ . وكذلك غلّك بها لحيتي ؛ شدد للكثرة . صحاح .

(٢) في تاج العروس : غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره ، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه " . [وأنظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها] .

(٣) ص ٦ : الماوردي . [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب المذموم ونسبوا إليه فقالوا : الماوردي] .

زيارة الملوك
تكريرا لحالهم ،
وأشواها



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن حُصَّ بالكُمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتقع وتستق بسؤال المזור الملك وتلطّفه في ذلك .^(٢)



(١) من هذا القليل ما تفضل به مولانا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غال باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً ، بعد أن اغتاله يد أجنبية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) ، فقد يتمّ المستشفى (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم صابته ، ثم تنازل بالترجيه إلى
دار القعيد بالقاهرة في القاهرة ، عقب مائة في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وداسى بنفسه أولاد القتل وقرابته .
١٠ تخفف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيه .

ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القليل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اختيال رئيس الحكومة وصاحب الحل والمقد في ديار مصر ، وأغنى به الأتابكي سيف الدين
شيخو العمري (وهو أقرب من تلقب بأسم أمير كبير ، وفات وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
منشأً عليه ، لحمله إلى بيته وبه بعض رقي . وهناك ضمدوا جراحاته . فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وداسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذى القعدة من السنة المذكورة . فاحتفل السلطان بجهازته وحضرها بعنه وصل عليه قبل دفنه . (راجع ابن
٢٠ لياس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في رسمه ، صم : تلفظه .

وربما رَفَعَ الملكُ مرتبةَ الوزير وخصَّه وقَدَّمه على سائرِ بطانته، فيكون من حِيلِ
الوزير أن يتعَالَل فيعودُهُ الملكُ، فيُظَهِّر للعامة منزلته عنده وتكريمه إِيَّاه وإيثاره له .
وأَيْضاً، قَتَلَ مَلِكُ سَالِهَ وزيرُهُ أو صاحبُ جيشه أو أحدُ عظمائه زيارته إِلَّا أجابه
إلى ذلك، و[لا] سِيَّماً إذا علم أن غرضَهُ في ذلك الزيادةُ في المرتبة والتَّوْبِيهُ بالذِّكْر .
فإذا كانت الزيارةُ من المَلِكِ على أحدِ هذه الأقسام الثلاثة، فهي مِثْلَةُ كان
صاحبها يحاومها فبَلغها، وأُمْنِيَّةٌ طلبها فأدركها .

فأما الزيارةُ للتعظيم، فإنها لا تقع بِسؤال ولا بِإرادة المَوزور . إذ كان ليس من أخلاق
وزيرٍ ولا شريفٍ أن يقولَ للملك: زُرْنِي لتعظِّمَنِي، ولترَفَعَ في الناس من ذِكْرِي
وقُدْرِي .

فإذا كان ذلك من المَلِكِ أبتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفعُ مراتبِ الوزراء، وأفضَلُ
درجاتِ الأشرافِ .

(١) سره : وقربه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب] .

(٣) صه : يأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضاً الخديو المعظم الحاجَّ عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته ،
وغرس نعمته ، وخادم دولته ، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل
الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارة مرتين في آنٍ واحدٍ :
مزية التكريم ومزية الميادة اللتين أشار إليهما الجاحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتة .

وكنْتُ حاضراً ليلتها في دار الوزير ، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف الملك بهنية ، كان بملابس نومه .
فأهو إلا أن فاجأنا الخبر بالتلفون ، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .

وذلك لعمرى يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والولاة في مصر إلى رجال دولتهم .
أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرمة . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم
والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير بشبك الدوادار الكبير ،
بنسبة التوركة الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد ، وهي :
الاستادارية ، والدوادارية ، والوزارة ، وكنوفاة الكشاف . وقد عظم أمره جداً حتى قال فيه ابن إياس : " ما أظن
أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . " [أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨] .

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظيماً من عظمائهما
للتعظيم لالسيه، أرخت الفرس تلك الزيارة، ونرجحت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .



وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن تُوغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لثلاث
شُجر، ولا تُمتهن^(٢) . ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يسابه إلى غروب الشمس . فإن ركب كانت الرجالة مشاة أمامه^(٣) ،
والركبان من خلفه، ولا يُحبس أحد من حامته وخاصسته لحناية جناها، ولا يُحكم على أحد^(٤)
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجّه به إليه ليرى فيه رأيه ؛
ويؤثر عليه وظيفة ماعليه من نراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في الثيروز والمهرجات على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من يأذن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد .

(١) في سه : "توغر" بمعنى صم : "يوغر" . يقال أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير
نراج، أو سوان يؤدى انخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من العال (قاموس) . وهذا المعنى الثاني هو الذى أرادته
المحافظ، لقوله بعد ذلك بنسخة أسطر : "ويؤثر عليه وظيفة ماعليه من نراج أرضه حتى يكون هو الحامل له" .

(٢) سه : ولا تُمتهن .

(٣) سه : الرجال .

(٤) سه : وطامته .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدًا لعلية من هذه العلل التي قدمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأًا لرجله قوسًا راعها بسرج مُنْهَبْ وأداة تامة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن يزيدجدة. فكان يتادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كل ساعة خلعة مجددة، ويشتهي الزمرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لقلبة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فاما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدينا. ^(٢)



ومن أخلاق الملك القعود للعامة يومًا في المهرجان، ويومًا في النيروز. ولا يُجَبِّبُ
 عنه أحدٌ في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ^(٣)

وكان الملك يأمر بالنساء قبل قعوده بأيام، ليتأهبَّ الناس لذلك. فيهيئ الرجلُ
 القصة، ويهيئ الآثر المجعة في مظلمته، ويصالح الآثر صاحبه إذا علم أن خصمه



(١) لعله: فنصرف. وبقية الكلام يدل على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر.

(٣) أى الأسوار المزورة.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضا من منقولات الجاحظ عن آيين القرس.

استقبال الناس
 في الأعياد

يَتَظَلَّمُ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَيَأْمُرُ الْمُوَبَّدُ أَنْ يُوَكَّلَ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ فَيَقْفُونَ بِيَابَ الْعَامَّةِ ، فَلَا يُنْتَعَجُ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ . وَيُنَادِي مُنَادِيهِ : ”مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ ، فَقَدْ أَذِنَ بِمُحَرِّبِ مَنْهُ وَمَنِ الْمَلِكِ .“

النظم من الملك
إلى القاضي

- ثم يُؤَدِّنُ لِلنَّاسِ وَتُؤَخَذُ رِقَاعُهُمْ ، فَيَنْظَرُ فِيهَا . فَإِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يُتَظَلَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ ، يُدَيُّ بِهِ أَوَّلًا ، وَقَدْ مَ عَلَى كُلِّ مَظْلَمَةٍ . وَيُحْضِرُ الْمَلِكُ الْمُوَبَّدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرَبَدَ ^(١) وَرَأْسَ سَدَنَةِ بِيوتِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُومُ الْمُنَادِي فَيُنَادِي : ”لِيَعْتَرَلُ كُلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ !“ فَيَمْتَاوُونَ . وَيَقُومُ الْمَلِكُ مَعَ خَصْمِهِ حَتَّى يَخْتَوِيَنَّ يَدَيِ الْمُوَبَّدِ فَيَقُولُ لَهُ : ”أَيُّهَا الْمُوَبَّدُ ، إِنَّهُ مَامِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ ! وَإِنَّمَا خَوَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى رِعَايَاهَا لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتَكْتَبَ عَنْ بَيْضَةِ الْمُلِكِ جَوْرُ الْجَائِرِينَ وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ . فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ ، فَحَقٌّ لِمَنْ دُونَهَا هَدْمُ بِيوتِ الْبِرِّ ، وَسَلْبُ مَا فِي النِّوَابِيسِ مِنَ الْأَكْفَانِ . وَبِجِلْسِي هَذَا مِنْكَ - وَأَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ - يَشْبَهُ بِجِلْسِكَ مِنَ اللَّهِ غَدًا . فَإِنْ آثَرْتَ اللَّهَ آثَرَكَ ، وَإِنْ آثَرْتَ الْمَلِكَ عَثَبَكَ .“ فَيَقُولُ لَهُ الْمُوَبَّدُ ^(٢) : ”إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ سَعَادَةَ عِبَادِهِ ، أَخْتَارَ لِمَنْ خَيْرَ أَهْلِ أَرْضِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُمْ قُدْرَهُ عِنْدَهُ ، أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِكَ .“ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرَ خَصْمِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ . فَإِنْ صَحَّ عَلَى الْمَلِكِ ،

﴿١٢﴾

(١) سمه : صهره : الدريد . [وَأَنْظَرُ صَفْحَةَ ٧٧ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ رَحاشِيَةً ٢ مِنْهَا ، وَصَفْحَةَ ١٧٣ مِنْهُ أَيْضًا] .

(٢) فِي ”مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ“ أَنَّ الْخَلِيفَةَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ الْكَلَامَ لِلْقَاضِي ، لَا الْمَلِكُ . (ص ٣٩)

شئ أخذ به، ولا آحس من آدعى عليه باطلاً، ونكل به. ونؤدى عليه: "هذا جزء

- (١) في تواريخ الإسلام غر كنية من هذا القليل - فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزرائهم كانوا يساون أقل الخصوم في مجلس القاضي ويمجرون عليهم الحكم الشرعي كما يمجرى على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبي طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذمى أمام القاضي شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموي مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاسم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوبعها معاً إلى مجلس القاضي فساوى بينهما في كل شئ. وقضى للرجل عليه (الحسان والمساوي ص ٥٢٥) وفيها وفيها عليها وقائع أخرى من هذا القليل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكرم "بمحاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"الحسان والمساوي" ص ٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع يحيى شوع الطيب عند القاضي أحد بن أبي دؤاد "المقد الفريد" ج ١ ص ٣٣ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "بمحاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضي "المقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبعد من ذلك كله ماجرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطي أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بمن الدين بن عبد السلام المشهور بسطان العلماء قضاء مصر والوجه القليل. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرج إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) فأصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فأجبت به ولايته، وقال له: ما زيد منك شيئاً إلا أن تنكر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أراضه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في واد وأنا في واد! والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فأتفق أن أستاذ داره غر الدين عثمان بن شيخ الشيخ (وهو الذي كان إليه أمر الملكة) عهد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْئَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَلِكَةِ!

- ٥ بناءً بطيخاناه، وقيمت ضرب هناك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم يهدم ذلك البناء، وأسقط نحر الدين، وعزل قسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نحر الدين وغيرة أن هذا الحكم لا يأتريه في الخارج. فاتفق أن يجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل الرسول إلى الديوان، وقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه رساله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ قال: لا، ولكن حملتها عن السلطان نحر الدين ابن شيخ الشيخ، أستاذ داره. فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فمن لا تقبل روايته. فربيع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداه. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء، تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستحب عليهم ليت حال المسلمين. فبلغهم ذلك، فظلموا الخليفة عندهم، واحتدم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً. وتعلقت مصالحهم لذلك. وكان من جللتهم نائب الساعلة، فاشتد غضباً. فاجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نفعد لكم مجلساً، ونأدى عليكم ليت مال المسلمين! فرفضوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السلطة بالملاحقة، فلم يذ فيه. فأتى نحر الدين، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ، ويديننا ونحن ملوك الأرض! والله لأخربنه بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلوك في يده. فطرق الباب. فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطة ما رأى، وشرحه لجلال. فأكثر ذلك. وقال: يا ولدي أجوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، يست يد النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: ياسيدي، إيش تعمل! قال: أنا أؤدى عليكم وأبيكم! قال: فقيم تصرف ثمتنا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فقم ما أراد ونأدى على الأمراء واحداً واحداً، وغال في ثمنهم ولم يعهم إلا بالحق الوافي، وقبضه وصرقه في وبعوه الخبير. (حسن المحاضرة) ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة. وقد روى السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في "طبقات الشافعية" (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧)
- (١) صه: أراد شر المملكة والقدح فيها بالباطل. [ارتفع صاحب "محاسن الملوك" هنا سياق الكلام، وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصها: "وذكر أن أحد خلفاء العلويين القاطنين قبل مثل فعل هذا رجلين بين يدي قاضي القضاء محامياً لخصم ولم يحرك له القاضي عند حركته للتعود بين يديه وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به، وثب مقبلاً للأرض، جالساً دون مجلس الخليفة. فقال: والله! لو تحرك ل أولاً ونرج عن حكم الحق، لضربت عنقه"]

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام لحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وآلقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُصِفَ منها إلا لئلا يطمع طامعٌ في حثي. فمن كان قبّله حقٌ فليخرج إلى خصمه منه، إنا بصلح وإما بنيره."

(١) فكان أقرب الناس إلى الملك [في الحق] كأبعدهم، وأقوام كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرّاً حتى ملكهم يزيد جرد الأثيم، ودبوا الحس البارز (٢) فغير سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبريّة والفساد، وقال: "ليس للرعيّة أن تنتصف من الراعي، ولا للسوقة أن تنظّم من الملوك، ولا للوضيع أن يساوى الرّفيح في حقٍّ ولا باطل." (٣)

العقوبة الرّاء
للك الأثيم

فذكرت الأعاجم في كُتُبها وسيّر ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فارس مسرج ملجم، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولا أكل أداة. فأهوى نحو يزيد جرد البارز. فقامت إليه الأساورة

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضي وبالطرف الواحد تقريباً. (ص ٣٩ - ٤١)

(٢) هكذا في سـ. والمشهور أنه يسى يزيد المليم الأثيم، وزيد جرد الأثيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أنظر غرر أخبار الفرس وسيهم للتعالي ص ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في سـ.

(٣) سـ: يستأدى.

(٤) صـ: يزيد جرد الأثيم

(١) (٢)

لتدفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَمَحَهُ فَأَرْدَاهُ . وهو في خلال ذلك يَقْصِدُ إِلَى الْمَلِكِ . فقام إليه يَزْدَجِرُّ وقال للأُساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يَقْصِدُ .

فدنا منه حتى أخذ بِعَرَقَتِهِ ، فَذَلَّ لَهُ الْفَرَسُ وَتَطَامَنَ حَتَّى رَكِبَهُ . فلما جال في مَتْنِهِ ، خَطَا بِهِ خُطْطًا ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى قَرَارِ مَجْلِسِهِ ، فَزَلَّ عَنْهُ وَجَعَلَ يَمْسَحُهُ بِيَدِهِ ، مُقْبِلًا وَمُدِيرًا . حَتَّى إِذَا وَجَدَ الْفَرَسَ مِنْهُ مَمْكًا وَغَفْلَةً ، رَمَحَهُ فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهِ ، فَقَتَلَهُ . فقالت الْفَرَسُ : هَذَا مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ فِي صُورَةِ فَرَسٍ ، فَبَعَثَهُ لِقَتْلِ يَزْدَجِرِّدَ ، لِمَا ظَلَمَ الرِّعِيَةَ وَعَاتٍ فِي الْأَرْضِ .



وكان بهرام جُور بن يزدجرد في حِجْرِ الثُّمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ ، مَلِكِ الْحَبِيرَةِ . وَضَعَهُ أَبُوهُ عِنْدَهُ لِيَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْعَرَبِ وَيَعْرِفَ أَيْمَانَهَا وَأَخْبَارَهَا وَلُغَاتِهَا . فبلغه خُبْرُ أَبِيهِ ، وَأَنَّ الْفَرَسَ مَلَكَتْ عَلَيْهَا رُجُلًا لَيْسَ مِنْ أَبْنَاءِ مَلُوكِهَا . فَاسْتَنْهَضَ الثُّمَانُ بْنُ الْمُنْدِرِ وَأَسْتَنْجَدَهُ . وقال : "إِنِّي لِي عَلَيْكَ حَقًّا ، إِذْ كُنْتُ أَحَدَ أَوْلَادِكَ . وَإِنِّي أُنِي قَدْ مَاتَ وَمَلَكَتِ

ما صنعه بهرام جُور
لأخذ ملك أبيه

(١) أى نفسهُ بِرِجْلِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ . يُقَالُ ذَلِكَ لِلْفَرَسِ وَالْبَيْلِ وَالْحَمَارِ وَكُلِّ ذِي حَامِرٍ ، وَرَبْمَا اسْتَعِيرَ لَذِي

الْخَلْفِ . (تاج العروس)

(٢) أى فَأَهْلَكَهُ . وَفِي صَوْنِهِ : فَأَدَاهُ .

(٣) صَوْنُهُ : بِعَرَقِهِ .

(٤) صَوْنُهُ : حَالُهُ .

(٥) صَوْنُهُ : بِتَوْبِهِ .

(٦) قَارَنَ ذَلِكَ بِمَا أوردَهُ الثُّمَالِيُّ (فِي غُرُرِ أَخْبَارِ الْفَرَسِ) عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَتَفَاصِيلِهَا مَعَ اخْتِلَافٍ .

الْفُرْسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَدَّعْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ .
فَقَالَ لَهُ الثَّعْمَانُ : « مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أَنْتَرُجُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لَتَقْوَى نَيْتُكَ ^(١) وَتَصِحَّ عِزُّمُكَ . ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . » قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

• نَفَرَ جُحَاشُ الثَّعْمَانِ مَعَ بَهْرَامَ حَتَّى صَارَ بِالْمَسْدَيْنِ ، وَبَلَغَ الْفُرْسَ قُلُوبُهُمَا ^(٢) . فَخَرَجُوا إِلَى
بَهْرَامَ ، فَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثُ آلِ سَاسَانَ . قَالُوا : إِنْ أَبَاكَ سَامَنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَّتِهِ ، فَأَفْرَدَ اللَّهُ بَقِيَّتَهُ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيْبِهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنَّ جَوْرَ أَبِي وَظُلْمَهُ لَا يُزِيلُنِي لَانْتِمَاءٍ ^(٣) ، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا ^(٤) . وَأَتَمُّ لَمْ تَحْبُرُونِي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْدَمٍ . قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا فِسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
تَمْلِكُوا مِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلُ مَحْنَةٌ تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِبَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرًا يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنَهُمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمَلِكِ مِنْهُ . قَالُوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

(١) صم : مُتَكَ .

(٢) روى الثعالبى هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الملاحظ . (غرر أخبار العرس ص ٤٨ هـ) .

(٣) صم : لَا يَزِينِي لَانْتِمَاءِهِ .

(٤) صم : مَدَّتِهِ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدين فهو أحقُّ بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فاجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأئك ! فتزل بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين^(١) ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في منطقتيه . ودنا من الأسدين فأهويا نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فادناه من رأس الآخر ثم نطعه به حتى قتلها جميعا . وشدَّ على التاج فأخذه من موضعه بفعله على رأسه .

فلما كنه الفرس أحرهم ، وأنصرف الثمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) صه : وقدوا .

- (٢) جمه طبرزينات [أنظر اليان والتبين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (عبر : تبر) ومعناها القأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يطلقونها في السرج لستخدامها الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرَّب المشارقة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فصار يُقوله "طبرزين" . قال في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لراشدي (ص ٩٠) مانه "تفرج المعتد ويبيده الطبرزين ... فعلا به الطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برده" . وقال في "المحاسن والمساوي" (ص ٩٣) : "وكان معه طبرزين فضرب به كسرى ... ثم ضرب به بالطبرزين حتى مات" .
- (٣) وأظن أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفا الغليل ، ونكتة المعجمات العربية لندوي .

- كذلك كان الشأن عند تآب المشارقة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانه : "الطبر . وهو باللسنة الفارسية القأس . ولذلك يسمى السكر الصلْب بالطبرز" . يعني الذي يُكسر بالقأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم اندثرت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيتُ منها رامايز كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها آين إياس في "بدايع الزهور في وقائع الدهور" مرات عديدة منها قوله : "وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مفتشيا عليه" (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : "خرج عليهم التركان بالقسي والثنايب والسيوف والاطبار" (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : "فلما خرجوا بهم قطعوهم بالاطبار قطعا قطعا" (ج ٣ ص ٢٦٩)

(١) وَعَدَلَّ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانِ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سَرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَامَتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِیَفْهَمَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى خَفَّلَ الْمَلِكُ عَنْ لُحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رَتْجُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْفَحْصِ غَمًّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلع
الذين اشتبهوا
بذلك

وَلَمْ يَرْمَلْهُ قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمَسِّيُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِيهِمْ وَأَوْضَعِيهِمْ: كَانَ



(١) رَوَى أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَالَّتِي قَبْلَهَا بِتَطَوُّلٍ كَبِيرٍ وَتَفْصِيلٍ كَثِيرٍ. (أنظر "سلوان المطالع في عدران الأتباع" المطبوع على الحجر بالقاهرة سنة ١٢٠٨ هـ من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٠٤؛ وأنظر ترجمته إلى الإنكليزية للعلامة ميشال أماري الطلياني Michel Amari، طبع في لوندون سنة ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) صم: ودقيق.

(٣) صم: معرفة نفية.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ^(١)، ثم يحدّثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه ملكٌ من السماء فيُخبره^(٢)، وما كان ذلك
 إلا لتيقظَه وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .

- فيقال إن الأمم كلها، أولها وآخرها، وقد يمّتها وحديثها، لم تحف أحدًا من ملوكها
 حَوَقها أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعم بن الخطّاب من
 خلفاء الإسلام^(٤).

- فإن عُمر كان عليه من نأى عنه من عُماله ورعيته كما لا يدور بات . به في مهاد
 واحد، وعلى وساد واحد . فلم يكن له في قطير من الأقطار . ٧ التواحي
- ١٠ عاملٌ ولا أميرٌ جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده . فكانت ألقاظ من المشرق
 والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح . وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عُماله وعُمّالهم

(١) يفتح التاء، وبكرها أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التصيل الذى أورده الأبيسي في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلمًا
 في شغابا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تمحّصًا ومجتًا عن أسرار الصدور . وكان يثّ العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . يعلم المفسد فيقال
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرف ذلك، فليس له من الملك إلا
 آسفه وسقطت من القلوب هيته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣



حَتَّى كَانَ الْعَامِلُ مِنْهُمْ لَيْتَهُمْ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَخْصَهُمْ بِهِ . فَسَاسَ الرِّعِيَّةَ سِيَاسَةً
(١) (٢) أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي الْفَحْصِ عَنْ أَسْرَارِهَا خَاصَّةً .

ثُمَّ أَقْتَنَى مُعَاوِيَةُ فِعْلَهُ وَطَلَّبَ أَثَرَهُ ، فَأَتَتْظُمَ لَهُ أَمْرُهُ وَطَالَتْ لَهُ مُدَّتُهُ .
(٣) (٢)

وَكَذَا كَانَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ يَتَحَذَى فِعْلَ مُعَاوِيَةَ كَاحْتِذَاءِ مُعَاوِيَةَ فِعْلَ عُمَرَ . وَفِيَا يُحْكِي
عِنْدَهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ - وَهُوَ يُظُنُّ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ - فَقَالَ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ . فَتَبَسَّمَ زِيَادٌ وَقَالَ : تَعَرَّفَ إِلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ
بِأَيْبِكَ ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْرِفُكَ وَأَعْرِفُ أَبَاكَ وَجَدَّكَ وَأُمِّكَ وَجَدَّتْكَ ، وَأَعْرِفُ هَذَا الثَّرْدَ
الَّذِي عَلَيْكَ ، وَهُوَ لِفُلَانٍ بْنُ فُلَانٍ . فَبَيَّتَ الرَّجُلُ وَأُرْعِبَ حَتَّى أُرْعِدَ (٤) وَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ .
(٢) (٣) (٤)
وَعَلَى هَذَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَالْجَمَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ .

ثُمَّ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ فِي مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ حَتَّى مَلَكَ الْمَنْصُورُ . فَكَانَ أَكْثَرُ
الْأُمُورِ عِنْدَهُ مَعْرِفَةَ أَحْوَالِ النَّاسِ ، حَتَّى عَرَفَ الْوَلِيَّ مِنَ الْعَدُوِّ وَالْمُدْبِجِي مِنَ الْمُسَالِمِ .
(٦) (٧)
فَسَاسَ الرِّعِيَّةَ وَلَيْسَهَا ، وَهُوَ مِنْ مَعْرِقَتِهَا عَلَى مِثْلِ وَصَحَّ النَّهَارُ .
(٨)

(١) وَأَنْظُرْ مَا وَقَعَ لِمَعَ الْفَرَّاقَيْنِ كَمَا نَظَرُوا يَسْرِبُونَ الْمَرْغِفَةَ وَمَعَ الْمَرْأَةِ الَّتِي جَاءَهَا الْخَاضُ ،
(فِي "الْمُسْطَرَف" ج ١ ص ١٠٨ - وَج ٢ ص ١١٤ و ١١٥)

(٢) رَوَى ذَلِكَ فِي "الْمُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٥٤ .

(٣) أَنْظُرْ مَا جَاءَ فِي الْمُسْطَرَف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) رَوَى صَاحِبُ "الْمُسْطَرَف" الْحِكَايَةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْبَاحِظُ (ج ٢ ص ١١٥ وَج ١ ص ١٠٨)

(٥) "الْمُسْطَرَف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) رَوَى ذَلِكَ فِي "الْمُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٥٤ .

(٧) لَبِسَهَا أَيْ تَمَلَّى بِهَا دَهْرًا طَوِيلًا .

(٨) أَنْظُرْ التَّضْعِيلَ الَّذِي أَوْرَدَهُ فِي "الْمُسْطَرَف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)

ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حَتَّى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أشدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عنايةً وأحزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمون أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام. ^(١) خبر فيها عن عيب واحد واحد، وعن حالته وأُمُوره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها لخصًا حَتَّى بلغ من هذا الجنس أقصى حدّه وأحرَ نَهايته وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر سُفْله في ليله ونهاره، إلَّا إسحاق بن إبراهيم. ^(٢) لَخَذْنِي موسى بن صالح بن شَيْخ، قال: كَلِمَتُهُ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

- (١) صه: حصر.
- (٢) كان للمأمون ألف عجز وسبعمائة. يتفقد بين أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحِبُّه ويُغضه ومن يُبْذَرُ حُرْمُ المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلًا ونهارًا مستترًا. (محاضرات الأرائل)
- (٣) صه: عليا. [وأهمل هذه الكلمة في "الحاسن والمساوي" واستعمل صيغة مطلقة فقال: ولم يكن أحد من كان آتخ. ولكنه نسى ذلك فزاد وقال حدثني موسى بن صالح وهو من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]
- (٤) هو المصمِّي أمير بغداد.
- (٥) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.
- (٦) هو موسى بن صالح بن شَيْخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية وألخاء المعجمة) ابن عُمَيْرَة الأسدي. كان من نداء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصمِّي أمير بغداد.
- ٢٠ وأنظر أيضًا القصة التي رواها صاحب "الأغانى" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا القديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتز على الله، وقد نيف على التسعين. وقُبِضَ أبوه بعد أن عمر ٩٩ سنة.
- ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! مِنْ قِصَّةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَمِنْ حَالِهَا وَمِنْ فَعْلِهَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَمْ يَزَلْ يَصِفُهَا وَيَصِفُ أَحْوَالَهَا حَتَّى بُهِتَ.^(١)

[وَحَدَّثَ أَبُو الْبَرْقِ الشَّاعِرُ قَالَ: كَانَ يُجْعَلُ عَلَى أَرْزَاقٍ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أُنْشِدْتَهُ: "كَمْ عِيَالُكَ؟ تَحْتَاجُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى كَذَا وَمِنْ الْحَطَبِ إِلَى كَذَا." فَأَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ مَنْزِلِي تَمَّ جَهْلَتُ بَعْضَهُ وَعَلِمَهُ كُلُّهُ.]^(٢)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي نَاحِيَتِهِ، قَالَ: رَفَعْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً أَسْأَلُهُ فِيهَا إِجْرَاءَ أَرْزَاقِهِ. فَقَالَ: كَمْ عِيَالُكَ؟ فَرَدَّدْتُ فِي الْعَدَدِ. فَقَالَ: كَذَبْتُ! فَبُهِتْتُ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا نَفْسُ! مَنْ أَبْنِ عَلِيمٌ أَنِّي كَذَبْتُ! فَاقْتُ سَنَةً لَا أَجْتَرِئُ عَلَى كَلَامِهِ. ثُمَّ رَفَعْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً أُخْرَى فِي إِجْرَاءِ أَرْزَاقِهِ. فَقَالَ: كَمْ عِيَالُكَ؟ فَقُلْتُ: أَرْبَعَةٌ. فَقَالَ: صَدَقْتَ. فَوَقَّعَ فِي حَاشِيَةِ رُقْعَتِي: يُجْعَلُ عَلَى عِيَالِهِ كَذَا وَكَذَا.

وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ كِتَابُنَا فِي إِسْحَاقٍ وَذِكْرِهِ، لَحَكِينَا عَنْهُ أَخْبَارًا كَثِيرَةً. وَهِيَ مِنْ هَذَا الْجُلُوسِ، وَفِيهَا ذِكْرُنَا كِفَايَةً.

فَعَلَى الْمَلِكِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ بِالْفَحْصِ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَدَقِيقِ أَخْبَارِهِمْ، حَتَّى إِنْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَبِيتَ أَحَدِهِمْ وَمَقِيلَهُ وَمَا أَحْدَثَ فِيهِمَا، فَعَلَّ.

التَّمْيِيزُ بَيْنَ
الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ

(١) يَعْنِي: مِنْ قِصَّتِهَا كَيْتَ رَكِبَتْ. وَقَدْ تَرَكَ الْمُؤَلِّفُ الْخَبَرَ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ. وَهَذِهِ عَادَةٌ شَائِعَةٌ بَيْنَ أَكْبَارِ الْكُتَّابِ.
(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَضْبُوطَةٌ فِي سَبَبِ: بُهِتَ. [وَهُوَ خَطَأٌ ظَاهِرٌ مِنَ النَّاسِخِ. وَقَدْ رَوَى الْأَبَشِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَنَسَبَهَا لِلْأَمُونِ. (الْمُسْتَعْرِفُ ج ١ ص ١٠٨)]. رَوَى ذَلِكَ فِي "الْحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٥٥.
(٣) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ "الْحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٥٥.

(٤) رَجَعَ صَاحِبُ "الْحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" هُنَا إِلَى صِبْغَةِ الْمَطْلُوقِ فَقَالَ: حَدَّثَ بَعْضُ مَنْ كَانَ أَيْتَحَ. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِتَمَامِهَا وَبِجُرُوفِهَا. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تَسْكُنُ قلوبها جلالته ملكها - ولو عبدته الجن والإنس ودانت له
ملوك الأم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرّائها، من أمّ الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كُتُب الأوائِل في مواعظ الملوك وآدابها:

بماذا تطول مدّة
الملك

”إن الملك تطول مدّته إذا كانت فيه أربع خصال:

أحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوّف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل وليّ عهده من ترضاه وتختاره رطايه لا من تهواه نفسه؛



والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخصّ المُرَضع عن منام رضيعها.“

١٠

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نرمّة طالّت لملكٍ عربيٍّ
ولا عجميّ قط إلا لمن فحّص عن الأسرار، وبحث عن خفيّ الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على منلٍ وضح النهار.

(١) في سر: إشراف.

(٢) في سر: ”سرّائها في الفريد“. [ولم يكن للجملة معنى أرضيه فقد صحّحها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”إن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بمركه ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه.“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. يؤيد هذا التخرّيج قول الجاحظ بعد ذلك بستة سطور:
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المُرَضع عن منام رضيعها.“]

(٣) في سر: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمه أمرٌ جليلٌ من فتىٍ ثغرٍ أو قتلٍ صاحبٍ جيشٍ أو ظهورٍ عدوٍ يدعو إلى خلافِ الملةِ أو قوةٍ مناويٍ، أن يترك الساعات التي فيها هو ويضعها وسائر الساعات في تدبير مكابدة عدوه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شغله وفكره وفراغه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتجني وحسن الظن بالأيام نصيباً.

فإن هذا يحجز من أملك ووهن يدخل على الملك.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والظواهر

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حَزَبها مثل هذا، أحرث بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفعَ وظائفها، واقتصرَت على مائدةٍ لطيفةٍ تُقرب من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم موبدان موبد^(١) والديربذ ورأس الأساورة. فلا يوضع عليها إلا الخبز والمِلْح والبقول والبقل، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخباز بالزماورد في طبق. فيأكل^(٢)

(١) في س: والدموبذ. وفي ص: الزبر. | وأظن الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.]

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسمرهجي.

(٣) قال حاتم افندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع": إلى اللغة التركية ما معناه "بزماورد هو طعام يسمى لقمة القاضى، وتلذذت، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً برماورد بالراء المهذلة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" ما نصه: "ورماورد، والعامة تقول بزماورد. كلمة فارسية آسعملها العرب للراق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشاف. وفي القاموس: الزماورد الضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضى ولقمة الخليفة. ويسمى =

- منه ثُقْمَةٌ. ثم يَرْفَعُ المائدةَ ويتشَاغَلُ بتدبير حَرْبِهِ وتجهيز عساكرِهِ. ولا تزال هذه حاله حتى يَأْتِيَهُ عن ذلك الفتى ما يَرْفَعُهُ، وعن ذلك العدو ما يُحِبُّهُ. فإذا أتاه، أَمَرَ أَنْ يُنْقَذَ له طعامٌ مثلُ طعامه الأول، وأَمَرَ الخاصَّةَ والعامةَ بالحضور. وقامت الخطباءُ أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام المؤبَّد فتكلَّم، ثم الوزراء بغير من كلام الخطباء. ثم مدَّ الناس أيديهم إلى الأُطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بَسَطَ للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصَّة في صحنه بحضرة الملك. وقعدَ صاحبُ الشرطة للعامة، كتعود الملك للخاصَّة؛ ثم دعا بالمغنيين وأصحاب الملاهي.
- وكانوا يقولون: إِنَّ حَقَّ شُكْرِ النعمة أَنْ يُرَى آخرُها.

- == بخراسان نواله ؛ ويسمى نرجس المائدة ويسمى رومياً . “ والذى في شرح القاموس في مادة (ورد) يمانل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزمارة دواء معروف، ويعد بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل . ١٠
- ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كأي شيء به صاحب ”برهان قاطع“ وكما يدل عليه استعمال الجاحظ . وربما رأى العرب التخفيف غلظوا الباء من أول الكلمة . ولكن ذلك لا يجوز مع القول بأن يماورد من كلام العامة . ويكون هذا الطعام مباركة عما نسميه الآن (الكفتة) . وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُنْقَذُ من الدقيق ممزوجاً بالسنن والسكر ثم يُقْلَى ذلك المخلوط على أفراس مستدبرة لها حوصلة رُجْمًا تكون فوقها قطعة من القشدة . ورأيتُ في ”كتاب مبادئ اللغة“ لأبن ١٥
- الطليط الإسكافي أنشأ سنة ٤٢١ مانه : ”الزماورد هو المُنْمَا والمُبَسَّر. وقال بعض المتأخرين :
- أَكَلُ الْمُبَسَّرِ مِنْ رَأْسَيْنِ ، يَأْسَكُنِي ، * لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا سَيْفَانِ فِي غَمْدِ .“
- وقد ذكر صاحب ”الأعاني“ هذا الطعام . (ج ٤ ص ١٥٤)
- (١) في سبب ذلك .

- (٢) روى ذلك صاحب ”محاسن الملوك“ بأختصار ووقف عند هذا المكان ، ثم زاد أن ملوك الفرس ٢٠
- كانوا يقولون : ”أسعدُ الملوك مَنْ ظَلَبَ عدُوَّهُ بالحيلة .“ (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأسماء إذا دههم أمر^(١) - فزعوا إلى المنابر وحرضوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة.]

وفما يذكرون معاوية أنه قال: ما ذقت أيام صفين لحم ولا شحفا ولا حلوا ولا حامضا، ما كان إلا الخبز والخبث وخشن الملح [إلى أن تم لي ما أردته].^(٢)

ما فعله معاوية
أيام صفين

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأشعث عليه

ويحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جارية تامة الحسن، شبهة المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيب خيزران. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رديه علي. فوالت. فنظر إليها مقيلة ومديرة. فقال: أنت والله أمانة المتنقى. قالت: فما يمنحك يا أمير المؤمنين، إذ كانت هذه صفتي عندك؟ قال: بيت قاله الأخطل: قوم إذا حاربوا، شدوا ما زرعهم * دون النساء، ولو باتت بأطهار.^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تصان وتخدم. فلما فتح عليه، كانت أول جارية دعاها.^(٣)

ما فعله مروان
ابن محمد عند ظله
العباسيين

ويحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرا لم يظأ جارية إلى أن قيل. وكان إذا استهدفت إليه الجارية قال: إليك عني! فوالله لا دنوت من شيء.^(٤)

(١) هذه الزيادة من "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدناها في المتن.

(ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦.

(٤) أنظر خلفاء بني أمية [وأنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].



وَلَا حَلَّتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوَى، وَنُحْرَاسَانُ تَرْجِفُ بَنَصِيرَ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْخُنْثَقِ! ^(١) ^(٢) ^(٣)

(١) تَرْجِفُ بَنَصِيرَ أى تضطرب به . وهو نصر بن سيار الذى ولّاه هشام بن عبد الملك إقليم نحرسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلمهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبى مسلم النحرسانى . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستعجده بالآيات المشهورة ، وهى :

- أرى خَلْسَ الرِّمَادِ وَيَبِضُّ نَارُ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ .
فَأَرَتْ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذَكُّ * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَرْطَا الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَطْفُؤْهَا ، تَجْبِرُ حَرْبًا * شَمْعَةً يَشِبُّ لَهَا الْفَلَامُ .
أَقُولُ مِنَ التَّجَبُّ : لَيْتَ شِئْرَى ! * أَلَمْ أَقَاطْ أُمَيْسَةَ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَكْ قَوْمًا أَحْضَوْا نِيَامًا ، * قُلُ : قَوْمَاءُ قَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرَّرَى حَرْبَ بِحَالِكٍ ثُمَّ قَوْلُ : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

وأخباره مسروقة ، تراها فى "مروج الذهب" و"معارف" ، "آبى قتيبة" و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبى الفداء و"الأخاني" وأبى خلدون و"معجم البلدان" .

(٢) فى سـه : "أبو مخزوم" . وهو تحريف من النسخ . والإشارة هنا إلى أبى مسلم النحرسانى الذى كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور فى الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبى مجرم بدلا من أبى مسلم بمعنى أبى الذئب والإجرام . وقد ينى له هذا التيز فى الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله قهولا :

- زَعِمْتَ أَنْ الدِّينَ لَا يَقْتَضِي * فَاسْتَوَيْ بِالْكِيلِ ، أَبَا مُجْرِمٍ !
إِشْرَبَ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْتَنِي بِهَا ، * أَمْرٌ فِي الْخَلْقِ مِنْ الْعَلَقِمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلْدَامَةَ : مَا غَيَّرَ اللَّهُ نَمْعَةً * عَلَى عِبْدِهِ حَتَّى يَغْيَرَهَا الْعَدُو !
أَتَى دَوْلَةَ الْمُنْصُورِ حَاوَلْتُ غَدْرَةً * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكُذُّ !
أَبَا مُسْلِمٍ خَوَّفَنِي الْقَتْلَ فَأَتَيْتُ * طَلِيكَ بِمَا خَوَّفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ !

وأظفر أبى خلكان فى ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ ١٩٩) [مأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب] . وأظفر "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٥" .

(٤) تلخص ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودى هذه الحكاية ، فقال : " وَأَمَّا مَرْوَانُ أَكْثَرُ أَيَّامِهِ لَا يَدُورُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ تُقْتَلَ . وَتَرَاءَتْ لَهُ جَوَارِيهِ ، فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَا دَوْتُكَ مِنْكَ ، وَلَا حَلَّتْ لَكَ عَقْدَةٌ ، وَنُحْرَاسَانُ تَرْجِفُ وَبَنَصِيرُ بَنَصِيرِ سِيَارَ ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْخُنْثَقِ " .

("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ ٦٤ طبع أوروبا : ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



مكايدة الملوك
في الحروب

ومن أخلاق الملوك المكايدة في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودٌ عاقبةً ، فذلك بسعادة الملك ، إذ رَجَحَ مَالَهُ وَحَقَّنَ دَمَاءَ جِيُوشِهِ . وإن أُعْيِتَ الحِيلُ والمكايدُ ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعدُ الملوك مَنْ غَلَبَ عَدُوَّهُ بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يُحَقِّقُ هذا ويؤكدُه بقوله : "الْحَرْبُ خِدْعَةٌ" .

وليس لأحدٍ من الخدع ما للملوك الأعاجم ، والأخبارُ في ذلك عنهم كثيرة . ولحُكْمًا تقتصرُ من ذلك على حديثٍ أو حديثين .

فمن ذلك ما يُذكر عن بَهْرَامِ جُورَانِه لما ملك بعد أبيه يَزْدَجَرْدُ ، بلغه أن ناحية من نواحي أطرافه قد أُخِذَتْ ، وغَلَبَ عليها العدو . فاستخَفَّ بها وأظهرَ الاستهانةَ به حتى قَوِيَ أمرُ ذلك العدو وأشتدتْ شوكتُه . فكان إذا أُخِرَ بحاله ، استخَفَّ بأمره وصغُرَ من شأنه . حتى قيل إنه قد زَحَفَ إليك ووجهَ جيوشه إلى قرار دارك . فقال : دَعُوهُ فليس أمرُه بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاوُّنه وتراخيَّه عن أمرِ عدوِّه وآسَتهانته به ، آجتمَعوا إليه فقالوا : إن تراخَى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قَرُبَ هذا العدو من قرار دار الملك ، وأمرُه كلُّ يومٍ في عُلُوٍّ . فقال بَهْرَامُ : دعوه ، فإنا أعلمُ بضعفه وصغُرِ شأنه منكم . وأقبلَ على اللُّهُو واللَّعِبِ ، وترك

ما يحبُّ عليه من الصَّمَدُ لعدوِّه والقصد له . فلما دنا عدوُّه منه وأشرَفَ عليه وخاف^(٢)
 الوزراء ورؤساء أهل المملكة أجتَمَعُوا فتأَمَّرُوا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه
 وإعلامه ما قد أشرَفوا عليه من البوار والمَلَكَة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من
 جواريه ، فليسن الثياب المصبَّعة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهنَّ أكاليلَ
 الرِّيحان ، وركبن القَصَب . وفعل بهرام كما فعلن . فليسن من ثيابهنَّ المصبوغة ، وركبن
 قَصَبَةً . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رآهم ، صاح بالحوارى : فبرزن يخطرن ،
 وبهرام خلعتن يفتن ، وهنَّ يغتنن معه ، ويصحنن ويلعنن . فلما رأى ذلك وزرأوه
 يئسوا منه وأجتَمَعُوا على خلعه . وبلغه الخبر . فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
 لك الويلُ إنَّ علم أحد من أهل المملكة ما أريدُ أن أفعل ! ثم أمرها أن تحيِّق رأسه ،
 فخلقته . ودعا بمُدْرَعَةٍ صوف فتذرَّعها ، ونحرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشابُه .
 وتقدَّم إلى الجارية أن تحيِّق أمره وتظهر أنه عليلٌ إلى رُجوعه إليها . ومضى وحده
 حتَّى انتهى إلى طلائع العدو . فكَنَّ في منار على ظهر الطريق . فجعل لا يمرُّ به طائرٌ
 في السماء ولا وحشٌ في البر ، إلَّا وضع سهمه منه حيث أحبَّ . وجعل يجمع كلَّ
 ما صاد من ذلك ، يجمعه بين يديه حتَّى صار كالشيء العظيم . قال : فتزبه صاحبُ
 طليعة العدو ، فنظر إلى أمره يئس له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
 أنت ؟ قال : إنَّ أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلامٌ سائسٌ ،
 وإنَّ مولاي غضب على - وكان لي حَسَنًا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وحلق رأسي
 وألبسني هذه المدرَّعة وأجاعني . وإني طلبتُ عقْلَه ، فخرجتُ أطلبُ شيئاً أصيدهُ

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده براء العطف .

(٢) في نسخة "وفاق" وقد أعددت رواية صم .

فَأَسْأَلُهُ . فَلَمَّا أَعْجِبْنِي كَثْرَةَ مَا صَدَتْ، أَرَدْتُ أَنْ أَرَى بِكُلِّ مَا مَعِيَ مِنْ هَذِهِ السِّبَاهِ،
ثُمَّ أَنْصَرِفَ .

فَأَخَذَهُ لِحْمَلَهُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِرْزُ بَيْنَ يَدَيَّ ! فَرَمَى بَيْنَ
يَدَيْهِ . فَكَانَ لَا يَضَعُ سَهْمَهُ فِي طَائِرٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَصَابَهُ حَيْثُ أَرَادَ . فَهَبَّتِ الْمَلِكُ، وَطَالَ
تَحْسِبُهُ . فَقَالَ : وَيْلَكَ ! فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ مَنْ يَرَى رِيَايَتَكَ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامُ، وَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَنَا أَخْشَاهُمْ رِيَايَةً وَأَحْقَرُهُمْ قَدْرًا . وَعِنْدِي جَنْسٌ آخَرٌ مِنَ التَّقَافَةِ، قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَدْعُ لِي بِإِبْرَةٍ . فَلَمَّا لَهُ بِهَا . فَأَخَذَ إِبْرَةً فَرَمَى بِهَا عَلَى عَشْرَةِ أَذْرَعٍ،
ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا، ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا كَذَلِكَ، حَتَّى جَعَلَهَا سِلْسَلَةً قَدْ تَعَلَّقَ
بِمَعْضَى بَعْضٍ .

فَهَبَّتِ الْمَلِكُ وَوَلَّى قَلْبَهُ رُجْبًا . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَلِكُكُمْ هَذَا جَاهِلٌ ! أَمَا يَعْلَمُ أَنِّي
قَدْ قَرَّبْتُ مِنْ قَرَارِ دَارِهِ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامُ، وَقَالَ : إِنْ أَعْطَانِي الْمَلِكُ الْأَمَانَ، نَصَحْتُهُ .
قَالَ : قَدْ أَعْطَيْتُكَ الْأَمَانَ . قَالَ : إِنَّ مَلِكًا إِنَّمَا تَرَكَّكَ آسْتِهَانَةً بِأَمْرِكَ، وَتَصْغِيرًا لَشَأْنِكَ،
وَعِلْمًا بِأَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنْ قِبَضَتِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي أَخْشَى مَنْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِهِ وَأَعْمَلُهُمْ ذِكْرًا .
فَإِذَا كُنْتُ ... وَأَنَا بِهَذِهِ الْحَالِ بِ أَقْتُلُ بِأَلْفِ سَهْمٍ أَلْفَ رَجُلٍ، لَمَّا ظَنَنْتُ بِالْمَلِكِ، وَلَهُ
مِائَةُ أَلْفِ عَبْدٍ فِي قَرَارِ دَارِهِ، أَصْغَرُهُمْ شَأْنًا أَكْبَرُ مَنِّي ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : صَدَقْتَنِي فِيمَا
قُلْتَ ! وَلَقَدْ خُبِرْتُ عَنْ بَهْرَامِ مِنْ تَصْغِيرِهِ لَشَأْنِي وَأَسْتِخْفَافِهِ بِأَمْرِي مَا طَابَقَ خَبْرَكَ .
وَمَا تَرَكْنِي أُلْفُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا لِمَا ذَكَرْتَ .

فَأَمَرَ عَظِيمَ جَيْشِهِ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . ثُمَّ خَرَجَ لَا يَلْوِي
عَلَى شَيْءٍ، وَأَطْلَقَ بَهْرَامُ . فَانْصَرَفَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ لَيْلًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ،

قَعَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعُقَلَاءُ. فَقَالَ: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدَوْنَا هَذَا؟ فَأَخْبَرُوهُ
بَانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّانِ، ضَعِيفُ الْمُنَّةِ^(١).

وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي أَنْصِرَافِهِ^(٢).

وَكَانَ كَسْرَى أَبْرُوز، بَعْدَ بَهْرَامِ جُور، صَاحِبُ مَكَايِدٍ وَخِدَاجٍ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةٍ
فِي الْعَدُوِّ^(٣).

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازٍ لِحَارِبَةِ مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عَنْدهُ فِي الرَّأْيِ وَالنُّجْدَةِ^(٤).

مكاييد أبروز

⑤

(١) أَى الْقُوَّةِ .

(٢) نَقَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالْحَرْفِ صَاحِبُ "نَبِيهِ الْمُلُوكِ" (ص ٣٤ - ٣٨)، وَنَلَّصَهَا صَاحِبُ "مَحَاسِنِ
الْمُلُوكِ" (ص ١٠٧) .

(٣) الْحِكَايَةُ الْآتِيَةُ قَعَلَهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "نَبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدِ" الْمُنْسُوبُ لِلْبَاحِثِ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ
كَثِيرٌ وَسَقَطٌ مُتَوَالٍ مُضْطَرَابٌ فِي التَّعْيِيرِ (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فِي سَمِّهِ : شَهْرُ يَزَادَ . وَهُوَ تَصْغِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ، وَفِي صَمِّهِ : شَهْرُ يَارُوقْدَ مَحْصُفٌ تَاخُفَرُ بْنُ الْأَثِيرِ
هَذَا الْأَسْمَ بِمُغْلُوهِ شَهْرُ يَزَادَ وَشَهْرُ يَزَادَ، كَمَا مَحْصُوفٌ فِي نَسْخِ "مَرْوِجِ الذَّهَبِ" بِمُغْلُوهِ مِثْلَ صَمِّهِ شَهْرُ يَارُوقْدَ
(وَقَدْ حَبَّيْهِ الْعِلَامَةُ بِأَرْبَابِهِ دَوِيمًا فِي تَرْجُمَتِهِ بِمُغْلُوهِ شَهْرُ يَارُوقْدَ مُطَابِقًا لِلْأَسْمِ الْوَاردِ فِي تَوَارِيخِ الرُّومِ) .
وَأَمَّا الصَّحِيفُ فَهُوَ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ . (أَنْظُرْ جَمِيعَ الْمُؤَرِّخِينَ وَخُصُوصًا الْعَالِيَّ فِي "غُرَرِ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْفَرَسِ"
(ص ٧٠١) حَيْثُ أوردَ هَذِهِ الْقِصَّةَ) . وَأَنْظُرْ أَيْضًا الْأَثِيرَ . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وَقَدْ أوردَ قِصَّةَ
أَثَرِيٍّ فِي سَبَبِ انْتِخَاصِ شَهْرِ بَرَّازٍ فِي الْخُدَيْمَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَرُويزِلَصَةُ مَلِكُ الرُّومِ عَنْهُ . (وَأَنْظُرْ "التَّنْبِيْهَ
وَالْإِشْرَافَ" ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وَقَدْ أوردَ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِرَوَايَةٍ أُخْرَى فِي "مَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وَسَمَّى الْقَائِدَ "شَهْرُ يَزَادَ"
عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيفِ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ فِي الْمَتْنِ .

(٥) فِي سَمِّهِ : فَكَانَ .

وَالْبَسَالَةِ وَمِنْ النَّقِيبَةِ، فَكَانَ شَهْرُ بَرَزٍ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى الْمَلِكِ [أَيَوْمَ] تَقَرَّارَ دَارِهِ وَأَخَذَ يُحَقِّقُهُ
 حَتَّى هَمَّ بِمُتَّهَانِنِهِ وَمَلَّ حَارِبَتَهُ وَطَلَّبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَبَنَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرُ بَرَزٍ.
 وَأَسْتَعَدَّ لَهُ الْمَلِكُ الرُّومَ بِأَفْضَلِ عُدَّةٍ وَأَتَمِّ آلَةٍ وَأَحَدَ شَوْكَةٍ. وَنَاهَبَ لِقَائِهِ فِي الْبَحْرِ
 بِنَاءَهُ فِي جَمْعٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. قَدْ أَعَدَّ فِي الْبَحْرِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ
 وَكِرَاعٍ وَآلَةٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالسُّفُنُ مَسْحُونَةٌ مُوقَرَّةٌ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَصَفَتْ
 رِيحٌ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي قَلَعَتْ أَوْتَادَ تِلْكَ السُّفُنِ كُلَّهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى جَانِبِ شَهْرِ بَرَزٍ،
 فَصَارَتْ فِي مِلْكِهِ. وَأَصْبَحَ مَلِكُ الرُّومِ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْخِزَانِ وَالْعُدَدِ وَالسِّلَاحِ. فَوَجَّهَ شَهْرُ بَرَزٍ بِتِلْكَ الْخِزَانِ وَالْأَمْوَالِ إِلَى أُبْرُوزٍ. فَلَمَّا
 رَأَى أُبْرُوزٌ مَا وَجَّهَ بِهِ شَهْرُ بَرَزٍ، كَبَّرَ فِي عَيْنِهِ وَعَظَّمَ فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ: مَا نَفْسُ أَحَدٍ يُطِيبُ
 الشَّاءَ وَرَفِيعَ الدُّعَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى الْفِعْلِ الظَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ بَرَزٍ! جَادَ لَنَا بِمَا لَا نَسْخُو بِهِ
 النَّفْسَ وَلَا تَطْلُبُ بِهِ الْقُلُوبُ! لَجَمْعَ زُرَّاءِهِ وَأَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَانِ فَوُضِعَتْ
 نُصَبَ عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ لوزرائه: هل تعلمون أحدا أعظم خطرا وأمانة. وأحرى بالشكر
 من شهر برز؟ فقامت الوزراء فتكلم كل واحد منهم، بعد أن حمد الله وشكره ومجده،
 وأثنى على الملك وهناه، ثم ذكر ما خص الله به الملك من يمن نقيبة شهر برز وعفائه
 وطهارته وتبيله وعظيم عنايته. حتى إذا فرغوا، أمر بإحصاء تلك الأموال والخزائن.
 ثم قام أبروز فدخل إلى نسائه. وكان للملك غلام يقال له رُسْتَةُ، وكان سيئ الرأي
 في شهر برز. فقال: أيها الملك! قد ملأ قلبك قليل من كثير، وصغير من كبير، ونافه
 من عظيم، خائنك فيه شهر برز وآثر به نفسه. ولنز كان الملك، مع رأيه الثاقب
 وحزمه الكامل، يظن أن شهر برز أدى الأمانة، لقد بعد ظنه من الحق وخس

(١٨٦)

نَصِيْبِيهِ . فوقع [في] نفس أبرويز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَطْنُكَ إِلَّا صادَقًا . هـ
الرأى عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقُدوم وتُوهِمُهُ أَنَّ بك حاجة إلى مناظرته ومشاورته
في أمرٍ لم تُجْزِ الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفْ ما عِلَّكَ وراءه ، إذ كان لا يدرى
أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كل ما يَقْدَمُ به نُصَبَ عينيك .

(١٩٦)

فكتب أبرويز إلى شهر براز يأمره بالقُدوم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يَدُنْ
عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أَرْدَفَهُ برسولٍ آخر . وكتب إليه : "إني قد كنتُ كُتِبْتُ إليك
أمرُك بالقُدوم لأنظرَكَ في مُهِمٍّ من أمرى . ثم عَلِمْتُ أَنَّ مُقامَكَ هناك أَقْدَحُ في
عدوك وأَنْكى له وأَصْلَحُ للآلِ وأَوْفَرُ على المملِكة . فأقيم وَكُنْ من عدوك على حَذَرٍ ،
ومن غِزْته على تَحِيظٍ . فإنه مَنْ ذهب ماله ، حَمَلَ نَفْسَهُ على التَّلَفِ أو القَلَجِ
والسلام !"

١٠

وقال للرسول الثاني : إن قَدِمْتَ فَرَأَيْتَهُ قد تَأَهَّبَ للخروج إلى وظاهر ذلك
في عسكره ، فادْفَعْ إليه هذا الكتاب . وكتب : "أما بعدُ ، إني كُتِبْتُ إليك وقد
استبطلتُ جواب قُدومك وحَرَكَتِكَ . وعلمْتُ أَنَّ ذلك لأمرٍ تُصْلِحُهُ من أمرِ نفسك
أو مَكِيدَةٍ عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا خَلَّفْ أخاك على عَمَلِكَ وأَعِدَّ السير ولا تُسْرَجْ
على مُهِمٍّ ولا غيره . إن شاء الله ! " . وإن لم تره أَسْتَعِدَّ للخروج ولا تأهب له ، فادْفَعْ
إليه الكتاب الأول .

(١٩٧)

١٥

(١) في سمه : "نفسه" . ولعل الصواب : "نصبيبه" . قال في القاموس : "حسن نصبيبه جعله خسيسا
دينيا حقيرا" . ولم ترد هذه الكلمة ولا الآخ قبلها في صـ

(٢) في سمه : الفتح ، وفي صـ : الخلف . وقد صححت بما في المتن ليكون المعنى ان الذي يذهب ماله
يركب أحسن المراكب فإما ان يتلف وإما ان يظفر وينجح . لأنه يكون في حالة يأمن بمجمله على المراكبة . - صور .

٢٠

قديم الرسول الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزم ولا خاطر، ولا هم به. فدفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أول كل قسلة حيلة. وكان خليفة شهر براز بيباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتة الملك وما كان من جواب الملك له. ثم تازعت أبرويز نفسه ودعاه شربه إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالتقدم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطلاً، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أن نية شهر براز قد فسدت وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أنى شهر براز: "إني قد وليتكَ أمر ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سلم لك شهر براز ما وليتكَ، وإلا فخاري!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بحاربه إن أبى أن يسلم إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حيل ومكايد، وقد فسدت نيته لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غداً، وإن قتلك اليوم، كان على قتلي غداً أقوى^(١).

ثم إن شهر براز صاحح ملك الروم، لم يخاف أبرويز. وتوثق كل واحد منهما من صاحبه. واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتوتلي محاربته، فإني

(١) هذه رواية صه. وأما سه فروايتها: بقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأتمن. ومحصلها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرّات، أهر الملك بهزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيقي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى يأمره فيها بقتله، وأطلعه عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فأعذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتفقوا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصُرْ بِمَكَايِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمَّ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا عَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَزُ : أَمَّا إِذَا آيَيْتَ عَلَيَّ فَإِنِّي مَصُورٌ لَكَ صُورَةً ، فَأَعْمَلُ بِمَا فِيهَا وَأَمْتِئِلُهَا .

ثُمَّ صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَنْزِلٍ يَنْزِلُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْرُويزَ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، وَأَمَى الْمَنَازِلَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيُّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسِيرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلِّهِ عَلَى مِثْلِ وَجْهِ النَّهَارِ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمَّ دُونَهُ وَلَا تَقْطَعْهُ إِلَيْهِ ، وَأَجْعَلْهُ مَنَزْلَكَ وَجْهَ جِيوشِكَ وَعَسَاكَ إِلَيْهِ .

فَضَى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أَبْرُويزَ الْخَبْرُ فَضَاقَ بِهِ ذَرْعَهُ ، وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ أَسْرَهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لَقَطِيعِهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ لِقَاطِ عَائِلَتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْيَتَامَى أَكْثَرُهُمْ هَزَلًا إِضْرَاءً ^(٢) .

(١٨٣)

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَى مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَزُ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّهْرَوَانِ ، عَسَّكَرَ هُنَاكَ وَأَسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أَبْرُويزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جَمْعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعَائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ ، فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أَبْرُويزَ وَلَمْ يَسْكُفْ فِي الظُّفْرِ بِهِ .

فَدَعَا أَبْرُويزَ رَجُلًا مِنَ النَّصَارَى ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَقْبَلَهُ مِنْ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَائِي ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبْرُويزُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا تَقْدِمُ مِنْ أَيَادِينَا عَنْكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرٌ ذَلِكَ لَكَ وَلَوْلَا بَأْكَ . قَالَ : نَخَذُ هَذَا الْعَصَاوَامِضَ إِلَى شَهْرِ بَرَزَ ، فَأَتِيهِ فِي قَرَارِ

(١) ضمه : ومدراته .

(٢) أى اضطرب .

(٣) أى مهزولون مَرَضَى . [والذى فى سه : مهزلا وضرا] .

مَلِكُ الرُّومِ، فَأَدْفَعَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ . وَعَمِدَ إِلَى عَصَا مِثْقَوِيَّةٍ، فَأَدْخَلَ فِيهَا كِتَابًا صَغِيرًا مِنْهُ إِلَى شَهْرِ بَرَزٍ : "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا وَأَسْتَوْدِعُهُ الْعَصَا . فَإِذَا جَاءَكَ، فَخَرِّقْ دَارَ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَأَقْتُلِ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَسْبِ الْيَدِيَّةَ، وَأَنْهَبِ الْأَمْوَالَ، وَلَا تَرُكَنَّ عَيْنًا تَطْرُفُ وَلَا أُذُنًا تَسْمَعُ وَلَا قَلْبًا يَبْصُرُ، إِلَّا كَانَ لَكَ فِيهِ حُكْمٌ . وَأَعْلَمُ أَنِّي وَائِبٌ بِمَلِكِ الرُّومِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَلَئِنْ هَذَا وَقْتُكَ الَّذِي تَعْمَلُ فِيهِ مَا أَمَرْتُكَ ."

(١٨٧)

قَالَ : وَأَمَرَ لِلنَّصْرَانِيِّ بِسَالٍ وَجْهَهُ، وَقَالَ : لَا تَعْرِجَنَّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تُقِيمَنَّ يَوْمًا وَلِحْدًا . وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَدْفِعَ الْعَصَا إِلَّا إِلَى شَهْرِ بَرَزٍ، مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ !

ثُمَّ وَدَّعَهُ وَمَضَى النَّصْرَانِيُّ . فَلَمَّا عَبَرَ النُّهْرَ وَأَنَّ أَتَفَقَ أَنْ كَانَ عُبُورُهُ مَعَ وَقْتِ ضَرْبِ النَّوَاقِيسِ . فَسَمِعَ قَرْعَ عَشْرَةِ آلَافٍ نَاقُوسٍ أَوْ أَكْثَرَ . فَأَتَمَلَّتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَنَا، إِنْ أَتَعَنَّتْ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَأَطَعَتْ أَمْرَ هَذَا الْجَبَّارِ الظَّالِمِ !

١٠

فَاتَى بَابَ مَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ أَبْرُويزَ حَرْفًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْعَصَا، فَأَخَذَهَا وَنَظَرَ فِيهَا . ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الْكُتَّابَ مِنْهَا فَرَأَى عَلَيْهِ . فَخَرَّ، وَقَالَ : خَدَعَنِي شَهْرُ بَرَزٍ ! وَلَئِنْ وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَيْهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ !

وَأَمَرَ فُقُوزَتَ ابْنَتَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . وَخَرَجَ مَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ .

١٥

(١٨٨)

وَوَجَّهَ أَبْرُويزَ عَيْنًا لَهُ يَحْيِيهِ بِخَبْرِهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَضَى مَا يَلْتَفِتُ لِقَتَّةٍ . فَضَحِكَ أَبْرُويزُ، وَقَالَ : إِنَّ كَلِمَةَ وَاحِدَةٍ هَزَمَتْ أَرْبَعًا أَلْفَ جَلِيلٍ قَدَرُهَا وَرَفِيعٌ ذِكْرُهَا !

الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنعظم كتابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمه، وكان مفتاحا لتأليفه - وجمعه .

ولنقل أنا لم نرفي صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية فتي اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، لحاز الولاية من هاشم والخصيضي (١) من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مولاي أمير المؤمنين .

فلتهنئه هذه النعمة المهداة ! وبارك له واهبها، وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع يقاعها وأسمى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره وتكباته وعثراته ! فإنه رحيم كريم !

في آخر النسخة السلطانية ما نصه :

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه . والحمد لله وحده !

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا !

حسبنا الله ونعم الوكيل !

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكيل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكيل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم الملاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الملاحظ نمت فيه بلقب
"القياس" ووصف مقداراً كله ، وما ذا كانت يصنع إذا أجهده الكتفة . كذلك أين أبو الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلاً من
"القياس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محرقة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولما اخترنا
كتابنا نعيدنا كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التعريفات مصدرها إعمال النساخين المتأخرين .

٢ - أورد الملاحظ ذكر "قامم القمار" وبعدها والميت به في كتبه . وقد وصفه بطول البقي ،
وأشار إلى بعض نوادره وأحواله ، هو وأبوه ، الذي كان شرشيه بأبيه .

ويستفاد من كلام الملاحظ أنه كان معاصراً له .

أنتل كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصاً ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلة" (ص ٢١٥ و ٢١٦
بأكلمها) ؛ و"الحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم القمار) .

٣ - ذكر الملاحظ "أبا مسم السنوط" في كتاب "البغلة" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
وصفه بالأكل . وقد ذكره أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبر الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف"، أي ابن الشاعر الشهير بأبن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عَرَضًا في "وفيات الأعيان" لأبن خلكان فقال عنه : "وهو الأكلوه المقدم في الأكل ، في مجالس الرضاء والملوك " . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٥٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن المرات) .

• ذكر ابن أبي الحديد أيضا "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميته "هلال بن الأسمر". لأن صحة اسمه بالسين المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - رزم - وأنظر ترجمته في "الوافي بالوفيات") . وهو هو الذي سميته في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والغلط عن الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا أسما جديدا يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبد الله بن زياد بن أبيه" رجلا واحدا . فإن تحريف "عبد" إلى "عبسة" ليس بعيدا .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا أسماً جديداً آخر، وهو "أبو خازجة" الذي روى لنا الجاسط أنبأه وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيران" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزدوا" التي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مُزْدَر" وهو لقب ضرابين السباح. والتعريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها. وأظن "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم يذكرنا بأنه من الأكلة.

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأئمة" للفائز - الذي ذكرناه في أنوار ملك الحاشية -
أحوالاً وأخباراً تراها في الجزء الرابع من "شرح بهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا الملاحظ إبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جُند الخلافة" إنه "كان عالما بالدولة شديداً لحبّ لأبناء الدعوة ... وكان نظم المعاني ونظم الألقاظ - لو قلت : لسانه كان أردّ على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شير وستان طرير، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
وعرف به الملاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لا نظير له ، وكان خطيباً ، وكان ناسياً ، وكان قتيلاً ، وكان عروضياً وحافظاً للحديث ، راية للشعر ، شاعراً . وكان نظم الألقاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام زوّة ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأورد . وكان منجاً ، طبيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأسيرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيما عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الملاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاء على خراسان : إن أبالك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً . فلا تتكلن على عذر مني لك ، فقد أتكتلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الثقل إذا أخلف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حقلك ، فأطلب أقصاه . وقد أتمدك أبوك ، فلا تريحن نفسك . وكفى لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث فذك ، تسعد . إن شاء الله !
(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤)

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد رأى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) نصه
الرجل الذي أراد ما يريد أن يمتعه قبل أن يؤوله قضاء للقضاء .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآتين أن الجاحظ نفسه قد أسعمل هذا اللفظ ثلاث مرات
في كتاب "البغلة" طبع ليدن فقال :

١ - الآتين فيما نحن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأر أن تبدأ أنت قسماً فأقول أنا حينئذ
جيباً لك ، وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت أكل ، فهنا آتين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : هنيئا !
فيكون كلام بكلام . فإنا كلاماً فقال ، وقول يأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجدي إنما هو من آتين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة
ليس والفراخ ، وإنه لم يحضر للتزيق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكرنا قوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) قلا من القهرست أن أحد بن محمد
ابن نصر الجبلي ألف "كتاب آتين" و"كتاب الزمادات في كتاب آتين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها وفيها مع زيادة كلمتين فقط
(في "اليان والئين" ج ١ ص ٢٣٢) . ثم أوردها أيضاً في كتاب "البغلة" (ص ١٩٣) :

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "المقد الفريد" بدليل نقله أيضاً للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع
آخر من باب الاستطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضرب إلى ما كتبه عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الجاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً، فرأى الناس قد استحسنوا كلامه، فقال لهم: "لا يمتكم سوء ما تملكون منا أن تقبلوا أحسن ما سمعوا منا".
(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب "البلد"، (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩)
حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البعل والكرم، وتفضيل الكرم.

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أبن الناس وأحسنهم حديثاً. وكان راوية علامة، شاعراً مقلداً. وكان من رجال الشيعة. ولما استنطقه الجاحظ قال: ما ظننت أن بالمرق مثل هذا. وكان يقول: ما أمكنني والي من أذنه إلا غلبت عليه، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة). وكان عليه متعابلاً. فلما بلغه أنه (أي الجاحظ) رفقته (أي بلالاً) حتى رقت سانه وجعل الورق خصيه أنشأ يقول:

لقد قرئني أن ساقية رقا * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى
بجئت وراجعت الخيانة والخنأ * فيسرك الله المقدس للمسرى
فاجلح سوء ثرب الدوس جوفه * بما جلسه التجار يرى كما نسي
وإنما ذكر الخسبة اليسرى، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون.

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب أسماعهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بُصِرَتْ بفهد على قاذ غلوة ، فسميت إليه ، وأنا أسوار كما تملكون . فوالله ! ما أخطأت حاقق لهزيمة حتى رزق الله عليه الظفر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

ما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين إبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البداهة" رأى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، ليظفر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرجة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم فخرّب ، بفخره . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يمالك الأمين أن يجعل يسح هذه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجل ضربوه !

أخذ الله لقلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتجح عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيبُ البيتَين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال :

ما لين أهنؤ شبيه ، * فيه الدنيا تيه !

وَضَلَّ حَلْوً ، وَلَكِنْ * جَهْرُهُ مَرُ كَرِيه !

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْقَضَ * لِعَلِّهِمْ ، حَسَدُهُ !

مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أهنؤه .

فأمر الأمين له بقر ثلاثة أبطل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظه "بَار" ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :
قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هائم أمي، تفسير قيل !
فن ذا الذي "يتأى" على بحاله، * وغالى على، ذوالندى، وعقيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب باسم "السرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال"
قدسيا، والأستاذ "شويقرت" الموجود الآن .

قال الأول :
CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosis.
Desor. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra,
obtus, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes
tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore
revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra
medium.

Arab. ٤sal. alhis Korrah vel Sserah سرح Usus antitoxicus : dum rami
recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabica* : pp. 68)

Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk. وقال الشافعي مانه :
(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien
und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نعيم أي شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أنت المحافظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعماته (في "اليان والتبيين" ج ٢ ص ٧٧٠) فقال مانصه : "وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أتم بمكة لم يتم معه أحد. هكذا في الشعر. ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس. وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهتم ذم .
إذا شدد الحساب ذات يوم * وقام إلى المجالس والمصوم ،
فقد حرم على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم .
وكان الينخري غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقان الحكيم .
هو البيت الذي بُنيت عليه * فريش السر في الرن القديم .
وسطت ذوائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم ! ^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان اليربوعي أنه . كان "فاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب وتؤمل له ، وكانت له نثرانة حسنة كثيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع ومائتان سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأهماء . (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يذلل كناية من ناجى الكتب وطابعيا فيقولون "العاصي" في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعاص" (راجع "الأشتقاق" لكن دريد و"لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللقب والأدب) .

(١) البعير الحسن المشى والحسن . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب ح ث ر -) .

(٢) أى توسطت فكده . أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أومض عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثمانية من ولاية عتبة بن إسحاق على مصر
أن التبركل ^١أبا حسان الزيادي هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بدار مصر . ذلك خاطر
سبق إلى رمي ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التي تقول قضاءها أبو حسان الزيادي هي أحد شقي
بفداد . وقد وصفها اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : "وأما شقي الشرقية
لأنها قد عرفت مدينة الهدى قبل أن يزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي
من دجلة . فسُميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذي يجلس فيه قاضي الشرقية" . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبي طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا "التابع" بقوله : فالتابع ، لانيه زبر وليست له غاية
دون التلف . (كتاب "البغلة" ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أوردته الجاحظ "في البيان والتبيين" أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد "تأنيذا"
بدلاً من "تأنيذا" التي في مجلتينا تقلعن صر . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتر)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سمعته بن سلم بشأن آستحسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإقناع وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا مبرر به).

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية. (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦).

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المخصص" لابن سيده شرح "السهم الطائر، والسهم الغريب" (ج ٦ ص ٧٦). [أنظر عن "السهم الغريب" ما أوردته في صفحة ١٩٤ عن تكميل صفحة ٤٣ ص ١٠].

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الهذلي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصًّا وعالمًا يَتَمَّعُ بالأخبار والآثار. وقد ساء (ج ٢ ص ١٢٠) "صلى" ونقل عنه هذه الكلمة: "إذا جمع الطعامُ أربعة، فقد كل؛ إذا كان حلالاً، وكثرت عليه الأيدي، وسمى الله على أوله، حُمِدَ على آخره". ف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان شطيطاً قاصًّا وعالمًا بالأخبار والآثار؛ وأنه لما ناظر أهيل الكوفة قال: "لنا الساج والساح

والدياج وانخراج والنهر المباح". وقد روى الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "الحويان" (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال: "نحن أكثر منكم طابا ودياجا ونراجا". ونسبها لأحمد بن قيس فيا نفريه على أهل الكوفة، ثم قال الملاحظ: ويقال إنها من كلام جالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر المذلي. وقد أورد الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه أقصر على نسبتها للمذلي هذا، دون غيره.

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبناها عن رَوْحِ بْنِ زَيْنَبٍ ما رواه الملاحظ من أن معارية هم به فقال له رَوْحٌ: "لَا تُنْسِيَنَّ بِي عِدَّتَا أَنْتَ وَقَعْتَهُ" (١) وَلَا تُسَوِّأَنَّ بِي صَدِيقًا أَنْتَ سَرَّيْتَهُ، وَلَا تُهَيِّمَنَّ بِي رَجُلًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ! فَلَمَّا أَقْبَلَ حَلِيقٌ عَلَى جَهْلِي وَإِسْمَاقِي؟" (اليان والتبيين ج ١ ص ١٣٧). الخ التي أستمثال بها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧). (اليان والتبيين ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي قلناها عن "العقد الفريد" في تلك الحاشية. فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أخذها عن الملاحظ.

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خازمية الفزارى أن الجاهلي بن يوسف الثقفي لما بلغه موته، قال: "هل سمعت بالذي طاش ما شاء ثم مات حين شاء؟" (اليان والتبيين ج ١ ص ١٠٣، ١٧٧).

(*) وقته أي قهرته وأذلكه. [حاشية عن طابع "اليان والتبيين"].

صفحة ٦١ (حاشية ١)

- أنصف طلبها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :
- ١ - المقرب تقع في يد السورء، فيلب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستخدية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبلث [هو البقاة] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "أستخذى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن الحرمين في الحرب غاية الإيمان ثم لحقت [الحررة]، لقطعت وهو "مستخذ" (ج ٧ ص ٤٧) .

صفحة ٦٢ - ٦٥

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أختان أنوشروان لمن خافه في حربه . والباوتان بكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النص الوارد في روايتنا قد أستوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة نان قلوزن ص ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٢)

أولاً - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أئمة" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الآدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، وفصيحاً جامعاً ، جيد الرأي كبير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (اليان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرثعاً للخلافة ، فلما حرمها أقطع لخدمة العلم والأدب ، ما بقى لخدمة
نظراً باقياً على مدى الأبد .

وليت اصراء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!!

ثانياً - أطلع أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان ومروين ، - يد الأشدق (في "البيان والبيان"
ج ٢ ص ١٨٥) ، وتلقب سيد بلعيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسباباً لطيفة في تسميته
بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثاً - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل لعليم الشيطان" . وأعلم أن
"أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقبُ غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، لفساد
كان في فقه . والعرب تكنى الأبحر "أبا ذئباب" وبعضهم يكتبه "أما ذئبان" . قال الشاعر مشيراً إلى هشام
أبن عبد الملك بن مروان :

لَمَّا لَمْ يَنْبِ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مِيلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الدُّبَّانِ ، أَنْ يَنْدُبَا .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيران" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبحر : أبو ذئبان . وكانت -
فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنته قول ابن خرابة^(١) :

أَسْمَى أَبُو ذُبَّانُ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَاضٍ مِنَ الرَّسَنِ .

وقد صفت بيتنا لابن الحسن .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيران معلومات عن "لعليم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن باغوت
ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن خثف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق
وبلعيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتحرير فيها كثير . وصحة آسم هذا الشاعر هو "أبو حُرَّابَة"
(بالهاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين خربوا مع ابن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان
(أنظر "الأغانى" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشتبه" للذهبي طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مَرْوان قال في قتل عبد الملك
مُروين سعيد :

كَأَنَّ بَنِي مَرْوان إِذْ يَقْتُلُونَهُ * بَنَاتُ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى مَقْرِهِ
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته
وشكله ، فقال :

لله بَسَاتٌ حَلَلْنَا دَوَّحَهُ * فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
وَالْبَاتُ تَحْصِيهِ بَسَاتِيْرًا رَأَتْ * قَاضِيَ الْقَضَاءِ ، فَفَتَتْ أَذْنَائَهَا !
(دائع الزهور لابن مياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :
الرَّهْيَةُ الرَّهْنُ ، وَالْمَاءُ لِلْبَالِغَةِ ، كَالنَّيْمَةِ وَالشَّمِّ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَا بِمَعْنَى الْمَرْهُونِ .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تَحْصَنُ الْفَرَسَ" ، فقال في كتاب "الحيوان"
(ج ٢ ص ٥٠) ما نصه : "فما قول في فرس تَحْصَنُ تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبارُ الموكب
قد حال بين أسنانه بعضهم لبعض ، وليس في الموكب جُحْرٌ ولا رَمَكَةٌ ، فياغتصم صاحب الحصان فيرى جُحْرًا
أو رَمَكَةً على قاذب عرض أو عرضين أو غلوة أو غلوتين ؟ حدثنى : كيف شتم هذا الفرس تلك الفرس الأثني ؟".
ففى ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحى كلمته هناك . وكأننى كنت أنظر بنور الله إلى
هذا الشرح حينما أوردتُ حكاية قايىباى ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسaire سعيد بن سلم الخليفة الهادي بنفس الفاظها التي أوردها في "التاج" وقال : إن الخليفة نعتَه بـ "الخائن" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطاقت على هذا النعت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طويس المنفي لبعض ولد عثمان بن عفان (أعني هو سعيد أن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "الحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتهاج أبرويز لرجاله في حفظ الحرم . والبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عسدا قد أخذت حطها من العناية في التصحيح .

(أنظر "الحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلورن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القاري على بعض المراتن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف باسم "النوهار" .
وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله الممرى تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ح ١ ص ١٦٦ ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المجموطة بدار الكتب الخديوية التي نقلها بالفتوغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيب ، الموجودة الآن بخزانة طوب قبر بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) وصفحة ١٠٣ (سطر ٦)

لجاء شرح لطيف على قولهم : " المديون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في تخاب " البخله " .
ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجسد بن درهم بحسب ما وصل إليه
اجتهادى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القليل . ثم رأيت
ترجمته في " سرح العيون " لابن نباته (ص ١٥٩) فأحييت لذلك النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة
لا يمنحنى على شيء ، يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سليمان بن مجالد " اعتماداً على رواية حمزة ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب
" المحاسن والمساوى " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف
الآن أن ابن أبي الحديد رأى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن
والمساوى " أى " سليمان " وقال إنه " مولى بن زهرة وكانت له من السَّفاح منزلة عظيمة " (وأورد تفصيلات
أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أنف على هذه الحاشية أن ألاحظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس
ابن سعد بن عبادة أمير مصر من قبل على بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك
ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، فقرة ضلالة، ويطشهم بطش جبرية. يأخذون بالقلم، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضمونها في غير أهلها." (عن "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥):
وقال أيضا: آثار الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خافان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سخاء، وأحتمل وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام بحق الجار". ("اليان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "آبن دأب" ما رواه الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبها عن علامات الانصراف ما أوردته الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرح لكلمة "محصرة" قول ابن سيده: "المحصرة ما يشير به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد روى هذا الموضوع حقه في "كتاب العسا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانعه: "كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ خَيْرُ دَانٍ رِيحُهَا عَيْنٌ * يَكْتَفُ أَرْوَغَ فِي مِرْيَتِهِ قَتْلَهُ^(١).

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله: لأن الملك لا يختصر إلا بهود لئلا يضيع.

وأنظر أيضا كتاب "العسا" لأسامة بن منقذ، وقد طبعه العلامة هرونوفيتش درينغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades*.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قریش "عمرو بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عمرو بن أذينة" . وقد علق صاحب القاموس فرصه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في الخلط مع أن شيعه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عمرو بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حذير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعه لبيسك ص ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٩٢، ٥٩٣) .

أما "عمرو بن أذينة الشاعر" ، شاعر قریش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغانى" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأروغ: الذي يروحك ويعجبك لحسه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السكية" أن صاحب بدائع البدائ (ص ٢٢٧) قد أشهد لأبن قلاؤس الإسكندري مرجحاً :

أنا الفقيه يطبخية * وسكية لأجودت صفالاً ،
فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالاً .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

إتفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد يتم فيه الملك . وكنت أثرت استعمال "الحارى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأول أفضل . لأنه وارد فى جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللغة لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملال وشهوة الاستبدال فى كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفاً لطيفاً عن ابن أبى عتيق فى الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

فأون ما كتبه الجاحظ فى "التاج" عن رأى الناس فى المشهور المتداول بما أورد فى كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة ويندج فى ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ١ و ٢)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس ظفاهن الحارث "كان يتقلب" ويقلب أصحابه
بالغالية، فسمى "ظفاه". بذلك "البيان والبيان" (ج ٢ ص ١٦١).

قال في الصحاح "وقطف الرجل بالغالية وقطف بها لحية ظفأ، ومعد يكرب بن الحارث بن عمرو
أخو شرجيل بن الحارث يقب بالظفاه لأنه أول من قطف بالمسك، زعموا". ونحوه في "اللسان"
(ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١).

يضاف على السطر الثالث منها أن أين أبو الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن
الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).

هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم
من الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث
من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القبيل بالأندلس، مع علم الخاص والعالم بفراس هذا القطر ومن
كانوا فيه. فرأيت أن أعلاني الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير
(المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافي
في فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة لندن؛ وفي كتاب بغية المتوسس
للنضبي طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب النكتة لكتاب الصلة لأبن الأثير، طبع مدريد، ص ٩٠؛
وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، الذي أشار إليه صاحب فتح الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضاً لمندرين
سميد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة تجده المعجب والمطرب منها
في الكتب المذكورة - براجة فهارسها) وأنظر على الخصوص فتح الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠)
وما يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أقترما رواه المجسط في كتاب "الحوانات" عن مهارة يهرام وفروسيته في صيد الحمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤)

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها من "الطير" و"الطيورين":

١ - أن أين جريز الطيرى الشير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأما ده أبو حاتم ، ثم سأله عن يده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة . وكانت أرضاً ذات شجر ، فأتسوا ما يقطعون به الشجر . فهاؤوهم بهذا الطير الذى يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٢٨٤) . وقد ذكر المجسط "الطيورين" و"الطيوريات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحیوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرية للعاصم الهجرة فأطلقوا لفظة "طير" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد العم ومبيد النعم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطيردار وهو الذى يحمل السلاح بين يدي السلاطن لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام المجسط نفسه أن انلباز عندهم كان هو الطاهى والطباخ ، وأنه هو الذى كان يقدم الطعام المخدوميه .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . واعتبر كلامه في "الحیوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب يقول للرجل الصانع ... حَبَّازًا . إذا كان يطنج ويمجن" . وقد قال في الجزء الخامس منه (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الحَبَّازون الحَدَّاق قد تركوا

الضأن، لأن المعز يئى شحمه ولحمه فيصلح أن يسم مرأت، فيكون أرنج لأصحاب العرس. وأظفر في الجزء السادس (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السندى الذى اشتراه ثمامة [بر أشرس] ثم قال عنه للملاحظ: "إنه أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرا".

ورود في كتاب "البحلاء" للملاحظ:

- ١ - إنك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أى الذى يصنع الحبيصة] (ص ٧٠).
 - ٢ - قُربَ خباز أسد بن عبد الله - وهو على نراسان - شواء قد نضجه نضجا، وكان يبعجه ما رطب من الشواء، فقال لخبازه: أظن أن صنمك يخفى على؟ (ص ١٦٠).
 - ٣ - جاء الخبازون مرفعوا الطعام (ص ١٦٤).
- فكل هذه النصوص تؤيد ماقلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام.

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر الجاحظ البرمورد في كتاب "الحيوان" فقال: والذجاج أكثر اللحم تصرفا، لأنها تطيب شواء، ثم حارًا وباردًا، ثم تطيب في البرمورد (ج ١ ص ٩١). ثم قال في موضع آخر: إن أهل نراسان يجمعون بأخذ البرمورد من فراخ الزناير، ويغافون أذناب الجراد الأعراي السمين. (ج ٤ ص ١٥).

ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف برمورد الزناير حينما كان وإليا على نراسان. فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها، فطلب له من كل مكان. وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير، وقد عبره الدماء بأكل الجراد الأعراي. ثم مالبت الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملاءة من فراخ الزناير ليتخذوا منها برموردا للأمر. فخرج البدوى وهجاهم بأبيات، تراها هناك.

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضاً التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني الثنوي هو القائل بالنور والافلام . والطالب يرى ترجمته في "سراج العيون" (ص ١٥٥) .
والقائلون بمذهبه يسمون "مانينة" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطبعة طفيمة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب استدراسها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	مصواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	وتنسى، ويقصر ويجهل	وتنسى، ويقصر ويجهل
٢٤	١٠	بخطا	على خطا
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا	وجاؤا
٤٧	٨	حق	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات	حالات
٧٨	١٤	تنب ... تكون	ينب ... يكون
٧٨	١٥	قدأما	قدأما
٩٨	١١	خلوا، ثداكروا	خلوا، ثداكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	السفلة	السفلة
١١١	١	الريدي	الريدي (١)
١١٦	١٢	يفرون	يفرون
١٢١	٩	بمخرج	بمخرج
١٢٥	١٢	أزاد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١	عزل	عزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية سره، صـ بمقتضاه، أي نعمل بدل "الريدي" لفظة "الريدي" بطريق التصغير والتحقيق لكلمة "الريدي" (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والعرض يسمون بهذا الاسم، ومعناه "الرجل الحر"

(٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجيه جدا ومتحتم يقضى به السياق .

استدراك^(١)

لهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات التي أنفردت بها دون نسختي سـ ، صـ .

(الكلمات الزائدة في الحلية أدمجناها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موقعها)

- ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية إلى في آخر سورة "الأضام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف الحافظ عثمان) ليس فيها لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلية قوله تعالى في سورة "فاطر" : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٢٥)
- وهي غير الآية التي يريدنا الملاحظ ، وليس فيها على الشاهد الذي توخاه .
- ص ٤ س ٤ "أى لباه" بدلا من "قال كنياه" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير الرازي وغيره] .
- ص ٥ جميع الواردة في هذه الصفحة ناقص في سـ وهو موجود في الحلية مثل ما هو في صـ ، مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلي .
- ص ٧ س ١ إقتصار صاحب الحلية على ترجمة الباب بقوله "في الدنول على الملوك" ثم ابتدأ الكلام بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للوك إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف" . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا بذلك أعتمدته في ذلك المصاحم] .
- ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل سـ] بدلا من "عبد الرحمن" [الذي أعتمدناه عن صـ] .
- ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسماعق" . [فكان ناسخ الحلية أتمم مع ناسخ سـ إلا في وضحه انقله "الملك" في موضع البياض الذي تركه صاحب سـ ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

- ص ١٧ س ٤ "يعنى" بدلا من "يقضى". [وربما كانت رواية الحلبة أحسن].
- ص ١٧ س ١٠ "كان" بدلا من "الحاف". [ولا بأس برواية الحلبة أيضا].
- ص ٢١ س ٤ "وأذوات"، بدلا من "وإدوات". [وكلا الروايتين لاعمى له وأظفر حاشية ١] .
- ص ٢٢ س ٦ فى الحلبة : " وإن كان الملك يشرب الخمرة والعباد بالله ليس للرجل الواقف فى خدمته أن يختار" بدلا من "وليس له أن يختار"... [وفى رواية الحلبة تعطيط لا يتفق مع المهود من أسلوب الجاحظ] .
- ص ٢٣ س ٣ "حد يليا" بدلا من "جذيليا".[وروايتهما الصواب وأظفر الحاشية رقم ٢] .
- ص ٢٤ س ١١ "عن أصلها وفصلها" بدلا من "عن فضلتها". [وروايتهما توافق المهود من أسلوب الجاحظ].
- ص ٢٥ س ١ "وحصر كل طبقة منها نسما" بدلا من "ونخص كل طبقة على نفسها". [قده واقن جزنا ما فى الحلبة عند ماصحتنا "نخص" بكلمة "حصر" التى عينها لنا السياق . وأظفر حاشية ١ فى تلك الصفحة].
- ص ٢٨ س ١٠ "خزوماش" بدلا من "خرم باش".(ورواية الحلبة مغلوطة، وأظفر الحاشية رقم ٢).
- ص ٢٨ س ١٢ » » » » » » » » () » » » » » » » ».
- ص ٢٩ س ٨ "تنقى" بدلا من "تغلى". [ورواية الحلبة تتفق مع رواية سره].
- ص ٣٠ س ١٥ "بقرائين" بدلا من "بابي". [فرواية الحلبة تنفى مع رواية سه].
- ص ٣١ س ٦ فى الحلبة : " لإبراهيم الموصل ". ... [وأظفر الحاشية التى وضعتها فى أسفل تلك الصفحة].
- ص ٣٤ س ٧ "واحدا من مغنيه وبطائنه فى عشرين "... ..
- ص ٣٥ س ٧ "قليل المعاء سي النظر" بدلا من "ليل الإغضاء سي الظن". [وعندي أن روايتنا أفضل].
- ص ٣٥ س ٩ "لاتعطينى" بدلا من "لايسطينى". [وعندي أن روايتنا أفضل].

ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيما" فقد توافقتا مع الحلية في إضافة أداة النفي. ولكن الحلية عادت فأملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيما" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفتت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأتظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية، ثم س ٤ ص ١٥٧].

ص ٤٦ س ٨ لا يسوا طيبا يتطيب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلية جملة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك].

ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين المملوك والسوقة فرق".

ص ٤٨ س ٣١ "وإبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد "بذلا من" وهذا إبراهيم بن المهدي بالألف دخل على ابن أبي دؤاد. [فأتفق سه وصه على أن الداخل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلية. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما آتت عليه لبسة هي خاصة بالخليفة].

ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وإن" ...

ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حد العدل على الخاصة" بذلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" ... [ورأية الحلية أحسن وأتم].

ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال من" بذلا من "هاتان من" ... [وعندى أن رواية الحلية أكثر حسنا وأتم بيانا].

ص ٥٠ س ١٣ "ولا يته اللهم إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلية في غاية الجمل].

ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب" ...

ص ٥١ س ١١ "الأمة" بذلا من "الملة". [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأمة" الواردة في سه. وقد أسحسنت "الملة" الواردة في سه من أجل المجازة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ].

- ص ٥٢ س ١ "غيره" بدلا من "السوة" "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الرايتان
أحسن مما اعتدناه من سده وصده].
- ص ٥٣ س ١٣١٢ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقوم وأحس منها إلى
فوائد". [ولا شك أن رواية الخلية محرقة وموابها "أقوم وأنهم إلى فوائد".
وأنظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "قارتاع من حضر" بدلا من "قارتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يق" بدلا من "يق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السفافات كثيرة في الخلية].
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في اتخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب
الكتّاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وبطانته". [وهو تقسيم
وجبه لطيف ، ويجب اعتياده في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "باسم أبيه". [ورواية الخلية أكل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن لا". [فكانت زبادتا لحرف التي مواقاة لما في الخلية].
- ص ٩٥ س ١٥ "التبالة" بدلا من "الثالة". [وهذا التصحيف فيه تبالة من التاسخ].
- ص ٩٦ س ٣ "فأنت من بعض الملوك" .. [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سده أيضا .
والرواية المتبعة هي الواردة في صدره ، وهي التي اعتدناها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساء اللواتي" بدلا من "إلى نساته الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "التبالة" بدلا من "الثالة" [وهو تبالة ثان من تاسخ الخلية].
- ص ٩٩ س ٩ "فيه لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نيته لغيره" ... [ورواية الخلية
وجبة حذا وواجبة . فينبى اعتيادها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا النافل" بدلا من "السردُ النامل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولاكرامة لك ...
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا ...
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاؤوا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ ققام ... " وعنده الزيادة يقتضيا السياق . فلتتمد في طعننا .
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقعده فرب ... ' > > > > > .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله" ...
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخفوة والسلطان" بدلا من "والخفوة عند السلطان" . [ولعل رواية الحلية أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سره ، صرح فناء الملك الأعظم] .
- ص ١٢٢ س ١٥ "فبتراطان على كذب" بدلا من "فبتراطان" .
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن رواه من يبيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من يبيد على الأفراد لا يشك أنه" ...
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى" . [ورواية الحلية حسنة جدا] .
- ص ١٣٤ س ٦ "هلل الحمداني" بدلا من "مهائل الحمداني" . [وروايتنا هي الصواب] .
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "و[قد]" . [فصحيحنا جاء موافقا لما في الحلية] .
- ص ١٣٥ س ٣ "كردى" بدلا من "كربجى" . [ورواية الحلية أقرب للصواب وإنما يقتضها التصغير] .
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجيد" ... [وزيادة أداة النفي هنا وجبة ومتحتمة] .
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أفسد الملك" . [ورواية الحلية جيدة والاصح أعادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك قبيسا عنده ^٢

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نبيك". [ورواية الخلية مغلوبة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها دأبت فسمت عيسى بن نبيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لثى. هو فيه لم ندر" بدلا من "لثى. آخر لا ندرى" ...
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أرمشافنة" بدلا من "مشاهدة أرمسانة". [وسمعة الخلية ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث الموت".
- ص ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "موانيد".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يُجَلِّده ... يجلدها" بدلا من "يُخَلِّده ... يأديها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود أتيهم المشاق" بدلا من "وجود القرم التهم المشاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيته" بدلا من "لذة الطعام وأطيه". [ورواية الخلية أطيب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الخلية أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة. فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما برة" ... [ورواية الخلية أجود وأكمل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به رى" ... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص. والماء هنا بمعنى الرينق والبهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأحجار العيسة. وحينئذ فلا يكون هناك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الغلن باحتمال أن "مائه" محروقة عن "بهاؤه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... [ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من الناسخ تدل على مجزه].
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف" ...

- ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده" ...
- ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل ...
- ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس الباركر". [مدعاة الحلية ربما لالتزيل الإيهام].
- ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيتك".
- ص ١٦٦ س ٣ "فاخذ التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- ص ١٧١ س ٢ "وحديثي أبو الترب الشاعر: كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما. فقال، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي: تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فاخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعتي قلا عن "المحسن والمساوي" لليق . وليس
بين رواية الحلية وبين رواية البيهق خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدري صحته
أهو أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعتي فهي أصح وأوجه].
- ص ١٧١ س ١٢ "وفيا ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [رعا وقف الحلية مبهورة].

التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكاييد"

المنسوب للمحافظ

ذكرتُ هذا الكتاب في "التصدير" وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي
حليتُ بها "التاج".

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوّف إلى الإسلام بشيء عنه . فذلك رأيتُ
أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرْتُ على النسخة الأصلية -- وهي الوحيدة فيما أعلم -- بخزانة الكوبريتلي
بالقسطنطينية تحت رقم ^(١) ١٠١٥ .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" عبارة بخط حادث هذا
نصّها . "تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" . ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية
إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغاير خط النسخة من أوّلها إلى
آخرها ، وهي "للمحافظ رحمة الله عليه" .

ظننتُ أنني ظفّرتُ بدرة يتيمة من تلك الدرر التي تفتد بها الجاحظ . فأنشأتُ
أنصفُح الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتّى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن
الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) قلتُ بالتصوير الشئ نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وفصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أفتح الحمد كتابا ، وفتح اللد إذا رافى إليه باما ،
قسم بين خلقه فطوروا أطوارا وتحربوا أجزابا . أخذ منهم سببه ، وأعطى فيهم حكمه ، وجعل لكل شي
أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتة
وإرادته ، يُعزَمَنُ يشاء ، ويُدل من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وعابا . نحمده على ما أولنا وأنعم ،
ونصل على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! (أما بعد) فهذا كتاب
يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراز من كل صديق ورفيق وما تحت نيباه
من البُغض والتحايد . فعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونوكل على الله ، ومن يتوكل على الله
وَرَحِمَهُ إِنَّ اللَّهَ يَالْغُ أَمْرِهِ . قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات
المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرفع قدما من أن يتنازل لافتتاح أحد كتبه بمثل هذا
الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء
وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ
في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض
الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٣٠٤ فيفصل الوقائع
التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويأبده ما بين ابن طواون وكافور الأخشيدي والمتنبي
وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لمعًا من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حيث لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على مآثرات دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فأوردتها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسرقات تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا لعمرى !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي باب مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج احنائية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

- (١) مكاييد القُرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .
- (٢) » الهند (» ٤٩ - ٥٤) .
- (٣) » الروم (» ٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قَصَرَهُ على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . وأسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدي . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! ولعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسنٌ عقلاً وشرعاً ؛ لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أخنى الفتح ما بلغ بالمكاييد فيه الفرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث أترعها بالمكيدة التي استعملها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آيين ساسان المرمج له من أيدي الذين أقسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله أجمعين ”الحرب خدعة“ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند سيره في غزواته ، وبخصوصاً ما استعمله في فتح مكة“ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يحدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يزر به الدين وينفع به المسلمون . وأرتفع بهذا وجه الوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .
نحو الكتاب ”تنبيه الملوك“ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ”سنة ربيع الآخر سنة أربعين وستة“ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ما توفقتنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه اكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ”جامع الأخبار“ .

وروى ”جامع الأخبار“^(١) أنه سهر ليلة عاشوراء بمخندق الموالى القصيرية وأطال التفكير فيها عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من استيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام علياً في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطف حتى حطى بنعمة الرضوان ، ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب آنزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى يده ، لأنها لمست يد الإمام على . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجوداً بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى يتره بأن ينجح بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول فى بعض قصائده .

ولا خدّعتنا منه قط ملامس * تُسدى بأصناف الخيال وتلتم .

فأضعها ما كانت فيه راية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقرّر فى ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو الفواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله في "التعريف بالمصطلح الشريف" والتقليد لشدى في "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها في سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط في سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاءً مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين في أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ، وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحى" وأنشد له شعرا . فهذا النعت لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه ممن كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى ديوانه في جرائن .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفائز الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير أحوال الدولة ، وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفائز ، استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمى أبنته . ثم دس العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" قد أخرج كتابه للناس في أنعميات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف الثانى من القرن السادس للهجرة .

التعريف بكتاب ”محاسن الملوك“ لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في ”التصدير“ وفي الحواشي . كنهته ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة بكتاب ”التاج“ .

عُثر على النسخة الأصلية لكتاب ”محاسن الملوك“ في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تستمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم ^(١) .

فأما ”محاسن الملوك“ فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طرازه أنه ”جمعه بعض الفضلاء“ . وقد ابتدأ مؤلفه بعد البسملة بقوله :

”الحمد لله المتناول بالعرفان ، المميز بالمعارف . وجاعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على التلطف ؛ الأمر بإعظام السلطان لقيامه بأعباء الإيالة ، وأنفعاته لخلق الكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم في المعاش الذي هو وسيلة سادهم ، وسبب إمرارهم لأصل الخير وأزده . أحمد على نفسه“

ثم توه بالملك الذي ألف له هذا الكتاب وسماه ”مولانا السلطان الملك العزيز“ . وقد نعت المؤلف نفسه ”بالمملوك“ . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكرر في غضونهما التثويه به إذ قال : ”ولا زال مولانا العزيز“ .

(١) وقد قلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحضرتهما إلى دار الكتب الخديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أمرا أنريدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا نعمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فأرأينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بنى أيوب، والثالث من سلاطين المسالك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباى . تولى سلطنة مصر فى سنة ٨٤١ هجرية، ولكنه لم يجلس على سررها سوى ٣ شهور فقط، فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتفخيم والتعظيم الذى أورده المؤلف، خصوصا أن الكتاب منسوخ فى سنة ٧٩٥ هجرية، أى قبل أن يأتى هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثانى المسمى "بالمملك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازى الأيوبنى . تملك حلب فى سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صبغيا فآتزع عمه الأفضل المملك منه فى سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعمه العادل . وتوفى الملك العزيز هذا فى سنة خلعه، أى ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة. وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبا وصحيفا، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو فى سن الطولة مما جعل عمه يتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف الملوكانية والتعوت السلطانية الواردة فى أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر، فإنه هو الذى كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر فى الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصراحة وبالبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في " التعريف بالمصطلح الشريف " لأبن فضل الله العمرى ، وفي " صبح الأعشى " للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين " بالملك العزيز " وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بمكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمّى الواحد منهم نفسه " بالملوك " إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المماليك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مَصُوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في " شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ " . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يُسمّى " بالملك العزيز " . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة آنتساخ الكتاب ، لا سنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت آنتساخه .

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

- | | |
|---|---------------------------------------|
| الأدب في استعطاف الملوك . | أدب الوقوف على باب السلطان . |
| أدب من أسدى إليه الملك يدا . | أدب الداخل على السلطان . |
| أدب من رفع الملك قدره . | الأدب في تيجز وهد السلطان . |
| الأدب في ممازحة الملك . | الأدب في تمهد السلطان خلفه . |
| أدب الصلاة مع السلطان . | أدب من يجالس السلطان . |
| الأدب في مسامرة السلطان . | الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان . |
| أدب تحجب الملك وحجابه . | أدب من يخاطب السلطان . |
| الأدب في الرسول . | أدب من سأل السلطان عن اسمه . |
| أدب الملك في منامه . | أدب مؤاكلة السلطان . |
| الأدب في اتخاذ الكتف . | أدب السلطان في إقامة الحدود والتزير . |
| الأدب في استعمال الملك الأناة وترك المجلة . | الأدب في عزاء الملك . |
| سخاء الملوك . | أدب التعزية بالملوك . |
| أدب الملوك إذا دهمهم أمر . | الأدب في مسامرة الملوك . |
| | أدب مناصحة السلطان . |

وفي كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع ، تعلقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً واختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان العصر به .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى أستخدمتها للراجعة وتحرير الحواشى

الأصنام لأبن الكلى (نسخة مخطوطة

عزارة كتي وجار طبها بتحقيق في مطبعة
بولاق في هذا العام)

إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر السافلى ،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته ،

طبع السلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو السابع من المكتبة

الجغرافية العربية]

الحاسن والأضداد للباحظ طبع العلامة

فان طوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ، في ٢٠

جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ ، وبالجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف برنر بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥هـ

فهارس الأغاني العادة جويدى وزملانه ، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذيله) لأبى على الفسالى ، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤هـ

الأنساب للسماوى ، طبع السلامة

مرجولوث بمدينة لوندن سنة ١٩١٣



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان البيرونى ، طبع السلامة بخار

المستشرق الألمانى بمدينة ليبسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للقرظوبى ، طبع

العلامة وستفله بمدينة جونين سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبشارى ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طقات الأدباء =

معجم الأدباء

أساس البلاغة للرخشبرى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبن دويد ، طبع العلامة وستفله

بمدينة جونين سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسجمات الواردة في التصدير . فتنبه لذلك .

تاريخ الطبى = تاريخ الرسل والملوك

تاريخ أبى القداء = المختصر فى أخبار
البشر

التسميل (كتاب فى النحو) طبع القاهرة ،
مرآة

شرح التسميل (كتاب فى النحو) طبع القاهرة ،
مرآة

تقريب التهذيب لمافظ المسقلات طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للامامة دوزى ، طبع
لبن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف السعودى ، طبع الامامة
ده جويه بمدينة ليد سنة ١٨٩٣ [محرر
الاسم من المكتبة العربية الجغرافية]

تنبيه الملوك والمكاييد ، مسود لمباحظ .
[ونسخة مخطوطة بدار الكتب الخديوية ،
منقولة بالتوغرافيا عن مكتبة الكوبرى على
بالقسطنطينية]

ح

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
للسيوطى ، طبع حر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع

الحجاسة (شرحها التبريزى) ، طبع الامامة فريتاج
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيوان لمباحظ ، طبع القاهرة سنة ١٣٣٣ هـ

ب

كتاب البخلاء لمباحظ طبع الامامة فان قوتن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور فى وقائع الدهور لأبن
اباس ، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسى - قله عامم
افندى الى اللغة التركية) ، واسمه
تيان نافع فى ترجمة برهان قاطع ،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهمذانى المعروف بأبن الفقيه ،

طبع الامامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٢ هـ وسنة ١٨٨٥ م
[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب البلدان لليعقوبى ، طبع الامامة جوتبول
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين لمباحظ ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

ت

تاج العروس فى شرح القاموس ، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ أبى خلدون = كتاب
العبرانى

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبى ، طبع الامامة
ده جويه وزملائه بمدينة ليدن
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

سيرة آبن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
السلامة وستفيلد بمدينة جوتنغن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد السكري
المعروف بأبي العباد الحنبلى [مخطوط
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للتفاسى ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقاتشندى (الجزء الأول ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصحاح لجمهرى ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢
صحيح البخارى ، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء.

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية السبكي ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبن سعد ، طبع العلامة
بغداد وزعمه بمدينه لندن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن]

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموتى (كتاب فى النحر) طبع
القاهرة ، مراد

خزانة الأدب البغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

المخطوط للقرزى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ ، طبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومعه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية فى باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأمالى للقال = الأمالى

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
لتليل بن شاهين الظاهرى ، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع فى عدوات الأتباع
لأبن ظفر المسفل طبع الجبر فى القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعرفة العلامة ميشل أمارى الطبايى ، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

الفصل في الملل والنحل لأبن حزم الأندلسي

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن التميمي، طبع العلامة قزرجل

بمدينة ليسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكا الكشي، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

ق

القاموس الصغير زابادي، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

ك

الكامل في الأدب للبردة، طبع العلامة ريت

المستشرق الإنكليزي بمدينة ليسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل في التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

تودنبرج بمدينة لندن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العربية للكوندوريا لدى طبع مدينة

نابول سنة ١٩٠٦ م

كلىة ودمنة، طبع العلامة ده ساسي بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كلىة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كلىة ودمنة، طبع الصلانة الأب لريس

شيوخ بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طرار المجالس للمعزج، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

ع

كتاب العبروديان المبتدا والخبر في أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

السلطان الأكبر لأبن حلدون، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للقزرجي، طبع العلامة وستفله بمدينة

جوتنغن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن مقذ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (ومن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربه، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأبناء في طبقات الأطباء لأبن

أبي أصيبعة، طبع العلامة أغسطس ملر

في القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

غ

غرر أخبار الفرس وسيرهم للعالي، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،

بيارس سنة ١٩٠٠

ف

فتوح البلدان للبلاذري، طبع العلامة ده جويه

بمدينة لندن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البندادي، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

﴿ ل ﴾

لسان العرب لأبن المُكَّرم المعروف أيضا
بأبن منظور، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -
١٣٠٨ هـ

لَف القمط في تصحيح ما تشمله العامة من
العرب والدخيل والمولّد والأغلاط، للسيد
حسن مديني خان صاحب مملكة بيروال
بالمند (وطيه هوامش السيد نور الحسن)
طبع، حجر بالمند سنة ١٢٩٦

﴿ م ﴾

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع
القاهرة حديثاً سنة ١٣٢٥ هـ
المحاسن والأضداد، المنسوب للمُحَافِظ،
طبع العلامة قانت قلون بمدينة ليدن
سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبني الفضلاء، نسخة محفوظة
بدار الكتب الخديوية نقلاً بالقصورغرافية
عن الأصل الم محفوظ بخرقة طوبجيو
بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البني،
طبع العلامة فريد بك شوال مدينة جيسن
سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني، طبع
محمد عارف باشا رئيس جمعية المسارف
بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر لعل
دده، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠
المختصص لأبن سبده، طبع بولاق سنة ١٣١٦
- ١٣٢١

مسالك الممالك لإبراهيم الإسطعري المعروف
بالقارسي، طبع العلامة ده جويه بمدينة
ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة
الجغرافية العربية]

مكتاب المسالك والممالك لأبن حوقل، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٣ [وهو
الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن أبن خرداد به،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو
السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للدهم، طبع العلامة
ده يونج بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل السور ولعل الدين
على الهاني الفزولي، طبع القاهرة
سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن فتيحة، طبع العلامة وستفله بمدينة
جوتنغن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعل
الواحد المراكشي طبع العلامة درزي
بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لياقوت الحموي طبع العلامة
مرجوليوت بالقاهرة، من سنة ١٩٠٧
[ولا يزال العمل جارياً للاتن]



نقائض بحرير والفردق طبع العلامة بيفن

بمدينة لندن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،

لأبى المحاسن تفرى بردى ، طبع العلامة

بجوتبول بمدينة لندن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية فى غرب الحديث لأبى الأثير ، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للتورى ،

[عن النسخ المنقولة بالقتوغرافيا المحفوظة

بدار الكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرح لأبى الحديد ، طبع

القاهرة سنة ١٣٢٩)



الوسيط فى تراجم أدياء شقيق للروح الشيخ

أحمد الأمين الشنقلى ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لأبى خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب العلامة دوزى

طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرشاردن ، طبع لوندون سنة ١٨٢٩

المعزب من الكلام الانجمى للجوالق طبع

العلامة سجاد بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم للسبكى ، طبع لوندون

مفاتيح العلوم للفوارزى ، طبع العلامة فان

مولتن بمدينة لندن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكير] طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة أبى خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضبي [نسخة مخطوطة بدار الكتب

الخديوية نقل بالقتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بخراتة طوب قيو بالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع جبر بالقاهرة فى ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبجدي الثاني

بأسماء المصنفات المذكورة في متن الكتاب أو في حواشيه وتكميله

الأطاني (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي . وأصله بما يقال لأبيه وأبن جامع وابن الموراء ، هـــــ به إسحاق بأمر الخليفة الراشدين . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطط عليه . ونسبه المسعودي له)	كتاب الآباء والأهمات لأبي حسان الزياتي
ألقاب الشعراء لأبي حسان الزياتي	كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجبلي (وأظن كتاب الزيادات في هذا الفهرس)
كتاب البخلاء [يشير إليه الجاسط في صفحة ١٤٠ وهو غير الذي ألفه هو]	آيين الأكاسرة
بدائع البلاء لأبن ظافر الجمهرة لأبن دويد	آيين الفرس
درة الغواص للبربري ، طبع الجوانب بالقسطونية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع ليسيك سنة ١٨٧١ م	آيين ابن المقفع
الزيادات في كتاب آيين في المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجبلي (وأظن كتاب آيين له)	كتاب أخبار الأمكة للداي
سرح العيون لأبن نباته طبع بولاق	كتاب أخبار زياد بن أبيه للهم بن عدي
طبقات الشعراء لأبي حسان الزياتي	أخبار زياد بن أبيه للداي
الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن للرغزبي ، طبع مرارا بالقاهرة	أخبار ولدي زياد بن أبيه ودعوته للداي
مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاسط]
معجم الشعراء للزباني [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]	الأدب الكبير { لأبن المقفع ، طبع الأدب الصغير { أحمد زكي باشا
مغازي عروة بن الزبير لأبن حسان الزياتي	الأطاني (كتاب يشير إليه الجاسط ، وهو غير الذي لأبن الفرج الاصهاني)
مقتل عمرو بن سعيد بن العاص	الأطاني (كتاب ذكره المسعودي ، وهو خلاف الذي لأبن المرج)
من أحتكم من الخلفاء إلى القضاة للمصري	الأطاني (كتاب لإبراهيم بن المهدي)
	الأطاني (كتاب لإبراهيم الموصلي وإسماعيل أبن جامع وطبع بن الموراء)

الفهرس الأبجدى الثالث

بأسماء الرجال المذكورين في "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن في الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٤٨٢٩٦٩	آدم (أبو البشر) ٣٨
١٠٩٦٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٤٤	آزادمررد (حاجب يزيد) ١٢٦٦٢٥
١٢٤ ١١٩ ١١٥ ١١٠	إبراهيم (إلى) ١٠٧٤٩٦٣
١٨١ ١٨٠ ١٥٥ ١٥٣	إبراهيم الخزازي ٣٦٣٦
٢٠٣ ١٨٥	إبراهيم بن السندی بن شاهك ١٢٦١٢
أحمد بن أبي خالد الأحول من مشاهير	١٩١٦
الأئمة [١١]	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
أحمد بن أبي دؤاد [من مشاهير الأئمة ١١]	علي بن أبي طالب ١١١٦ ١١١٤ ١١١٦
= ابن أبي دؤاد	إبراهيم بن عثمان بن تميم ١٤١
أحمد بن الأمين الشقيطي ٤٤	إبراهيم بن المهدي (معاذروف ابن شكة)
أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي	١٦١ ٦٨٥ ٤٨ ٤٣ ٤٢ ٣١ ٢٣
الأمير أحمد بن سهل ٨٩	إبراهيم الموصلي (المنق) ٣٦ ٣١ ٢٣
أحمد بن عبد الرحمن الخزازي ١٣	٣٨ ٣٩ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢
أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني ١٩٢	٤٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٣١٠٣١
٤٤٣ ٤٤٢ ٤٤٣ ٣٩ ٣٧ ٣٧
١١٠٤٥٤٣

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الحامى [من مشاهير الأئمة] ١١

أسد بن عبدالله (دالى خراسان) ٢١٠

الإسكندر (ذوالقرنين) ١٩ ٢٩ ١٠٩

١٢٣

أسماء بن خاتجة الفزارى ٦٠ ٦٠ ١٩٩

إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع

أسيد بن عبد الله الحزاعى ٣٣ ٣٣

الأشديق ٦٦ ١٩٨ ١٩٩ = عمرو

ابن سعيد بن العاص

الأشعث ١٦١

الأصمعى ٤٤ ١٥٥

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦

الأعشى (شاعر محمدان) ٨٤

أمرو القيس ٣٨ ٤٥

الأمين (الخليفة العباسى) ٣١ ٤٢ ٧٤

١١١ ١٩٤

ابن أنس = السيد بن أنس الجبرى

الأب أنطون صالحانى اليسوعى ١٢٢

كبرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨ ٣٨ ٤٦

٥٤ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٩٠

١٠١ ١١٩ ١٢٤ ١٣٨

١٤٩ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٨ ٢٠٠

إيتاخ ١٢٧ ١٢٧

الأحنف (رأسه أبو بحر الضحاك بن قيس)

وهو المشهور بالعلم ٣٩ ٣٩ ١٩٩

الأخوص الشاعر ١٤١

أبر أحبة ٤٧ ٤٧ ١٩٦ = سعيد بن

العاص

الاخلط الشاعر ١١٠ ١٣٢ ١٣٢

١٧٥ ١٣٣

ارادمرد (حاجب زديرى) [صوابه آزادمرد]

أردشير بن بابك (ملك الفرس وأول بنى ساسان)

٢٥ ٢٥ ٢٤ ١٥ ١٣ ٢٤

٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٨ ٤٧ ٥٤

٥٥ ٥٥ ١١٨ ١٢٢ ١٢٤

١٤٩ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٨

١٦٣ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس، ولعله

الأردوان الأصغر) ٢٩ ٢٩ ١١٨ ١٥١

الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهوابن

بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية

الذى تله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك نارس) ٢٩

أزبك (الألبانى، وهو منى الأزيكية

بالقاهرة) ٧٨

أسامة بن منقذ ٢٠٦

إسحاق ١٧١ = إسحاق بن إبراهيم المصعبى

إسحاق بن إبراهيم المصعبى (حاكم بغداد فى

أيام المأمون) ١٣ ١٣٠ ٣١ ٣١

١٧٠

(ب)

بَابُكَ الْخُرُوجِي ١٢٧	بَقِيلَة = ثعلبة بن سنين
بَابِل بن قيس الجذامي ٦٠	أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٨٦
أبو بحر الضحاك = الأحنف	أبو بكر المخلطي ١١٤٥٨ ١١٩٨ ١٩٩٦
أبو بختيشوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٤٣٧	بلال بن أبي بردة [من مشاهير الأئمة ١١]
برصوما الزامر (رأسه إسحاق) ٣٩٦٢٨	ثم ١٩٣٤٢٠٤٢٠
٤١٤٣٩	بندار بن خورشيد ٥٥
أبو البرق الشاعر ١٧١	بهرام جور بن يزيد جرد (ملك القرس) ٤٢٨
بصرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١	٦١١٩ ٦١٨٨ ٦١٠٠ ٦٣٣ ٦٣٠
بشار بن برد الأحمي (الشاعر) ٨٦	٦١٤٩ ٦١٣٥ ٦١٣٤ ٦١٢٠
بشر بن عبد الملك بن مروان ٦٠	٦١٦٤ ٦١٥٩ ٦١٥٣ ٦١٥١
بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظارة وناظر الخارجية كان ١٥٦	٦١٧٨ ٦١٧٧ ٦١٦٦ ٦١٦٥
	٢٠٩ ٦١٨٠ ٦١٧٩

(ث)

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨	ثمالة بن أنسرس ٢١٠ ٦١٩٠
ثعلبة بن سنين المشهور ببقيلة (رئيس أيضا الحارث) ٨٢.	

(ج)

المحافظ (في مواضع متفرقة من حواشي الكتاب وتكميل الروايات)	جبريل (الملك) ٣٤
الجارود بن أبي سبرة (وليقت بأبي معقل)	جبريل بن بختيشوع (الطبيب) ٣٧
١٩٣٤٢٠	جبريل بن الخطفي (الشاعر) ١١٠ ٦١٨٦
أبو جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨٨ ٣٩٦٢٣	١٣٣٢ ١٣٣٢
٤١٤٣٩ ٤٣٩ ٤٣٨	أبو جبريل الطبري ٢٠٩
	جبريل بن عبد الله البجلي - الصحابي ١٣٤

جعفر = المنصور (الحايمة الباقى)	أبو	الجعفر بن درهم مؤيد بن عقلة ١٠٧
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب		٢٠٤
المالكي = ابن الحاجب		جعفة بن هبيرة ١٩٥
جندب (اسم محبوبة) ٣٨	أم	جعفة ١٠٦ = ١٠٧ سعيدي بن عمرو
الجهم = محمد بن الجهم	ابن	ابن جعفة بن هبيرة المخزومي
الجهم العدوي ٨٩	أبو	جعفر بن سليمان بن علي ١٠٤
		جعفر بن يحيى البرمكي ٤٨ = ٤٩ = ٦٦ = ٦٧
		١٤٢٤١

(二)

[illegible]

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل ٢٠٨

حمزة (الحارثي) ٢٠٥

حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤

حنين (الغني البادي) ٨٤

حوشب (اسم رجل في بناء) ٨٢

الحظيفة (الشاعر) ٢٠

حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير أبو]

الأكلة ١١٦١١

حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم النخيلة

معارية) ٨٩

خ

خرابة ٢٠١ [رمواه : أبو سمانه]

الخطفى } هو لقب والد جبرير الشاعر
والخطفى

خلف الأحمر ١١٧

الخيزران (أم الرشيد) ٨٥

أبو خارجة [من مشاهير الأكلة] ١٩٠

خالد بن صفوان ١٩٩

خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧

خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢

خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أبيه)

٢٠٠٦٦٥.

د

درواس [من مشاهير الأكلة] ١١

دين أبي دؤاد القافض ١٦١٥٠٠٤٨

دورق القصباب [من مشاهير الأكلة] ١١

دين دأب ١١٦٦١١٦٦١١٧٠٠٥

داود (النبي) ٨٨

داود بن أبي داود ٥١

ذ

أبو ذبان = عبد الملك بن مروان

ر

رسته (غلام كسرى أبرويز) ١٨١

١٨٣٤١٨٢

الربيع بن خيثم ٨٩

الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٤١٦١٢

﴿ ص ﴾

صباح بن خافان المِثْقَرِيّ ١١٠٠، ١١٠٤، ٢٠٥	الصالح نجم الدين أيّوب = نجم الدين الأيّوبيّ
---	---

﴿ ض ﴾

ضرار بن عمرو (من سادة ضَبَّة) ١١١	الضبطاك = الأحنف ضرار بن الشماخ (ويلقب ببزرد) ١٩٠
-----------------------------------	--

﴿ ط ﴾

طويس (اللقّ) ٨٩، ٢٠٣	طاهر بن الحسين ٣١، ١٩٤ طاهر ذو اليمينين ٧٤
----------------------	---

﴿ ع ﴾

عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز القرشيّ ٢٠	عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العاذل الأيوبيّ [سلطان مصر، من مشاهير الأئمة] ١١
عبد الجبار بن عبد الرحمن (وال خراسان) ٥٩	أبو العالية [من مشاهير الأئمة] ١١
عبد الحميد الثاني (سلطان آل عثمان) ٤٢	عائشة أم المؤمنين ٦١
عبد الرحمن الحزانيّ ١٣	الحاج دباس حلبي الثاني خديو مصر ١٥٦، ١٥٧
عبد الرحمن بن عليّ الهاشميّ (عم الخليفة المصنوع) ٥٩	الدباس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩	أبو الدباس = السفاح
عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس ٢٠٨	أبو العباس = عبد الله بن طاهر ٧٤، ٧٥
أبو عبد الرحمن = عبد الله بن عمرو بن الخطاب	أبو العباس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعيّ
عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطاط الذي يروى عنه المقرئ) ٦٤	أبو العباس (كنية فرعون موسى) ٤

عبد الملك بن مهمل الهمداني ١٣٤	عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي	٨١٤٨١
٣٥٤٣٤	عبد الله بن الزبير ١٩٨٤٦٥٦٠٥٩
عبد الملك = مروان بن محمد	٢٠١
الجلعي	عبد الله بن طاهر (وكنيته أبو العباس) ٤٧٤
عبيد (القوى) ٢٤	١٥٠
عبيد الله بن زياد بن أبيه [من مشاهير]	عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن
الأشعث] ١١ (انظر ١٩٠)	أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق
عتبة بن غزوان ١٠٩	عبد الله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المصور
عتيق ابن أبي	العباسي) ١٤٣٦٥٩
٢٠٧٤١٣١٦١٣٠٤١٣٠	عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٣٠٤٦٠
عثمان بن شيخ الشيوخ (نفر الدين)	١٣١٦١٣٠
وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين	عبد الله بن مالك الخراساني ٨٠٤٨٠
الأيوبي وكان إليه أمر المملكة ١٦١	٩٣٤٩٢
عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٥٩	عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي
٢٠٣٦١١٩٤٨٦٦٧٩	(شاعر الأمين) ١٩٤
عثمان بن نيك ١٤٢٦١٤١	عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبلة
عدى بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل	الغسان) ٨٢
الحيرة) ٨٤	عبد الملك = مروان بن محمد الجلعي
عروة بن أدية (وهو عروة بن حدير	عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٥٤٤٨
أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦	عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)
عروة بن أدية (شاعر قريض) ١٢١	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
عمر الدين (وهو عبدالعزیز بن عبدالسلام	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
المشهور بطان العلماء) ١٦٢٤١٦٦١	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
العزّي (من آله العرب) ١	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
عقيل ١٩٥	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
عقيل ١٣٣	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦
ابن أبي	٤٦٠٤٥٩٤٥٠٤٤٧٤٣٦٣٦٣٦

عمرو بن سعيد بن العاص الأشلق

٢٠٢٤٢٠١٦٥٦٥٦٥٩

عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٦٥٣

عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأئمة]

١١

عتبة بن إسحاق (وال مصر) ١٩٧

عتبة بن زياد (لله مصحف عن عبيد الله

أبن زياد) ١٩٠ (أنظر ١١)

أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراساني

الأزدى

إبن عيَّاش ١١٤٦٥٩٦٥٩٦٥٨

عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي

٨٣٦٨٢٤٨٢

عيسى بن هيك ١٤٢٦١٤١

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = إبن

دأب

المكي ١٤٣٦١٤٣

عَلَوِيَّةُ الْأَعْمَر (وهو أبو الحسن علي بن

عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣

علي بن الخليل (الشاعر الذي يقال له الزنديق)

٨٨

علي بن أبي طالب ٦٧٩٦٥٩٦٥٥

٦٢٠٤٦١٦١٦١٢٤٦١٠٩

٢٠٨

ذو العاجلة = أبو أحبيبة سعيد بن العاص

عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٤٤٤

٦١٦٨٦١٦١٦١٩٦٨٨٦

٢٠٨٦١٩٥٦١٩٦

عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي) ٣٣

١٦١٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦٩١٦

عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧

إبن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب

عمر بن الفزّال ٣٩

خ غ

ذلفاء بن الحارث = الموسوم بمعد يكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرجيل بن الحارث.

ف

الفزّاء ١٢٣

أبو الفرج الأصبهاني (صاحب كتاب الأعيان)

٢٣٦٢٢

فرخان (أخو شهر باز) ١٨٣

أبو الفتح بن خاقان (الوزير العباسي، الذي ألف

الجملة هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٦٤

نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ

الفضل بن يحيى (دال خراسان) ٢١٠	الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٦١٣٣٤١١٠
فُلَيْحُ بن العوراء (المنقّى) ٢٣	فِرْعَوْن (ملك مصر) ٣
فورسكال (عالم نبات سويدي) ١٩٥	الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد والأمين) ١٩٤٤١٤٢
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠	الفضل بن سهل (ذوالرياسين) ٤٩٤٤٨

﴿ ق ﴾

القريين = الإسكندر	قاسم التمار [من مشاهير الأئمة] ١٨٩٦١١
القُطَامِي = الحُصَيْن الكَلْبِي	القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٤٤٩
قَفَّ المَلَّتَم [من مشاهير الأئمة] ١١	أبو القاسم الكهمي ٥٨
قلافس الإسكندري ٢٠٧	قَابِطَاي (سُلْطَان مصر الشهير بِمَاتَرِه الجَلِيلَة في خدمة العلم والأدب والفنون الجَلِيلَة) ٧٨٤٧٨
قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦	أبو قَبَاذ (ملك الفُرس) ٧٨٤٧٨٤١٠٥
قيس بن سعد بن عبادَة الأَنْصَارِي	قَبَاذ ١٠٦٧٤١٠٧٤١١٨
٢٠٤٤١٠٩	قُبَاذ بن فيروز بن يَزْدَجَرْد ١٥٥
	قُثَم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ٦٦٤٦٦

﴿ ك ﴾

كِيَسَاف (لهذا كِيَسَاف ملك الفُرس) ١١٩	كُثَيْر (الشاعر، صاحب عَزَّة) ١٠٨
كِيَوْمَرْت ١٨	كَسْرِي ١٦٦ = كَسْرِي أَرْوِيز
	كُوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

﴿ ل ﴾

لقان الحكيم ١٩٦	اللّات (من آلهة العرب) ١
لوط بن عُثْف ٢٠١	لطيم الشيطان = عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق
الاب لويس شيخو اليسوعي ١٢٨	

المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٢٣

١٢٧٦ ١٢٠ ١٨٦٤ ١٢٠ ١٢٧٦

١٨٦٤ ١٥٥٤ ١٥٤٤ ١٥٣٤ ١٢٧

المعتصم بن جواد (صاحب إشبيلية بالأندلس)

١٦٦

المعتصم على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠

معد يكرب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨

المفسرة ٨٨

أبر مفضل ١٩٢ = الجارود بن أبي سبرة.

مقاتل بن حكيم العنكي ١٤٣ = العنكي

مقدام (من رواية الحديث) ٤

المقفع ٢٤٦١٩

مناة (من آله العرب) ١

أبر مناذر (الشاعر) ١١٧

منذر بن سعيد البلوطي قاضي فضاة

قرطبة ٢٠٨

المنتصر (الخليفة العباسي) ٩

المنصور (أبو جعفر الخليفة العباسي) وأسمه

عبد الله بن محمد (١٢٣ ٣٤٤ ٣٥٥

١١٠٦٩٤٤ ٨٣٦٨١٠٥٩٤ ٣٧

١١٢٦ ١١٢٦ ١١١٦ ١١١٦

١١٦٦ ١١٥٦ ١١٤٦ ١١٤٦

١٤١٦ ١٤١٦ ١٤٠٦ ١٤٠٦

١٥٥٦ ١٥٤٦ ١٤٣٦ ١٤٣٦

٢١١٦ ١٩٧٦ ١٧٦٦ ١٦٩٦

منصور زلز = زلز

منصور الضارب بالسود = زلز

مروان الحمار، مروان القرس =

مروان بن محمد الجعدي

مروان بن محمد الجعدي (آخر خلفاء بني

أمية بالمشرق) ١٠٦٤ ١٠٦٤ ٣٢ ٣٢

١٥٥٤ ١٥٤٤ ١٥٣٤ ١٥٠٤ ١٠٧

١٧٦٤ ١٧٥

مزود ولله مصنف عن مزود [من مشاهير

الآفة] ١١ (وأنظر ١٩٠)

المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) ١٦٢

مسرور (خادم الرشيد، وكنيته أبو هاشم)

٦٦٤٦٦

أبر مسلم أنظر أساني (صاحب الدعوة العباسية)

(وأسمه عبد الرحمن، ونيزه أبو جهم) ٦٣٣

١٧٦٦ ١٧٦٦ ٨٢٦٨٢٦ ٥٩٦٣٤

٢١١

المسيب بن زهير السبي (من رجالات

المنصور العباسي) ١١١٦ ١١١٦

مصعب بن الزبير ١١٠ ١١٩٦

معاذ الطبيب (المتي) ٣٦

معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي [من

مشاهير الآفة] ١١ ثم ١٤٦ ١٥٠ ١٤٦

٥٦٦ ٥٥٥ ٥٥٥ ٥٤٦ ٣٣ ٦١٥

٥٨٦ ٥٨٦ ٥٧٦ ٥٧٦ ٥٧٦

٥١٩ ٥١٩ ٥١٩ ٥١٩ ٥١٩

٥١٥٥ ٥١٥٤ ٥١٣٦ ٥١٢٦ ٥١١٩

٢٠٦٢ ٢٠٤٦ ١٩٩٦ ١٧٥٦ ١٦٩٦

هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]

١١

هلال بن مسعر التيمي = هلال بن

الأسعور "زوجه" [من مشاهير الأئمة] ١١

أبو همام السسوط (أو السوط) [من مشاهير

الأئمة] ١٨٩

الحيثم بن عدي (من أكابر مؤلفي السليبي

في النصر الأتول) ١٤١٦١٥

هرثمة بن أعين ١٩٤

هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة

الأموي) ٣٣٠ ١٠٦٤ ١٠٧٤

١١٢ ١٤٠ ١٥٢ ١٥٤

١٦١ ١٧٦ ١٩٨ ١٥٥

٢٠٦ ٢٠١

هلال بن الأسعر (أو ابن أشعر أو ابن

مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١٩٠ ٦١١



الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٣٠

٦٣٠ ١١٩ ١٢٤ ١٨٥ ٦٠

١٥٥ ١٥٢

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة

الأموي) ١٥٤ ١٥٣ ٣٣٤ ٩

أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤

أبو الوليد = ابن دأب

الواثق الخليفة الباسي [من مشاهير الأئمة] ١١

٦٣٠ ٤٤٨ ٤٣١ ٢٢٣ ١٣

١٥٤ ١٥٣ ١٢٧

أبو وائل ٨٩

ورقاء (من رواة الحديث) ٤

الوليد بن الحُصَيْن الكلبِي = الشرقِي

أبو القطامي



يزيد بن (آثر الملوك الساسانية) ٢٨

يزيد بن شجرة الزهاوي (دركته أبو شعرة)

٥٧٠ ٥٦٤ ٥٥٥ ٥٥٥

يزيد بن عبيد الملك (الخليفة الأموي)

٣٣٤ ٣٠

يحيى بن أكثم ١٦١

يحيى بن خالد البرمكي ٨١

يزيد بن (أبو بهرام) وهو المعروف بالأنيم والميم

١١٨ ١١٩ ١٢٤ ١٦٣ ٦

١٧٧ ١٦٤ ١٦٣

أبر	يزيد ١٤٢ = عيسى بن نهيك	يزيد بن معاوية (الخليفة الأموي) ٩١ ٠
	يستاسف ١١٨	١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦٦١١٩
الأمير	يشبك الدوادار (الأستاذار، الوزير،	يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة
	كاشف الكشف بمصر) ١٥٧	الأموي) ٩١٦١٥٤٦١٥٢٦١٠٦٦٩
ذر	اليعنين = طاهر	أبر يزيد = شرحبيل بن السمط

الفهرس الأبيجدى الرابع

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

بكر = بنو بكر	﴿ا﴾
بنو بكر ١١٥٤١١٤	الأتراك = الترك
﴿ت﴾	الأحامرة ٢٤
الترك ٤٢٤١٩	الأساورة ٤٥٥٤٢٨٠٢٥٤٢٤٤٣٤
التركان ١٦٦	٤١٦٤٤١٦٣٤١٥٩٤١٠٩٤٧٧
بنو تميم ٦٩	١٩٤٤١٧٣
﴿ج﴾	الإسبانيون ٢٦
جرهم ٨٣	الأشكانية ٢٩
﴿ح﴾	الأعاجم = المعجم
بنو حزم ١٤١	الأكاسرة ١٥١٤٧٧
﴿خ﴾	الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية
الخزاسانيون ١٠٧	بنو أمية ٢٠٥٤٢٠٠٤٦٠٤٣٣٤٣١
خزاعة ٥٦	أهل الأندلس ١٦٦
الخزرج ٨٠٤٥٤٤٥٤	الأيوبيون ١٦١
﴿ز﴾	﴿ب﴾
الراوندية ١٤١٤١١١٤٣٥	البرامكة ١٤٢
بنو ربيعة ١٢٣	بنو بقبيلة (وغلط من كتب أوتال قبيلة) ٨٢٤٨٢
ربيعة بن حنظلة ٢٠٦	

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية

١٠٦٤٤٨٠٢٧٠٢٤٠٢٧

١٨٦٠١٧٦٠١٥٥

بنو عبد شمس ١٩٦

آل عبد الملك بن صالح الهاشمى ٧٥

العجم ١٥٠١٠٠١٩٠١٥٠١٢٤

٥٥٨٠٣٠٠٢٩٠٢٨٠٢٦٠٢٦

١٠٥٠٨٠٠٧٨٠٧٢٠٦٩

١٢٩٠١٢٥٠١٢٢٠١١٤

١٦٣٠١٤٦٠١٣٩٠١٣٨

١٦٨٠١٦٦٠١٦٥٠١٦٤

٢١٠٠١٧٤٠١٧٣

العرب ١٥٠١٠٠١٩٠١٥٠١٢٤

١٠٣٠٩٢٠٨٥٠٧٥٠٦٧

١١٦٠١١٥٠١١٤٠١٠٨

١٤٧٠١٣٠٠١٢٣٠١١٧

٢٠٨٠١٧٦٠١٧٤٠١٧٣٠١٥١

الملوئون الفاطميون ١٦٢

﴿ف﴾

الفرس = العجم

الفرينج ١٦١

الفرنسيون ١٠١

بنو قزارة ٦٠

الروم ١٨١٠٦١٨٠٠٦١٨٠٠٥٥٠٥٥٠٥٥

١٨٥٠١٨٣

الزويدية (لعل سوابه : الزويدية)

﴿ز﴾

الزنج ١٨

بنو زهرة ٢٠٤

الزويدية ١١١٠١١١

﴿س﴾

ساسان (آل دبر) ٤٧٠١٨٠٩٤٠٥

١٤٥٠١٣٤٠١٠٩٠٩٩٠٨٣

١٦٧٠١٦٥٠١٦٣٠١٥٩

بنو سئين ٨٢

﴿ش﴾

شيان ١١٢

﴿ض﴾

ضبة ١١١

ضار بن عمرو (من سادة شبة) ١١١

﴿ط﴾

الطبردارية (طائفة بن جيش الماليك بمصر)

١٦٦

الطوائف (ملوك) ١٥١٠١٣٩٠٢٩

﴿ع﴾

عاد ٨٣

بنو مروان ٢٠٢	﴿ق﴾
المشاركة ١٦٦	قريش ٦١٣٠٦١٢١٦٨٤٦٥٦٦٥٦
المضرتية ١٣٣	٢٠٦٦١٩٦
بنو معاوية ٧٩	أهل القصر (أى أهل بيت الملك فى أيام الفاطميين
الممالك (بصر) ١٥٦٦١٤٢	بالقاهرة) ٦٤
المنانية = المنوية	قيس ١١٥
المهاجرون ٥٧	﴿ك﴾
﴿ن﴾	كَلْب ١٣٤
النَّبَط ٢٩	الكُود ١٧٦
﴿ه.﴾	بنو كليب ١٣٣
بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨	﴿م﴾
المولديون ١٠١	المنوية ٢١٠
	المجوس ٧٧٦١٥
	مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٦٥٦٦٥٦

الحجبات = ذوقار

الجزيرة (أى ماين النهرين) ١٠٧٦١٠٦٦٨٠

(乙)

المجاز ١٢٧٤١١٦٦٠

حلوان (مدينة بالعراق العجسي) ٧٨

حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٤٧٨

خص ۷۹

الحنو = ذوقار

حنوذي قار = ذوقار

مَحْنُو الْقِرَاقِر = ذَوْقَار

۳۸. خومل

الحيرة ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١

177

(خ)

نُراسان ۶۵۸۶۴۹۶۳۵۶۳۳۶۳۱

6148 6111 6A26V0 6V8609

21-619161V761V7

42

دارالسلام = بغداد

دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

دارۃ جُلجل ۴۵

دجلة ١٩٧

الدُّخُولُ ٣٨

دمشق ۱۶۱۶۲۴

الديار المصرية = مصر

()

١٥٧ رمل الإسكندرية

الربها (وهي الآن أورية) ٥٥

الروضة الشريفة (الحرم المدني) ١٣١

الرئ ١١٦

بلاد الروم ٦٢

（三）

الزائب (بأرض الموصل) ١٠٦

(۴۳)

ذو السَّرح (موضعٌ بَشْقِيْط) ٤٤

ذو السمّح (وضع بيلاذ العرب) ٤٤

ذات الميم (موضع ميلاد العرب) ٤٤

لِسْمِ حَتَّى (مَوْضِعُ بِلَادِ الْعَرَبِ) ٤ ٤

۴۹، خمس

سَمَرْقَنْدُ رَأَى (مَدِينَةُ الْعِرَاق) ٨٤٦٧٨

﴿ش﴾

الشم ١٤١٦٨٢٦٠٦١٥

شبين القناطر = شبين القناطر

الشرقية (أحد شق بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٤٨ (وأَنْظَر ١٩٧)

الشَّيْف (قلعة بالثام) ١٦١

شحيط ٤٤

شبين القناطر (مدينة بمديرية القلوية من

مصر وأسمها الآن شين القناطر) ٧٨

﴿ص﴾

صَيِّتِينَ ١٧٥٤٥٧

صَيِّت ١٦١

﴿ط﴾

ضبيستان ٢٠٩

﴿ع﴾

ذات العجوروم = ذوقار

أعزق ١٤٢٦٨٤٦٧٨٦٠٦١٥

بلاد أعرب ٦٧٤٤٤

بادية أعرب ٢٦

المسكرو (موضع كان بمصر القاهرة) ٣٥

﴿غ﴾

بلاد الغرب ٢٦

الغريان ١١٦

﴿ف﴾

فارس ٤٩٧٦٦٤٤٤٠٦٢٩٤١٣٤٩

١٠٩

الفجالة (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ١٠٦٣٥

﴿ق﴾

القادسية ٧٩

ذر قار ١١٥٤١١٤٤١١٤

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراقر = ذوقار

قرطبة ٢٠٨

قطريل ٣٩

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٦١٥٦

قلعة الشَّيْف = الشَّيْف

﴿ك﴾

كازرون (مدينة بفارس) ٧٨

الكعبة ٩٩٦٩٣٤٦٦٦٦٦

كلواذ ١٤٧

الكوفة ٦٨٣٦٧٨٦٦٠٦٥٨٦٢٤

١٩٩٦١٩٨٦١١٧٦١٠٦٤٨٤

باب كيسان (بدمشق) ٣٤

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes prologomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.

On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.

Je crois avoir réussi à prouver que Djâhiz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.

A. Z.


le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte, d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* * *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au  "Ayin" des Persans, au "Ayin" des Cosroés, à leur "Ayin" au "Ayin" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kutâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre, intitulé : "*Mœurs des rois*."

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolegomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamid II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kitâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où



J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre *س*; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre *ص*. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originaire le titre de *كتاب أخلاق الملوك* *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre *ب* du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: كان بالأصل سقانة "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabari et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154, et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 61 et 67.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djāhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djāhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishāq Ibn Ibrāhīm el Mawsilī. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djāhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djāhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

*
* *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabari lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

*
* *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude: *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhîz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (شيخنا أيرمضان)".

La méthode littéraire de Djâhîz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhîz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhîz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN. t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb *الامتناع والموانسة* de la Bibliothèque de Top-Knou, et le Kitâb *الجمار والنخار* de la Bibliothèque de Fâtîh.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues." (1)

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmour, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fit un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmour voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayarân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéfte qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbasides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complait à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

*
* *

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet créé (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incréé* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ

LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHIE DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZEKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE

(Kitâb el Tâdj.)